شعر المكفوفين في الأندلس

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

إعداد

رغدة علي محمد الزبون

المشرف

الاستاذ الدكتور صلاح جرّار

قدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في

اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا

ب

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرّسالة وأجيزت بتاريخ ٢٠٠٥/١/٥م وأجازها كل من:

أعضـــاء اللجنـــة:		التوقيـــع:
الدكتور صلاح محمد جرار	مشرفا	.....
أستاذ / أستاذ الأدب الأندلسي والمغربي		
الدكتور ياسين عايش	عضوا	.....
أستاذ مشارك/أستاذ الأدب العباسي		
الدكتور عبد الكريم الخيازي	عضوا	.....
أستاذ مساعد / أستاذ البلاغة العربية		
الدكتور يونس شنوان	عضوا	.....
أستاذ/ أستاذ الأدب الأندلسي (جامعةاليرموك)		

حقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع.....
التاريخ ٢٠٠٥/١/٢٤

الشكر

الحمد الله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه والصلاة والسلام على سيدنا محمد

صلى الله عليه وسلم.

أتقدم بالشكر والعرفان والتقدير إلى :

أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور صلاح جرّار على ما أولاه لهذه الرسالة من توجيـــه وإرشاد،فكان على خلق العلماء الأجلاء في متابعتها بدءاً من اختيار الموضوع إلى أن استوت على هذه الصورة ،فجزاه الله الخير كلّه على ما بذله من جهد.

وأتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الأفاضل: الدكتور عبد الكريم الحياري،والدكتور ياسين عايش، والأستاذ الدكتور يونس شنوان، لتفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة، سائلة العلي القدير أن يمنَّ عليَّ بالإفادة من علمهم وتوجيهاتهم .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الإهداء

والدي الحبيب...إليك يا من أضأت لي الشموع في ظلام أيامي
إلى قلبك الدافىء الحنون...إلى عطائك الذي لا حدود له
إلى عينيك يا رفيق طفولتي وشبابي جهداً لولا وقوفك إلى جانبي لم يكن

والدتي الحبيبة...إليك يا من ببركة دعائك استطعت المضي... إليك يا من أعنتني
ورعيتِ طفلتيَّ طوال فترة دراستي.
إلى قرّة العين وثمرة الفؤاد ...إلى عينيَّ اللتين أرى بهما الحياة جميلةً
إلى أملي في الحاضر والمستقبل إلى طفلتيَّ :

سلسبيل وسجود

إلى إخواني وأخواتي وصديقاتي أهدي هذا الجهد المتواضع

رغدة

قائمة المحتويات

العنوان	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الشكر.....	ج
الإهداء.....	د
قائمة المحتويات.....	هـ
الملخّص	ز
المقدمة	1
التمهيد	8
الفصل الأول: الشعراء المكفوفون في الأندلس	19
الشعراء المكفوفون أصحاب الدواوين.....	21
الحصري.....	21
الأعمى التطيلي.....	29
أبو حيّان الغرناطي	35
الشعراء المكفوفون المكثرون.....	38
يحيى بن هذيل.....	38
أبو عبد الله بن الحنّاط.....	40
ابن الفرّاء الأعمى	42
أبو بكر المخزومي.....	42
أبو القاسم السهيلي	43
أبو القاسم الشاطبي.....	45
محمد بن عبد الله الإشبيلي	47
ابن جابر الضرير.....	48
التطيلي الأصغر	49
علي بن جامع الأوسي الكفيف.....	50
محمد بن خلصة	51
الشعراء المقلّون.....	51
أبو المخشى.....	53
ابن سيدة.....	53
الأعلم الشنتمري	56
محمد بن المنذر أبو الوليد.....	57

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

ابن الصفّار الأعمى 58
محمد بن محمود النمري الضرير 59
أبو عبد الله بن الحداد 59
بكر الأعمى 59
عبد الله بن يعقوب الأعمى 59
علي بن حمزة أبو الحسن الأندلسي الضرير 59
محمد بن إبراهيم القفصي الكفيف 60
محمد بن محمود القبري الكفيف 60
يحيى بن فتحون المليلي 61
63 **الفصل الثاني: الأغراض الشعرية**
المديح 65
الرثاء 81
الشكوى 97
الغزل 120
الوصف 136
الهجاء والسخرية 146
الشعر الديني 155
161

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الفصل الثالث: الدّراسة الفنية

الألفاظ 162
التأثّر والتأثير 168
الحوار 185
الأساليب الإنشائية 181
التكرار 194
الصورة الفنيّة 197
المحسنات البديعية 211
الإيقاع 218
224

الخاتمة

المصادر والمراجع **226**
الملخص **238**

شعر المكفوفين في الأندلس

إعداد

رغدة علي محمد الزبون

المشرف

الأستاذ الدّكتور صلاح جرّار

ملخص

تتناول هذه الدّراسة شعر المكفوفين في الأندلس عبر عصورها المختلفة، وتحاول الاطّلاع على الملامح والسّمات العامّة التي امتازت بها أشعارهم، وتعرض الدّراسة لأثر العمى في شخصية الشعراء الأندلسيين المكفوفين وانعكاسه على شعرهم.

وخلصت هذه الدّراسة إلى أن في الأندلس سبعة وعشرين شاعراً كفيفاً، منهم من كان مشهوراً وله شعر متداول، ومنهم من لم يكن كذلك، وتكشف هذه الدّراسة أن المجتمع الأندلسي عني بالمكفوفين، إذ كان من بين أفراده من يقدّم لهم العون والمساعدة على التنقل من مكان إلى آخر، ويساعدونهم أيضاً في حياتهم العلميّة فيكتبون لهم ويقرأون عليهم، وقد عرف بعض من كان يساعد الشعراء المكفوفين ويرشدهم كأبي القاسم المنيشي الملقّب بعصا الأعمى، رفيق الأعمى التطيلي، واشتهر أيضاً من هؤلاء المرشدين أبو جعفر الإلبيري الرّعيني رفيق ابن جابر الهوّاري الضرير.

ومن المظاهر الحضاريّة التي تدل على عناية المجتمع الأندلسي الكبيرة بالمكفوفين الاهتمام بتعليمهم القراءة والكتابة، وقد أرشدنا إلى ذلك ما ذكره ابن حزم الأندلسي عن بعض طرقهم المتبعة في ذلك، والبحث الذي أجراه الدكتور صلاح جرّار حول طريقة القراءة عند المكفوفين في قصائد من الشّعر الأندلسي.

وتبيّن لهذه الدّراسة أن للعمى تأثيراً في شخصيّة الشعراء المكفوفين وطريقة تفكيرهم وتعاملهم مع الناس، وقد انعكس هذا الأثر على موضوعاتهم وأدائهم الشعري.

المقدّمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم ،علّم الإنسانَ ما لم يعلم ، أما بعد ، فقد بدأ اهتمامي بالمكفوفين ودراسة أدبهم بعد قراءتي لنتاج أبي العلاء المعري شعراً ونثراً ،ولبعض آراء طه حسين النقدية،عندها أدركت أن للعمى أثرا بارزا في شخصية الكفيف ينعكس على نفسيته وحياته وأدبه وطريقة تفكيره ،وتعامله مع الآخرين ،فتراءى لي أن يكون موضوع أطروحتي حول أدب المكفوفين.

وبدأت أقرأ ما كتب في هذا المجال، فوجدت أن أكثر الدّراسات قد عنيت بالمكفوفين المشارقة، وعلى وجه مخصوص في العصرين العبّاسي والعصر الحديث، ولم ينل الشعراء المكفوفون في الأندلس اهتماما كبيراً من الدارسين، فوجهّني أستاذي الدكتور صلاح جرّار بعد عرض الفكرة عليه إلى دراسة شعر المكفوفين في الأندلس.

ثم بدأت أجمع كل ما يتصل بالموضوع من معلومات في المصادر، علما بأنني لم أكن أعرف منهم سوى الحصري الكفيف، والتطيلي الأعمى، وابن سيدة اللغوي لا الشاعر .

وبعد أن انتهيت من جمع المادة العلميّة التي تتصل بحياتهم، ونشأتهم، وتكوينهم العلمي ونتاجهم الأدبي بدأت بالكتابة، وكنت قلقة من عدم كفاية المعلومات والأشعار التي تتصل بعدد منهم ، لقلة المصادر التي عثرت على ترجمة لهم فيها ،إلا أنني بفضل الله أولاً ثم بتوجيه أستاذي وإرشاده لي إلى أصول البحث العلمي وإلى المصادر والمراجع التي تتصل بموضوع دراستي وتوفير ما ينقصني منها، تمكنت من البدء بالكتابة وكلي أمل بأنني سأبذل ما استطعت من وسعي في سبيل التعريف بالشعراء المكفوفين الأندلسيين، وبكل ما يتصل بنتاجهم الشعري

وأثر العمى فيه ، علّني أضيف جديداً إلى الدّراسات في مجال الأدب الأندلسي ،وأدب المكفوفين على وجه مخصوص .

أهميّة الدّراسة

تسعى هذه الدّراسة إلى التعريف بالشعراء المكفوفين في الأندلس وأثر فقدان البصر في شعرهم ، إذ تناولت أكثر الدراسات الشعراء المكفوفين المشارقة ، فيما اقتصرت دراسات أخرى على جانب واحد من جوانب أثر العمى في شعر المكفوفين وهو الصورة الفنيّة.

وأما هذه الدّراسة فتتناول شعر المكفوفين في الأندلس وعددهم غير قليل ،وينتمون إلى حقب زمنيّة مختلفة ، ومنهم من كان مشهورا، ووردت له ترجمة في مصادر متعدّدة ، ومنهم من كان مغمورا واقتصر مصدر أو مصدران على الترجمة له وذكر مقطوعة واحدة من شعره، وفي بعض الأحيان لم ترد لبعضهم سوى أبيات قليلة لا تتجاوز ثلاثة أبيات، على أنها مع قلة عددها فيها إغناء لما تطرحه هذه الدّراسة من أفكار تتصل بأثر العمى في الشعر .

وقد عرّفت بالشعراء المكفوفين في الفصل الأول من هذه الدّراسة، وقسّمتهم بحسب نتاجهم الشعري، وكان هذا التقسيم هو الأنسب ، إذ لم يكن بالإمكان ترتيبهم زمنيّا وفقاً لتاريخ الوفاة ، فتاريخ وفاة عدد منهم ليس معروفا، كما لم يكن بالإمكان ترتيبهم بحسب المدة التي أصيبوا فيها بالعمى من حياتهم ، فلم أجد في المصادر تحديد المدة التي أصيب فيها أكثرهم بالعمى ، فبعضهم كان قد أصيب بالعمى كبيراً، وبعضهم أصيب به في فترة متوسطة من عمره، وبعضهم لم يرشدنا على أنه أعمى سوى تلقيبه بالكفيف أو الضرير أو الأعمى .

تنقسم الدّراسات السابقة لهذه الدّراسة إلى قسمين :

1- دراسات تتصل بعدد قليل من الشعراء المكفوفين في الأندلس .

2- دراسات تتصل بموضوع العمى وأثره في الأدب .

أما الدّراسات التي تناولت الشعراء المكفوفين في الأندلس فلم أطلع على دراسة مستفيضة تناولت الشعراء المكفوفين في الأندلس ودرست أثر العمى في شعرهم ، ولكني عثرت على دراسات تناولت عدداً قليلاً من شعراء الأندلس المكفوفين ، مقتصرة في كل واحدة منها على شاعر واحد ، وكانت في عمومها دراسات أدبيّة تناولت حياة الشعراء ونتاجهم الأدبي بصورة خاصة دون التركيز على العمى وأثره في أدبهم إلا ما ندر.

مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومن هذه الدراسات "الأعمى التطيلي حياته وأدبه " لعبد الحميد الهرّامة ، وتناولت هذه الدّراسة التعريف بالتطيلي: حياته ، نشأته وتكوينه العلمي ، وموضوعاته ومضامين شعره الفنيّة وخصائصه الأسلوبية ، وأولت هذه الدراسة في جانب منها العناية بموشحات التطيلي وخصائصها الفنية .

ويتناول محمد المرزوقي في كتابه: "علي الحصري دراسة ومختارات " دراسة حياة الحصري ونشأته العلمية وآثاره الأدبية ، ويورد الباحث في هذه الدّراسة مختارات من شعره لم ترد في ديوانه " المعشّرات واقتراح القريح " وإنما ورد جزء كبير منها في كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة .

ويعرض محمد علي الشوابكة لدراسة حياة يحيى بن هذيل ومصادر ديوانه الشعري ، ويجمع ما تفرّق من شعره في كتابه " شعر يحيى بن هذيل القرطبي الأندلسي " .

ويذكر الدكتور صلاح جرّار عدداً من الشعراء المكفوفين الأندلسيين كالسهيلي، والتطيلي الأصغر، وأبي المخشّى في بحثه "طريقة القراءة عند المكفوفين بصرياً في قصائد من الشعر الأندلسي"، ويعرض في هذا البحث إلى دراسة مجموعة من القصائد التي تصف قراءة المكفوفين، ومن القصائد التي يعرض إليها هذا البحث قصيدة نظمها الشاعر الأندلسي الكفيف أبو المخشى بعد إصابته بالعمى.

ومن الدّراسات التي عنيت بالعمى وأثره في شعر المكفوفين غير الأندلسيين دراسة قامت بها رسمية موسى السقطي وعنوانها " أثر كف البصر على الصورة عند المعري " وقد اقتصرت الباحثة في هذه الدّراسة على جانب واحد من آثار كف البصر وهو جانب الصورة وتكوينها في شعر أبي العلاء ، ومع ذلك فالباحثة درست هذا الجانب دراسة وافية .

وتناول عبد الفتاح صالح نافع أثر كف البصر في الصورة الفنية في شعر بشار في كتابه "الصورة الشعرية في شعر بشار بن برد " .

ويتناول وليد مشوح الجانب ذاته في شعر البردّوني في دراسته "أثر كف البصر في الصورة الشعريّة عند البردّوني "أحد شعراء العصر الحديث .

ومن الدّراسات التي بحثت في أثر العمى عند أدباء معاصرين دراسة قام بها محمد صادق الكاشف في كتابه " طه حسين بصيراً " وتناول الباحث في هذا الكتاب أثر العمى عند طه حسين وكيف انعكس على مواقفه من الحياة والأدب ، ويفسّر الباحث تلك المواقف تفسيراً نفسياً وذلك من خلال دراسة أثر هذه الإعاقة في أسلوب طه حسين أداء وكتابة ، وتمتاز هذه الدّراسة بتناولها لجوانب مختلفة من آثار العمى في الأديب وأدبه .

ومن أشمل الدراسات التي اطلعت عليها في هذا المجال دراسة بعنوان "شعر المكفوفين في العصر العبّاسي" أعدها عدنان عبيد العلي وبحث فيها أثر العمى لدى مجموعة من شعراء

العصر العباسي ، وتناول فيها أثره في جوانب مختلفة من شعرهم ، إلا أنه ركز على دراسة شاعرين هما : بشار بن برد والمعري أكثر من بقية الشعراء الآخرين .

ولكن لم تتناول أي من هذه الدراسات شعر المكفوفين الأندلسيين كافة ولم تبحث في شعرهم وأثر العمى فيه، وحتى التي تناولت عدداً منهم كان تركيزها الأكبر على حياة الشاعر وجمع ما تفرق من شعره وتناوله من زاوية أدبية بعيدة عن الجانب النفسي .

مصادر الدّراسة

تنوعت المصادر التي اعتمدت عليها هذه الدّراسة ، فمن المصادر الأدبية ومصادر التراجم والطبقات إلى المراجع النفسية ، وتأتي في مقدمة هذه المصادر : كتب التراجم والطبقات، فقد تضمّنت ترجمة لأكثر الشعراء المكفوفين واحتوت على نماذج متفرقة من شعرهم، ومن أبرز هذه المصادر كتاب " تاريخ العلماء والرواة للعلم في الأندلس " لأبي الوليد عبد الله بن الفرضي (ت 403 هـ)، وكتاب " جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس " لأبي عبد الله الحميدي (ت 488 هـ) وكتاب "الصلة " لابن بشكوال (ت 578 هـ) وكتاب " الحلة السيراء" و "تحفة القادم " لابن الأبار القضاعي (ت 658هـ) وكتاب المُغْرب في حلى المَغرب لابن سعيد الأندلسي (ت 685هـ) وغيرها من كتب التراجم الأندلسية ، ومن المصادر التي أغنت الدّراسة بشعر المكفوفين " ديوان التطيلي " بتحقيق إحسان عبّاس ، وديوان "المعشرات واقتراح القريح " للحصري وقام محمد المرزوقي والجيلاني الحاج بتحقيقه ونشره ، وكتاب " التشبيهات من أشعار أهل الأندلس " لابن الكتاني "ت 420 هـ ". كما احتوت بعض المصادر الموسوعية على أشعار كثيرة لعدد من الشعراء المكفوفين ومن هذه

المصادر " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة " لابن بسام الشنتريني (ت 542هـــ) وكتـــاب "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب " لأبي العبّاس المقري (ت 1041 هـــ) .

واعتمدت الدّراسة على كتب التحليل النفسي مثل : سيكولوجية الطفل الكفيف " لسيد خير الله ولطفي بركات، وكتاب " رعاية المكفوفين " لتوماس كارول ،وكتاب " سيكولوجية المرضى وذوي العاهات " لمختار حمزة، وكتاب "الفكر التربوي في رعاية المكفوفين " للطفي بركـــات وكتاب " الصحة النفسية " لمصطفى فهمي وغيرها من المراجع النفسيّة الأخرى .

منهجية الدّراسة

جميع الحقوق محفوظة
مركز إيداع الرسائل الجامعية

تحاول هذه الدّراسة التعريف بالشعراء المكفوفين واستقصاء أخبارهم ، والاطلاع علـــى كل ما يتصل بحياتهم من جوانبها المختلفة ، وتركز على المنهج النفسي بشكل أساسي لتحليـــل نفسية الشعراء المكفوفين واستبانة أثر العمى فيها وانعكاسه على أدائهم الشعري.

وتعتمد الدّراسة أيضا المنهج الجمالي لبيان الأسس الفنية في شعرهم وتعـــرّف ســـماتها الجوهرية.

وتأتي هذه الدّراسة في تمهيد ومقدمة وثلاثة فصول وخاتمة . أما التمهيد فقد عرضت فيـــه لأبرز الآثار النفسيّة والجسميّة التي يتركها العمى لدى الكفيف، وعرضت في الفـــصل الاول للتعريف بالشعراء المكفوفين فتناولت فيه حياة الشعراء ، ونشأتهم وتكوينهم العلمي ، ونتـــاجهم الشعري .

وفي الفصل الثاني جرى التعريف بالموضوعات الشعرية التي نظم فيهـــا المكفوفـــون وأبرزها المديح والرثاء ، والهجاء ، والوصف ، والشعر الديني.

وأما الفصل الثالث فقد عنيت فيه الدراسة بتناول الأساليب والخصائص الفنية التي اتسمت بهـا أشعارهم ومنها : الألفاظ والأساليب ، والتأثر والتأثير ، والصورة الفنيّة، والمحسّنات البديعيّـة والإيقاع .

وتشتمل الخاتمة خلاصة ما توصلت إليه الدّراسة من نتائج كف البصر وأثره فـي نفـسية الشعراء المكفوفين في الأندلس ، وكيف انعكس ذلك على شعرهم .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

تمهيد

تنطلق هذه الدراسة من فرضية أساسية قوامها أنّ فقدان الأديب لبصره لابدّ أن يترك أثره على أدبه مثلما يترك أثراً على مسلكه وعلاقاته الاجتماعية ومزاجه ومواقفه من الناس والحياة ، وأنّ ذلك كله يؤثر بالضرورة على مضامين نصوصه الإبداعية وعلى أشكالها وأساليبها ولغتها وموسيقاها وغير ذلك . وتتطلب هذه الفرضية أن تتخذ هذه الدراسة من التحليل النفسي منهجاً أساسياً في دراسة شعر المكفوفين الذين يشملهم هذا البحث ، كما تتطلب أن تبدأ هذه الدراسة بوقفة غير مطوّلة عند موضوع تأثير كفّ البصر على سلوك الأديب وعلاقاته ، ثم علاقة كفّ البصر بالإبداع سواءً أكان في مجال الشعر أم النثر أم التصوير أم الموسيقى والغناء أم الفن التشكيلي أم غير ذلك، ليكون ذلك مدخلاً للحديث عن أثر كفّ البصر على شعر الشعراء المكفوفين في الأندلس من حيث موضوعات الشعر وسماته الفنية وغير ذلك .

إن فقدان الإنسان لبصره ينعكس على سلوكه بأشكاله المختلفة ، ويؤثر في مستوى الخبرات التي يحصل عليها من العالم الخارجي الذي يعيش فيه ، لأنّ قدرة الأعمى على إدراك الأشياء تختلف عن إدراك المبصر ، فهو بفقدان البصر يخسر حاسة أساسية لها قيمتها العظمى في توجيه بقية الحواس ، واستثارتها إلى مزيد من الحركة في مجالات الحياة المختلفة[1].

إنّ لكل عضو من أعضاء جسم الإنسان وظيفة يقوم بها ، فإذا اختل عمل أحد هذه الأعضاء فإن ذلك يترك أثراً سلبياً على الناحيتين الجسدية والنفسية ، " إذ تتأثر الشخصية بنشاط الأعضاء وكمالها ودقتها وبقيامها بوظائفها بوجه أو بآخر " [1] ، وبناء عليه يكون حجم الأثر الذي يصيب الإنسان تبعاً لأهمية الوظيفة التي يقوم بها العضو المصاب ، فلا يتساوى فقدان

---

[1]- محمود حسين،سيكولوجية غير العاديين وتربيتهم ،دار الفكر ، القاهرة،1960ص27وانظر رسمية موسى السقطي ، أثر كف البصر في الصورة عند المعري ، مطبعة أسعد، بغداد، 1968، ص42 .

البصر مع فقدان غيره من الحواس في الضرر ، فوظيفة البصر تفوق بقية الحواس في الأَهمية في بعض الأحيان .

وينعكس فقدان البصر على طريقة إِدراك المكفوف للأَشياء ، إذ يلجأ إلى بقية الحواس الأُخرى كالسمع واللمس والشم والذوق ليستعيض بها عن حاسة البصر ، فالسمع يعينه في تقدير المسافة وضبط الاتجاه ،واللمس يساعده في تحديد المساحة والحجم، ويختلف دور هذه الحواس عند الكفيف عن دورها عند المبصر . أَما ما يقال عن حدّتها وتميزها عند الكفيف فإِن علماء النفس يرفضون هذا القول ويرون " أَن زيادة فعاليتها عند الكفيف يرجع إِلى التركيز في استخدامها وإِلى التدريب الذاتي في الأَعم الأَغلب"[2]، إِذاً فالحواس لا تختلف لدى الكفيف عنها لدى المبصر .

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومع أَن بقية الحواس عند الكفيف تؤدي دوراً في إِدراك الأَشياء من حوله إِلا أَن إِدراكه يبقى ناقصاً وأَقل دقة وتمثيلاً لحيثيات الأَشياء من حاسة البصر ، " فالسمع معين ولكن الأَصوات غير مجسَّدة تتغيَّر وتتردّد صدى ، كما أَن اللمس يربط الكفيف بقطعة صغيرة من الواقع ، فهو قاصر عن إِدراك الأَشياء ذات الحجم الكبير والمسافات البعيدة كالسماء مثلاً [3].

وهناك بعض الأَشياء التي تمتلك خاصية بصرية لا يستطيع الإِنسان إِدراكها إِلا عن طريق البصر ، فالأَلوان مثلاً تحمل تلك الخاصية البصرية ، فإِذا أَصيب الإِنسان بالعمى منذ الولادة فإِنه لا يستطيع تمييزها ، ومع ذلك فقد تتكون عند الكفيف أَفكار بديلة عن الأَلوان توحيها

---

[1] - سيد خير الله ولطفي بركات أحمد، سيكولوجية الطفل الكفيف ، مكتبة الأنجلو المصرية ،ط4، 1982 ، ص 26 .

[2]- توماس كارول ،رعاية المكفوفين نفسياً واجتماعياً ، ترجمة صلاح مخيمر، عالم الكتب، القاهرة، 1969 ، ص 26 .

[3]- المرجع نفسه ، ص 35 .

حواسه الأُخرى ، وما يتذكره من المحادثات الشفوية والاقترانات اللفظية التي يعقدها المبصرون بين الألوان ، فالسماء زرقاء ، والليل أسود ، والحق أبلج ..الخ[1].

واستخدام الكفيف للألوان كالأحمر والأزرق مثلاً ، واقتراناتها اللفظية كإشراقة الفجر ووميض البرق ، لا يعني أنه يفهمها وإنما تأتي عنده محاكاة للمبصرين في استعمالهم لها ولأنها تشكل مادة لصياغة الصور ، " أمَّا معناها الحقيقي عنده فغامض لا يمكنه فهمه إلا من خلال تلك الاقترانات " [2] .

ويشكل كف البصر عائقاً أمام الكفيف في مجال الحركة ، إذ لا يستطيع الحركة بخفة وسهولة وحرّية ،ولا بد له من الاستعانة بمرشد يقوده ،وغالباً ما تكون العصا هي المرشد، وربّما يكون أحد الناس أو الأقارب مرشداً له ، وفي بعض الدول يستخدمون الحيوانات كالكلاب لإرشاد المكفوفين .

مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويلازم الكفيف في مجال الحركة شعور بالخوف والقلق خشية التعثر والاصطدام بالناس أو المخلوقات أو بشيء أمامه ، فيحاول إزالة ذلك القلق مستعيناً بحواسه المختلفة أثناء حركته ، وهو بذلك يبذل جهداً وطاقة تفوق بكثير ما يبذله المبصر مما يؤدي به إلى أن يكون أكثر تعرضاً للإجهاد العصبي والشعور بعدم الأمن وخيبة الأمل التي تسبب التوتر وتؤثر في صحته النفسيَّة [3] ، فهو لا يمشي إلا بمرشد ، ولا يستطيع التعرّف على الأشياء المحيطة به ، "

---

[1]- مختار حمزة ، سيكولوجية المرضى وذوي العاهات ،دار المعارف، القاهرة، 1956، ص124 .

[2]- مختار حمزة ، سيكولوجية المرضى وذوي العاهات ، ص 124 .

[3] - سيد خير الله وزميله ، سيكولوجية الطفل الكفيف ، ص 41

فالحركة ليست مجرد انتقال من مكان إلى آخر بقدر ما تتضمنه من تفكير وربط علاقات بين الأشياء التي يتحرّك فيها"[1].

ويعاني الكفيف من مشكلات نفسية كثيرة في نطاق أُسرته ومجتمعه ، ويختلف عن المبصرين ولا يتساوى معهم في المعاملة ، إذ تعامل الأُسرة المبصرين معاملة طبيعية ، أما وجود شخص كفيف بين أفرادها " فإنه يُسبب في بعض الأحيان مشاكل مختلفة وخاصة عندما يكون الوالدان غير مستعدين لتقبل العمى كحقيقة واقعة ، والذي ربما يكون مصدراً لمضايقات في حياة الأُسرة [2] . إن مجرّد شعور الكفيف بأنه مصدر مضايقة لأسرته يؤثر في نفسيته سلباً وينعكس في سلوكه تجاهها .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الإسلامية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وإذا كانت الأُسرة تجد صعوبة في التعامل مع كفيف بين أفرادها فإن الصعوبة على الكفيف تكون أكبر لأنّ " سلبيَّة موقفها تؤدي في كثير من الأحيان إلى إعاقة نموه طبيعيَّاً واجتماعياً ونفسياً"[3].

ويواجه الكفيف صعوبة في التكيف مع البيئة المحيطة به ، فهو لا يستطيع التكيف مع أفرادها بسهولة ، "فمواقفهم تتباين بين سمات المساعدة والمعاونة المشوبين بالإشفاق ، وبين المواقف التي تغلب عليها سمات الإهمال وعدم القبول " [4] ، ونتيجة لهذا التباين في المعاملة يعاني الكفيف من القلق والاضطراب فهل سيقبله الآخرون ويتعايشون معه بسهولة أو أنهم سيرفضونه لعجزه ؟

ويترتب على تباين معاملة الأفراد للمكفوفين جملة من الآثار السلوكية مثل :

---

[1]- المرجع نفسه، ص30.

[2]- لطفي بركات أحمد، الفكر التربوي في رعاية المكفوفين ،مكتبة الخانجي، القاهرة، 1987 ، ص 157.

[3]- المرجع نفسه، ص 166.

[4]- سيد خير الله، سيكولوجية الطفل الكفيف ، ص 31

السلوك التعويضي أو الزائد عن الحدّ ، والسلوك الإنكاري (إنكار وجود العمى) ، والميل نحو الانطواء ، والسلوك التبريري ، والسلوك الدال على عدم التكيف[1].

وتمثّل الأنماط الأربعة الأُولى محاولات للتكيّف ، بعضها غير مقبول اجتماعيّاً ، كالميل نحو الانطواء، لأن ذلك يعني الاقتصار على نواحي السلوك الفردي كاللجوء إلى التأملات الواسعة التي تتحاشى مواجهة العالم الواقعي[2]. وتؤكد لنا الأنماط السلوكية السابقة أن فقدان البصر يكوّن عند الكفيف عقدة نقص يحاول جاهداً التخلص منها ، فعندما يلجأ إلى التعويض مثلاً يحاول أن يثبت لنفسه ولغيره أن النقص لا وجود له وأنه مساو للمبصرين إن لم يكن متفوّقاً عليهم ، ولأجل هذه الغاية يحاول الكفيف استغلال طاقاته العقلية والجسمية كافة ويلجأ إلى السلوك التبريري " لمواجهة الصراع والمخاوف التي يتعرّض لها ، فيحاول أن يثبت لمن حوله أن تصرفاته معقولة وتقوم على أساس الدوافع المقبولة [3]، فيبرّر أخطاءه في كثير من الأحيان بأنه عاجز وكفيف مع أن عجزه قد لا يكون له دخل كبير فيما ارتكب من أخطاء [4] .

وبوجه عام فإن أهم ما يميّز شخصيّة الكفيف من الناحية النفسيّة ما يلي[1]:

1- أنه كثير المخاوف وعلى الأخص من التعرّض للأخطار .

2- أكثر تعرّضاً للقلق .

3- أكثر شعوراً بقلّة الحيلة والعجز والنقص .

4- ملامح السلوك الدفاعي أوضح في سلوكه من المبصر .

5- إن فكرة الكفيف عن نفسه تتأثر بنوع العلاقة بينه وبين البيئة .

---

[1]-مختار حمزة، سيكولوجية المرضى وذوي العاهات ، ص 121 .

[2]- سيد خير الله، سيكولوجية الطفل الكفيف ، ص 31

[3]- مصطفى فهمي،الصحة النفسية ،دار الثقافة، القاهرة،ط2 ،1967، ص 200 .

4_ سيكولوجية الطفل الكفيف ، ص 47 .

6- نظرته للبيئة الخارجيّة تتأثّر بنوع المواقف التي تقفها الجماعة منه .

ولا بد لنا من الإشارة إلى أن المكفوفين ، وإن اتفقوا في كف البصر ، إلا أنه لا يوجد اثنان من المكفوفين يتشابهان في صفاتهما ، فالاشتراك في فقدان البصر لا يتبعه اشتراك في الميول والقدرات ، ولكل كفيف فرديته ، ولكل صفاته الخاصة ، ولكل استجابته الخاصة [2] ، إذاً فمواقف المكفوفين السلوكية تختلف من كفيف إلى آخر ، كل بحسب طبيعة شخصيته ، فقد يضيق بعض المكفوفين من عاهتهم ، وقد تشكل لديهم معاناة مريرة تدفعهم في بعض الأحيان إلى"الهروب من الواقع والاعتزال عن الآخرين [3]، وقد يتخذ بعض المكفوفين موقفاً مختلفاً عن الموقف السابق ، موقفاً هجومياً حادّاً يُشهر فيه الكفيف " العداء لمجتمع المبصرين "[4].

وللتدليل على المواقف السابقة من واقع المكفوفين نمثل بنماذج من أُدباء ، مكفوفي البصر ، فلا نذكر العزلة والتشاؤم إلا ويحضرنا المعرّي وقوله :

تعبٌ كلها الحياة فما أعـ جبُ إلا من راغبٍ بازدياد[5]

ولا نذكر العداء لمجتمع المبصرين وانتقادهم إلا ويُذكر طه حسين ومحاولته هدم القمم والانتقاص من شأن الآخرين ، ولنا في تشكيكه بالشعر الجاهلي [6] ، وطعنه في عروبة المتنبي ما يدلل على ذلك [7] .

---

[1]- المرجع نفسه ، ص 47 .

[2]- محمد مصطفى أحمد ، الخدمة الاجتماعية في مجال رعاية المعوقين ، ص 138 .

[3]- سيد خير الله سيكولوجية الطفل الكفيف ، ص 46 .

[4]- المرجع نفسه ، ص 93 .

[5] - شروح سقط الزند، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1948، ص177.

[6] - ينظر موقف طه حسين من الشعر الجاهلي في كتابه (في الأدب الجاهلي)

[7]- طه حسين، مع المتنبي ، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1936، ص18.

ولا نذكر سلاطة اللسان وحدّة الهجاء للآخرين إلاّ ويذكر بشّار بن برد إِن مواقف بعض المكفوفين السلوكية سواء تجاه عاهتهم أَو تجاه الآخرين فيها من السلبية ما لا نستطيع تجاهله لا سيما عندما يصل الأمر بالكفيف إِلى تجريح الآخرين وانتقادهم أَو تشاؤمه من الحياة والخـــروج منها، إِلا أَننا نجد أَن فيها من الإِيجابية ما لا يمكن إِنكاره ، فالمعري في عزلته أَبـــدع رســـالة الغفران – على وجه التمثيل لا الحصر – التي تعد من عيون الأَدب العربي ، تأَثر فيها أُدباء من العرب وغيرهم ، وطه حسين في محاولته التفوق على المبصرين كوّن لنفسه كياناً أَدبياً ونقدياً ، أَثمر بجعله رأس مدرسة في الأَدب والنقد[1].

لم تكن العاهة في يوم من الأَيام عائقاً عن الإِبداع والتفوق بل على العكس من ذلك فإنها ربّما تشكل دافعاً من الدوافع الأَساسية للإِبداع عند المبتلى بها " فالنبوغ إِنما ينتج عـــن شـــعور بالنقص خاصّة النقص العضوي مما يدفع العبقري إِلى أَن يواجه بشجاعة هذا الشعور بالنقص ، عن طريق التعويض الذي يدفـــع صاحبه إِلى التفوق في ناحية أُخرى [2] .

وثمة طريقان تتحول العاهة من خلالهما إلى إبداع فنيّ وأدبي وعلميّ وغيره ، أولاهما أن العاهة كما بيّنا سالفاً تؤدي إلى القلق ، والقلق كما أجمع الدارسون قديماً وحديثاً يولّد الإبداع [3]، وثانيتهما أن الشخص الذي يصاب بعاهة من العاهات يحاول أن يسدّ النقص الذي يشعر به عن الآخرين فيعمل على أن يتميز عنهم ويتفوق عليهم بموهبة ما ، فالخلق الفني ليس في جميع

---

[1] - محمد صادق الكاشف،طه حسين بصيراً ، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1987 ، ص 237 .

[2] –حسن أحمد عيسى، سيكولوجية الإِبداع ،مطبوعات المركز الثقافي في الشرق الأوسط، طنطا،1994 ،ص 165

[3] – الصحة النفسية ، مصطفى فهمي ، ص 189 .

تجلياته إلا ظاهرة بيولوجية نفسية ، وليس إلا تعويضاً تصعيديّاً عن رغبات غريزيّة ظلّت بـــلا ارتواء بسبب عوائق في العالم الداخلي والخارجي [1] .

ولا تخرج عاهة العمى عن هذا الإطار،إذ تدفع الكفيف إلى التميز والإبـــداع وتعوضـــه بكثير من المهارات التي يفتقر إليها كثير من المبصرين ، " فقلَّ أن وجد أَعمى بليداً ، ولا يرى أَعمى إلاّ وهو ذكي [2] وقد يكون سبب هذا الذكاء " أَن عدم النظر يقوي ذكاء القلب ويقطع عن الشغل بما ينظر إِليه من الأَشياء ، فيتوفر حسه وتذكو قريحته "[3].

أَما عن طبيعة الإِبداع عند المكفوفين فقد لاحظنا من خلال قراءتنا حول المكفوفين ، أَن مجالات الإِبداع عندهم تنحصر في ميادين محدّدة تشمل المجالات التي تعتمد على التأَمل والحفظ والإِبداع العقلي على وجه الخصوص ، فقد أَبدع كثير منهم في رواية الحديث، وعلم القراءات ، ويفـــسر لنا طه حسين سبب التميز في هذه المجالات دون غيرها، بأَن فقدان البصر يحدد حياتـــه – أَي الكفيف – في أَكثر الأَحيان فيرسم له طريقاً لا يعدوها وهي طريق الدرس وتحـــصيل العلـــم .. ذلك لأَن ذهاب بصره قد حال بينه وبين التماس العيش من طريق التجارة أَو الصناعة أَو غيرها من مذاهب الحياة التي تحتاج إِلى إِبصار .. وإِنما يستطيع أَن يدرس العلوم العقليـــة ، والدينيـــة وأَن يكون راوياً للأَدب ، والتاريخ ونحوهما[4].

ونستطيع من خلال آراء علماء النفس حول دوافع الإِبداع وكلام طه حسين عن طبيعـــة الإِبداع عند المكفوفين، أَن نقف على بعض دوافع الإِبداع الأَدبي والشعري خاصة عند المكفوفين ، الذي يتصل اتصالاً وثيقاً بعاهة العمى عندهم ، فالشاعر الكفيف يحاول أَن يبدع ويتميز كـــي

---

[1] – سامي الدروبي ،علم النفس والأدب ، دار المعارف ، القاهرة، 1971، ص88

[2] – صلاح الدين الصفدي، نكت الهميان ،مكتبة الثقافة الدينيّة، القاهرة، ص 83 .

[3] – أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، جـــ 3 ، ص 142 .

[4] -طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء، دار المعارف، القاهرة، ط1963،6،ص114.

يتخلص من عقدة النقص التي يورثها له العمى ، فيتوسل بكل ما أُوتي من قدرات عقلية وجسمية كي يتساوى بالمبصرين ويتفوق عليهم كما فعل بشار بن برد فالصورة في كثير من قصائده تشعر قارئها بأن ناظم الأبيات مبصر ، لا بل مبصر حاد البصر قوي الملاحظة كيف لا وهو القائل :

كأَن مثار النقع فوق رؤوسنا وأَسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه [1]

إِن الناظر في نماذج من أدب المكفوفين شعراً أَو نثراً يلمح أَن كف البصر دافع من دوافع تميزهم وإِبداعهم ، ففي حين ينظر علماء النفس إِلى الأَثر السلبي الذي يتركه العمى عند الكفيف نجد في المقابل أَن كثيراً من الشعراء المكفوفين يعزون تفوقهم وإِبداعهم إِلى العمى ، يقول ابن عباس :

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

إِن يأَخذ الله من عينيّ نورهما ففي لساني وسمعي منهما نور

قلبي ذكيٌّ وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف مأَثور [2]

فكأَن الشاعر بعد أَن عمي أَصبح يبصر بجوارحه الأُخرى ، وكأَن نور عينيه انتقل إِلى لسانه وسمعه فأَصبح يبصر بهما بدلاً من عينيه اللتين غار نورهما .

ويجعل بشار بن برد من العمى سبباً في ذكائه وتفوقه العلمي :

عميت جنيناً والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم معقلا

وغاض ضياء العين للعلم رافداً لقلب إِذا ما ضيَّع الناس حصَّلا [1]

فهو يرى أَن عماه جعله يتفوّق على غيره من المبصرين ، فأَصبح يدرك بفضله ما لا يستطيعون إِدراكه .

---

[1]- ديوان بشار بن برد ، ج2 ، ص 237 .

[2]- نكت الهميان ، ص 71 .

ويعزي الخريمي نفسه لفقدان بصره فيقول :

فإنْ تَكُ عَيْني خَبَا نُورُها فَكَمْ قَبْلَهَا نورُ عــينٍ خــبَــا

فلم يعم قــلبي ولكــنمــا أَرى نور عيني لقلبي ســعى

فأســرج فــيه إلى نــوره سراجاً من العلم يشفي العمى [2]

إن نور العين عنده قد انتقل إلى قلبه فأَصبح سراجاً للعلم تشفى به القلوب من عماها .

إن طبيعة هذا البحث تستوجب علينا فهم الأَثر النفسي لكف البصر على المكفوف ، لــذا كان لا بد من هذا المدخل النفسي لنحاول من خلاله فهم نفسية الشعراء المكفوفين في الأَندلس ، وكيف أَثر كف البصر في تعاملهم مع البيئة من حولهم ، وكيف أَثر في موضوعاتهم الــشعرية وأَساليبهم الفنية .

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولقد اهتم المجتمع الأندلسي بتعليم المكفوفين ومساعدتهم كثيراً ، وذلك من خلال ابتكار الوسائل التعليمية التي تساعدهم على القراءة والكتابة ، فقد أشار ابن حزم الأندلسي إلى بعــض الطرق التي كانت تستخدم في تعليم الأطفال المكفوفين القراءة والكتابة فيقول : " ولقد أخبرنــي مؤدبي أحمد بن عبد الوارث – رحمه الله – أن أباه صوّر لوالد كان له ولد أعمى أكمه حروف الهجاء أجراماً من قير ، ثم ألمسه إيّاها حتى وقف على صورها بعقله وحسه ، ثم ألمسه تراكيبها وقيام الأشياء حتى تشكل الخط وكيف يستبان الكتاب " [3].

---

[1] -ديوان بشار بن برد ، بشرح حسين الحموي ، دار الجيل بيروت ، ط1، 1996، ج 2 ، ص 472 .

[2]- ديوان الخريمي ، جمعه وحققّه علي جواد الطّاهر، ومحمد جبار دار الكتاب الجديد، 197ص 11 .

[3]- ابن حزم الأندلسي ،رسائل ابن حزم الأندلسي ، تحقيق إحسان عبّاس ، المؤسسة العربيّة، بيروت، 1980، جـ4، ص335 .

وقد وصف عدد من القصائد الأندلسية[1]طريقة القراءة عند المكفوفين مما يؤكد لنـــا أن القراءة عند المكفوفين في الأندلس لم تكن حالة فردية كما ذكر ابن حزم وإنما كانـــت ظـــاهرة مألوفة، فقد وصف ابن خميس المالقي " قارئاً يقرأ ما يكتب له تحت أثوابه باللمس من غيـــر أن يعاين ما في الطرس مكتوباً " فيقول في أبيات من هذه القصيدة :[2]

مزية فاضت بأعضائه	**فانقلبت فيه إلى حســـه**
كأنما قـــوة إبصـــاره	**قد نُقِلتْ منه إلى لَمسْه**
كأنما الحرف له نابضٌ	**وهو كجالينوس في جسّه**

ومن مظاهر عناية المجتمع الأندلسي بالمكفوفين ، وجود أفراد يرافقون المكفوفين فـــي تنقلاتهم ، وارتبط لقب عدد من هؤلاء المرافقين بالعميان الذين كانوا يرافقونهم فلقب أحدهم بعصا الأعمى* ، ولقب ابن جابر الضرير وأبو جعفر بالأعمى والبصير .

وأما فيما يتصل بالأدباء المكفوفين الأندلسيين وأثر كف البصر في نفسيتهم وانعكاســـه على أدبهم ، فإننا نتعرف على ذلك بعد دراستنا لحياتهم وموضوعاتهم الـــشعرية ، وخـــصائص أساليبهم الفنية .

---

[1]– وقف الدكتور صلاح جرّار على نماذج مختلفة من هذه القصائد وناقشها في بحث بعنوان " طريقة القراءة عند المكفوفين بصرياً في قصائد من الشعر الأندلسي " نشر هذا البحث في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني .

[2] - ابن خميس المالقي أدباء مالقة ، تحقيق صلاح جرّار، دار البشير ومؤسسة الرّسالة، ط1 ،1999، ص179 .

*– الأعمى هو الأديب أبو العباس التطيلي ، وعصاه أبو القاسم المنيشي ، سنعرّف بهم في هذه الدراسة لاحقاً .

الفصل الأول

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

الشعراء المكفوفون في الأندلس

يشتمل هذا الفصل على تعريف بالشعراء المكفوفين في الأندلس وقد وقفتُ على سبعة وعشرين شاعراً منهم ، ولد بعضهم مكفوفاً ، بينما كفّ بصر بعضهم خلال سنوات عمرهم. وقد صنّفتُ الشعراء الأندلسيين المكفوفين في هذا الفصل حسب كثرة إنتاجهم الشعري أو قلته إلى ثلاث فئات :

أولاً : الشعراء المكفوفون أصحاب الدواوين .

ثانياً : الشعراء المكفوفون المكثرون .

ثالثاً : الشعراء المكفوفون المقلّون .

وقد عرّفت بالشعراء في كل فئة بحسب تاريخ وفاتهم، وأما الذين لم نعثر على تاريخ وفاتهم ، فقد عرّفت بهم مرتّبين هجائياً بعد التعريف بالشعراء الذين عرفت سنة وفاتهم .

أما الحكم على الإنتاج الشعري للشعراء المكفوفين بالكثرة والقلة ، فكان بحسب ما وصل إلينا من أشعارهم ، فقد يكون للشاعر الكفيف إنتاج شعري غزير ونضعه في فئة الشعراء المقلين ، لأن ما وصل إلينا من شعره قليل .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الشعراء المكفوفون أصحاب الدواوين :

وقفت هذه الدراسة على دواوين ثلاثة من الشعراء الأندلسيين المكفوفين هم: أبو الحسن الحصري القيرواني، والأعمى التطيلي، وأثير الدين ابن حَيَّان الغرناطي.

1- الحصري :

هو أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري الحصري القيرواني الشاعر الضرير ، يرجع نسبه إلى قبيلة فهر القرشية التي سكنت القيروان [1] ، وذكرها الحصري في شعره غير مرّة، من ذلك قوله في رثاء ابنه عبد الغني:

أَقُرَّةَ أعْيُنِ الأَشْرافِ فهرٍ وجَدُّكَ مِنْهُمُ المحْضُ الصَّريح [2]

وقوله:

يا طِفْلَ فهرٍ لا عَزَاءَ لَهُمْ إن كُنْتَ في أَشْرَافِهِم لَفَتَى [3]

وقوله:

بذَذْتَ الكهول الغرّ حلماً وسؤددا كذاك عهدنا فهر للناس بُذَّذا [4]

ويشترك مع أبي الحسن الضرير في لقبه " الحُصْري " أديب آخر مشهور ، هو أبو إسحق إبراهيم بن علي بن تميم القيرواني الشاعر المشهور صاحب كتاب " زهر الآداب " وهو ابن خال الحصري الضرير ، ولقّب بالحصري نسبة إلى صناعة الحُصُر ، وقيل نسبة إلى قرية " حُصْر " وكانت قرب القيروان[5] . أما الحصري الضرير فإن المصادر التي ترجمت له لم

1- ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عبّاس دار صادر، بيروت، 1972،ج3، ص331.

2-الحصري، ديوان اقتراح القريح، تحقيق محمد المرزوقي والجيلاني الحاج، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط 2، 1974، ص106.

3- المصدر نفسه91.

4- المصدر نفسه116.

5- ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج1، ص54.

تذكر سبب تسميته بالحصري إلا أن بعض المراجع الحديثة قالت في نسبته ما قيل في سبب نسبة الحصري أبي إسحق التي أوردها ابن خلكان .

ويجتمع الحصريان في النسبة إلى مدينة القيروان ، لكن الحصري الضرير كان من المشهورين الذين عبروا إلى الأندلس " بعد نكبة القيروان وخرابها في منتصف المائة الخامسة من الهجرة[1] . وتنقّل الحصري الضرير بين مدن الأندلس وانتجع ملوكها حتى " تهادته تهادي الرياض للنسيم وتنافسوا فيه تنافس الديار في الأنس المقيم[2]" .

وجمع الحصري في معارفه وعلومه بين العلوم الدينية وعلوم العربية على اختلافها " فكان عالماً بالقراءات وطرقها ، وأقرأ الناس بالقرآن بسبتة " وكان عالماً بالتفسير والفقه والحديث ، وروايته متصلة بإمام هذا الفن أبي الحسن القابسي[3] .

ولا تقل معارف الحصري وعلومه في مجال العربية عن علومه الدينيّة إن لم تَفُقْها " فهو الأستاذ المقرىء اللغوي النحوي الشاعر [4] " الذي استطاع أن يجد لنفسه مكاناً بين علماء الأندلس في الوقت الذي كان فيه " الأدب نافق السوق ، معمور الطريق" [5] . ويصفه صاحب الصلة بأنه " شاعر أديب رخّم الشعر ، وشعره كثير وأدبه موفور" [6] .

---

[1] ابن بسّام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق مصطفى سالم البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ج4، ص148 .

[2] ابن بشكوال ، الصلة في تاريخ علماء الأندلس، شرحه وعلّق عليه صلاح الدين الهوّاري، المكتبة العصرية، بيروت ،ج1،ص245 .

[3] محمد المرزوقي، علي الحصري دراسة ومختارات، الشركة التونسية للتوزيع ،ط2 ، 1974 ، ص43 .

[4] ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري وحامد عبد الحميد وأحمد أحمد بدوي، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1953، ص16.

[5] الذخيرة ، ج4، ص149.

6 ابن بشكوال، الصلة، ص245.

لقد ترك الحصري من الآثار الأدبية ما يثبت أن الشهرة التي حظي بها لم تكن مجرّد كلام مدح به ، إنما شهدت له آثاره التي تركها بالتميز والإبداع ، ونذكر من أبرزها :

1- قصيدته الرائية التي نظمها في قراءة نافع وعدد أبياتها مائتان وتسعة أبيات ، ولقد حظيت هذه القصيدة باهتمام الأدباء فشرحت عدّة مرّات منها شرح أبي الحسن محمد بن عبد الرحمن ابن الطفيل المعروف بابن عظيمة المسمى بـــ " كتاب الفريدة الحمصية في شرح القصيدة الحصرية " [1] وشرح هذه القصيدة أبو محمد عبد الله بن محمد الصنهاجي المعروف بابن الأشيري [2] .

2- قصيدته المشهورة التي مطلعها :

يا ليلُ الصبِ متى غده أقيامُ الساعة موعده[3]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الإلكترونية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولقد بلغت هذه القصيدة شهرة كبيرة جعلت كثيراً من الأدباء في عصور مختلفة ينسجون على منوالها " فقد وازنها الفقيه نجم الدين موسى بن موسى .. أبو الفضائل المعروف بالقمراوي بقوله :

قد ملّ مَريضُـكَ عُـوَّدُهُ وَرَثَى لأسـيرِكَ حُسَّدُهُ
لم يُبْقِ جفاك سوى نَفَسٍ زفراتُ الشوق تُصعِّدُهُ[4]

وعارض هذه القصيدة مـــن العصر الحديث بيرم التونسي بقصيدة نظمها في مولـــد النبي – صلى الله عليه وسلم – حيث يقول :

---

[1]-ابن بشكوال، الصلة، ص364.

[2]-ابن بشكوال ، الصلة، ص304.

[3]-وردت القصيدة كاملة في كتاب الحصريان، ص169، 179ووردت بعض أبياتها في وفيات الأعيان، ج 3 ، ص 332، وفي كتاب علي الحصري ، ص169 ، 171.

[4]-ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج3، ص333.

اليوم الأسعد مــولده مصباح الدهر وسيده

لبيك رسول الله لقــد لبّاكَ الصخرُ وجلمده[1]

وعارضها أبو القاسم الشابّي بقصيدته التي مطلعها :

غنّاه الأمسُ وأَطــرَبه وَشَجَاه اليوم فما غدهُ؟

قد كان له قلبٌ كالطفلِ يــد الأحلام تُهدْهِــدُهُ [2]

3- ديوان " اقتراح القريح واجتراح الجريح " وهو عبارة عن مجموعة من المراثي التي قالها الحصري في ولده عبد الغني الذي توفي صغيراً وفجع به الحصري واحترق عليه قلبه ، فقال فيه هذه المراثي التي تعد " من أقوى الأسباب في شهرة الحصري [3] .

4- ديوان المعشّرات : وهو مجموعة من المقطوعات الغزلية مرتبة على حروف الهجاء كل حرف يختص بقصيدة ذات عشرة أبيات يبتدئ كل بيت منها وينتهي بذلك الحرف[4] .

5- المستحسن من الأشعار : وهي مجموعة من القصائد التي قالها الحصري في المعتمد بن عبّاد ، وقدّمها له في أسره بعد أن أضاف إليها قصيدة قالها بعد وقوعه في الأسر [5] .

6- وله مجموعة من الرسائل ، أورد ابن بسام جزءاً منها في كتاب الذخيرة . ورأى ابن بسام أن مستوى كتابة الحصري فيها قد تراجع بعد خلع ملوك الطوائف، ووصفها بقوله: " وتراجع طبعه ، وله على ذلك سجع يمج أكثره السمع لم يسمح نقدي أن أكتبه ولا رأيتني أرويه ، وما

---

[1]-يوسف المؤذن ، عالم النور، المطبعة العصرية ، تونس ، 1969، ص48.

[2]-ديوان أبي القاسم الشابي ص263.

[3]- محمد المرزوقي والجيلاني الحاج ، مقدمه المحقق، ديوان اقتراح القريح ، ص45.

[4]-محمد المرزوقي ، علي الحصري، وحقّق "المعشّرات" ونشرها محمد المرزوقي والجيلاني الحاج مع ديوان الحصري الموسوم بـــ" اقتراح القريح واجتراح الجريح".

[5]-المراكشي ، المعجب، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط1، 1998، ص101.

أراه يسلك إلا سبيل المعري [1] . وتختلف موضوعات هذه الرسائل فمنها إخوانية رد فيها على بعض أصدقائه ، ومنها ما هجا فيها بعض خصومه كالتي كتبها في هجاء أبي الحسن بن الطراوة ، وله أخرى اشتكى فيها لأبي الفضل بن حسداي من صهره ابن عياش [2] .

ويذكر صاحب الصلة [3] أن للحصري ديواناً شعرياً يبدو أنه قد ضاع أو لم يصلنا ، أو قد يكون قصد به أحد الدواوين السابقة. ومع أن كثيراً من الأدباء والنقاد كان قد استحسن أدب الحصري ومدحه إلا أننا نجد أن بعضهم قد أخذ عليه بعض المآخذ ، فأخذ عليه المراكشي أنه عندما قدم إلى المعتمد في أسره " جرى معه على سوء عادته من قبيح الكدية وإفراط الإلحاف " كما أخذ عليه أنه مع سرعة بديهته في الشعر ، كان قليل الجيد منه [4] . وأُخذ على الحصري أيضاً أنه كان ضيّق العطن مشهور اللّسن يتلفت إلى الهجاء تلفت الظمآن إلى الماء[5] ، ونعته الحميدي بأنه حديد الهجو [6] .

مركز ايداع الرسائل الجامعية

إن أغلب المصادر التي ترجمت للحُصْري لا تمدنا في كثير من الأحيان بمعلومات عن حياته الشخصية وجوانبها المختلفة نحو : ميلاده ، وإنتاجه الأدبي ، وإصابته بالعمى وأسبابها ، ووالديه ، وإخوانه ، وزوجته وأولاده .. إلخ من جوانب حياته الخاصة التي لا نجد عنها شيئاً إلا في آثار الحصري نفسه .

---

[1]- ابن بسّام ، الذخيرة ، جـــ4، ص149.

[2]-انظر نماذج هذه الرسائل في الذخيرة جـــ4 ص149 .

[3]- ابن بشكوال، الصلة ، ص 41 .

[4]- المراكشي، المعجب ، ص126 .

[5]- ابن بسّام الذخيرة ، جـــ4، ص149.

[6]-الحميدي ، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص497.

لقد فقد الحصري والدته – عمة الحصري أبي إسحق – صغيراً ، وهو لا يعرف عنها شيئاً [1] ولا نعرف عن والده أية معلومات غير بعض الأبيات الشعرية التي رثاه بها الحصري قبل جوازه إلى الأندلس نذكر منها :

أبي نيّرُ الأيـام بَعْدَك أظْلَما وَبُنْيانُ مَجْدِي يومَ متّ تَهدَّما
وَجِسْمِي الذي أبْلاهُ فَقْدُكَ إنْ أَكُنْ رَحَلْتُ به فالــقلبُ عِنْدَكَ خــيَّما[2]

أما زوجة الحصري وأولاده فقد ذكرهم في شعره كثيراً ، فوصف زوجته وعلاقته بها وبعض المواقف التي دارت بينهما وقال عندما رثى ابنه إنها تنتمي في نسبها إلى قبيلة قيس :

نجمُ أخــوالــك " قيــسٌ " يا ابن " فهرٍ " منكَ أحْوى [3]

ويذكر الحصري في شعره أن له من الأولاد ستة [4]، توفي منهم ثلاثة قبل وفاة ابنه عبد الغني ، وقال في فقدهم معزياً نفسه :

ثلاثةٌ قد أُصــيبَ فيــهمْ ووعْدي الحقُّ في انبعاث[5]

وكان ولده عبد الغني رابع إخوته المتوفين ، وأحبهم إلى أبيه وأقربهم إلى نفسه ، وكان الحصري قد فجع بوفاته كثيراً حتى إنه تمنى الموت فيقول :

كَرِهْتُ بَعْدَ الحبيبِ عَيْشي فهــلْ إلى مُنْيتــي سبيــلُ [6]

---

[1]-محمد المرزوقي، علي الحصري ص29 .

[2]– ابن بسّام، الذخيرة ، جـ4، ص161 ، ورد البيت في هذا المصدر مكسوراً وربما يكون الصواب " فإن القلب " بدلاً من " فالقلب".

[3]- الحصري ، ديوان اقتراح القريح ، ص227 .

[4]–محمد المرزوقي، علي الحصري ص94 .

[5]- الحصري، ديوان اقتراح القريح ، ص244 . محمد المرزوقي، علي الحصري ص94 .

[6]- المصدر نفسه، ص261 .

وولد للحصري بعد وفاة عبد الغني ابنة اسمها أم العلو أنجبتها إحدى جواريه ، وتمنّى الحصري أن يجد فيها سلواً عن فقدان ابنه عبد الغني[1] .

أما أصدقاء الحصري فقد عرفنا بعضهم من خلال المراسلات التي تبادلها معهم ، ودلّت على وجود علاقة صداقة جمعت بينه وبينهم ، ومن هؤلاء الأصدقاء : غانم بن المخزومي جمعت بينه وبين الحصري صداقة كشفت عنها الرسالة التي كتبها له الحصري وقال فيها " أبى صرف القضاء وشبه لسانك في المضاء ونظير صدرك ويديك في سعة المعروف والعلوم لديك، أن أكون من زوّارك فأقبس من أنوارك وأقطف من أنوارك يالباب أولي الألباب ... " [2]ومنهم ابن خَلَصَة الضرير ، كان صديقاً للحصري وتبادل معه الأشعار وقال فيه :

أيــا صــادقاً هُــواهُ إذا الــمدّعــون مانُــوا

فلم يَحْــوِ ما حــواهُ زمــانٌ ولا مــــكــانُ [3]

ومنهم أيضاً أبو العباس البلنسي المكفوف ، من أهل بلنسية تتلمذ على الحصري وروى عنه شعره وانقلبت هذه التلمذة إلى علاقة ود وصداقة [4] قال فيها الحصري :

ما زلت أذكره ولكن زدتني ذكراً وحسب النفس ذكر حبيبها

أهوى بلنسية وما سبب الهوى إلا أبو العباس أنسُ غريبها [5]

---

[1]-مقدمة الديوان ، ص76 .

[2]-ابن بسّام الذخيرة جـــ4، 152

[3]-المصدر نفسه جـــ3، 209 ، المغرب ، ج2، ص394.

[4]-محمد المرزوقي، علي الحصري ص72.

[5]-الحميدي ، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، جـــ2 ، ص418 .

وتتلمذ على أبي الحسن الحصري وسمع منه عدد كبير من طالبي العلم ، منهم :

1- أبو القاسم خلف بن محمد بن عبد الرحمن بن صواب اللخمي من أهل قرطبة [1] ، كان عالماً بالقراءات ، لقي الحصري في بلنسية سنة 481هـ ، وروى عنه قصيدته في قراءة نافع[2].

2- عيسى بن عبد الرحمن بن عقاب الغافقي ، تلا بالسبع على أبي الحسن الحصري ، وأجاز له الحصري قراءته ونظم في ذلك قصيدة قال فيها :

أجزت لعيسى السبع في ختمة قرا عليّ بها فليروِ ذلكَ وَلْيُقرِي[3]

3- محمد بن طاهر بن علي بن عيسى الأنصاري الخزرجي ، من أهل دانية لقي الحصري وأخذ عنه شعره [4] .

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

4- علي بن أحمد من أهل طرطوشة روى عنه [5]

5- عبد الكريم بن سعيد أندلسي روى عنه المعشرات[6]

وورد في المصادر كثير غيرهم .

وتجمع المصادر التي ترجمت للحصري على أن وفاته كانت في طنجة سنة 488هـ

---

[1]-ابن بشكوال الصلة ، 154 .

[2]-نفسه ، ص346 .

[3]-المراكشي ، الذيل والتكملة ، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت ، سفر 5 ، ج2، ص498.

[4]-نفح الطيب ، جـ2 ، ص353 .

[5]-تكملة الصلة ، جـ3، ص 177 .

[6]- المصدر نفسه، جـ3،ص 132.

2- الأعمى التُطيلي :

هو أحمد بن عبد الله بن هريرة القيسي التطيلي [1] الضرير المعروف بالأعيمى ، يكنى بأبي العباس وأبي جعفر [2] ، وينسب إلى تطِيلةُ وليس له فيها إلا النسبة إليها ، فقد نشأ في إشبيلية التي تعرف بحمص الأندلس ، ويرى بعض المحدثين أنه ربما ولد فيها أو هاجر إليها صغيراً [3] ، فقد ذكر في شعره أنه استوطنها ، أي اتخذها وطناً والوطن كما يقول ابن منظور المكان الذي تقيم فيه[4] يقول التطيلي :

فبالله ما استوطَنْتُها قانعاً بها ولكنَّني سيفٌ حواهُ قِراب [5]

و يبدو من هذا البيت وغيره من أشعار التطيلي أنه لم يكن راضياً عن إقامته في إشبيلية وأنه كان يفكر في الارتحال عنها ، يقول :

مَلِلْتُ حمص وَمَلّتني فلو نَطقَتْ كما نطقتُ تَلاحَيْنا على قَدَر

وَسَوَّلَتْ ليَ نَفْسي أنْ أفارِقَها والماءُ في المزن أَصْفَى منه في الغُدُر[6]

وقد يكون سبب سأمه من الإقامة في إشبيلية إهمال أهلها له ولعلمه وذلك حين قال :

نَبَتْ بيَ حِمصٌ جادَها كلُّ مُرْهِمٍ تُهِلُّ الرُّبا بالشكرِ أيَّانَ يَهْمَعُ

---

[1]-تطيلة بالضم ثم الكسر وياء ساكنة مدينة بالأندلس تقع شرقي قرطبة . انظر معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، جـ2، ص 33 .

[2]-وردت كنية التطيلي "أبو العباس" في : قلائد العقيان ص850، وبغية الملتمس ص187، والوافي بالوفيات جـ7،ص83، ورايات المبرّزين ص224، ووردت كنيته "أبو جعفر" في المغرب،جـ2،ص450 والذخيرة جـ 2،429، انظر ترجمته في هذه المصادر .

[3]-انظر مقدمة ديوان التطيلي .

[4]-لسان العرب ، ابن منظور ، مادة وطن .

[5]- ديوان التطيلي ، ص9 .

[6]-نفسه ، ص49 .

وما أخملوني لكنِ المجدَ أَخْمَلُوا وما ضيّعوني لكنِ العلمَ ضيّعوا [1]

ومع أن التطيلي ملّ إشبيلية واشتكى من الإقامة فيها إلا أنه وقف موقف المصلح والثائر على الفساد والظلم الذي كان قد فشا فيها ، وكانت لأهلها مكانة في نفسه كشفت عنها غيرته عليهم وحرصه على رفع الظلم عنهم ، ويخاطبهم التطيلي مستنهضاً هممهم بقوله :

فشا الظلم واغترَّ أشياعُهُ ولا مُسْــتَغاثٌ ولا مُشــْتكى

وطالت خُطاهُم إلى التُّرّهاتِ ألا قصّر اللهُ تلــكَ الخُــطــا

أيا أهلَ حمصٍ وقِدْماً دعوتُ وهل تَسْمعونَ إلـــى مَنْ دعا

يقلُّ لأقــداركُمْ كــلُّ شيءٍ فكيفَ رضيتُم بدون الــرِّضى[2]

ولا نجد في المصادر ما يؤكد أن التطيلي قد رحل عن إشبيلية واستقرّ في غيرها ، ويذكر أنه زار قرطبة وأنشد لنفسه فيها شعراً ، ومدح أبا القاسم بن حمدين أحد أعلامها،[3] أما ما أورده المقّري من أن التطيلي كان في مرسية وغادرها بسبب ملاحقة الصبيان له[4]، فيبدو أنه قد خلط بين أبي جعفر التطيلي وبين الأعمى المخزومي الذي حدثت معه هذه القصة ، فقد أورد ابن سعيد في كتابه المغرب الأبيات الشعرية التي ذكرها المقّري مع هذا الخبر وأنشدها للأعمى المخزومي [5].

---

[1]-ديوان التطيلي،ص79.

[2]-ديوان التطيلي، ص3،1.

[3]-السلفي، أخبار وتراجم أندلسيّة، تحقيق إحسان عبّاس، دار الثقافة بيروت ، 1963،ص16.

4-المقّري نفح الطيب، تحقيق إحسان عبّاس دار صادر، بيروت، 1997ج3، ص536.

5-ابن سعيد، المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، 1964ج1، ص231.

وفيما يتصل بأسرة التطيلي فإن أخبارها قليلة ذكر التطيلي ومضات منها في شعره، فقد وصف في إحدى قصائده امرأة رأى بعضهم[1] أنها أمه ، قال فيها :

وأُخْرى قد استفَّ الزّمانُ شبابها ولم يُرْوها أن الزمانَ لظــمآن

حناها فأمستْ كالهــلالِ وزادهــا صباحَ مشيبٍ غالها منهُ نقصانُ [2]

وإذا كانت هذه المرأة أمه بالفعل فإنه كان وحيدها ، كما يبدو من قوله :

بَكَتْ ولأمرٍ ما بَكَتْ أمُّ واحدٍ لها كلَّ يومٍ منْ تفقدهِ شانُ[3]

ويذكر التطيلي في بعض أشعاره امرأتين واحدة منهما اسمها زهر كانت تعاتبه لقعوده عن طلب الرزق .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

هَبَّتْ تُعاتبني زَهْرٌ وقد عَلِمَتْ أن العتابَ شجىً في القلبِ أو شجبُ

قالتْ: قعدتَ وقامَ الناسُ كُلُّهُمُ ألا يُعــَلِّــلكَ الإثــراءُ والــرّتــب[4]

أما الأخرى فاسمها آمنة كان التطيلي قد رثاها عند وفاتها بقصيدة منها :

أآمِنُ إن أَجْزَعْ عَلَيْكِ ، فإنّني رُزِئْتُكِ أحلى من شبابي وَمِنْ وفْري [5]

وآمنة هذه هي زوجة التطيلي توفيت صغيرة ، وأما زهر فهويتها تكاد تكون مجهولة ربما تكون زوجة ثانية للتطيلي غير آمنة التي رثاها .ويذكر التطيلي في شعره أن لديه ثلاثة أولاد[6] .

1-عبد الحميد الهرّامة، الأعمى التطيلي حياته وأدبه، المنشأة العامة، ليبيا 1983، ص32.

2-ديوان التطيلي ، ص222

3-نفسه ،ص222

4-نفسه ،ص16

5-نفسه ،ص71

6- سنعرض لأشعاره التي ذكر فيها ذلك في معرض دراستنا لغرض المديح في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

وإذا كانت حياة التطيلي الخاصة يكتنفها بعض الغموض فإن مكانته الأدبية معروفة، فقد كان أديباً شاعراً شهد له عدد من العلماء بالذكاء والفطنة وإجادة النظم والنثر ، يقول فيه ابن بسّام " له أدب بارع ، ونظر واسع ، وفهم لا يجارى وذهن لا يبارى .. وكان بالأندلس سرّ الإحسان وفرداً في الزمان " [1] وقال فيه الفتح بن خاقان " له ذهن يبصر الذي يخفى ويعرف رسم المشكل وإن عفا نظر الخفيّات بفهمه وقصر فكّها على خاطره ووهمه فجاء بالنادر الذي أعجز " [2]. وللتطيلي ديوان شعري حققه ونشره إحسان عبّاس، وضمّنه مجموعة من موشحاته، وعرّف في مقدمته بالشاعر وحياته وأورد نبذة من أخباره[3] .

وتفوّق التطيلي في ميدان الموشحات وأبدع حتى قيل في موشحاته آية إعجاز، وتطويل في البراعة وإيجاز ، وألفاظ أرق من الهواء مقسّم البدائع بالسواء من اختراع الطرائق والسبك البديع والمعنى الرائق حتى صار توشيحه مثلاً سائر الناس[4] . ومن طريف ما يروى عن تفوّق التطيلي الوشّاح وتقدمه على وشاحي عصره " أن جماعة من الوشاحين حين اجتمعوا في مجلس بإشبيلية وكان كل واحد منهم قد صنع موشحة وتأنق ، فتقدّم الأعمى التطيلي للإنشاد ، فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله :

ضاحكٌ عن جمان *سافرٌ عن بدر*

ضاقَ عنه الزمان **وحواه صدري**

خرقَّ ابن بقي موشحته وتبعه الباقون [5] .

---

[1]- ابن بسّام، الذخيرة جـ4، ص430 .

[2]-الفتح بن خاقان، قلائد العقيان، تحقيق حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، الأردن، ص850.

[3]-انظر ديوان التطيلي، تحقيق إحسان عبّاس، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، 1963.

[4]-لسان الدين بن الخطيب ، جيش التوشيح، تحقيق هلال ناجي، مطبعة المنار، تونس، 196، ص16.

[5]– المقّري، أزهار الرياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، 1943، ج2، ص208.

ويعدّ المقّري التطيلي من فرسان حلبة الوشاحين في عصر الملثمين ، ويصف موشحاته بالمذهبات ويمثل عليها بقول :

كيف الســـبيل إلـــى *صَبْري وفي المعالمِ أشجانُ*

والركب وَسْطَ الفلا **بالخرَّدِ النواعِمْ قد بَانـــوا** [1]

ويسجل صاحب دار الطراز إعجابه بموشحات التطيلي حين قدّمها على بقية الموشحات عندما افتتح بها كتابه دار الطراز[2] .

ويرى كثير من الدارسين أن إجادة التطيلي في فن التوشيح هي السبب في شهرته، كما يرون أن موشحاته فاقت أشعاره ، يقول إحسان عبّاس " ولعلّ التطيلي أحرز في عصره شهرة بالموشح أكثر من الشعر " [3] .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وينضاف إلى نظم التطيلي للشعر والموشحات نظم الأراجيز، فقد ذكر لسان الدين أن " له أراجيز حَبّر أساليبها وأجرى في شأو الإعجاز أعاجيبها" [4] ،وينضاف إلى إنتاجه الأدبي أيضاً بعض المقطوعات النثرية التي أوردها ابن بسام في كتابه الذخيرة ، ووصف ابن بسام نثر التطيلي بأنه "كالماء الزلال جاء فيه بالنادر المعجز في الطويل منه والموجز"[5].

وتجمع بين التطيلي وبعض أدباء عصره علاقة صداقة ومودة ، كتلك التي جمعت بينه وبين أبي القاسم المنيشي [6] الذي لُقّب بعصا الأعمى والذي كان قد " اقتفى آثار أبي العباس

---

[1]-المقّري، أزهار الرياض، ج2، ص208.

[2]-ابن سناء الملك، دار الطراز، تحقيق جودت الركابي، دار الفكر، دمشق، ط2، ص32.

[3]-مقدمة الديوان ، وانظر ما قاله رضوان الداية في كتابه مختارات من الشعر الأندلسي ص96 .

[4]-لسان الدين بن الخطيب، جيش التوشيح، ص16.

[5]-الذخيرة ، جـــ2، ص430 ، وانظر نماذج المقطوعات النثرية في المصدر ذاته .

[6]- أبو القاسم بن أبي طالب المنيشي وزير أديب شاعر ناقد من شعراء القرن السادس ، من قرية منيش إحدى قرى إشبيلية . انظر ترجمته في رايات المبرزين ، ص52 .

واهتدى ، وائتم به فافتدى واتبع غرضه واستقصاه ولزمه مصاحباً حتى سمي عصاه فحذا حذوه وكاد يدرك شأوه [1] .

ويبدو من خلال الرواية التي قيل فيها إن ابن بقــيّ وغيــره مــن الوشــاحين خرّقــوا موشحاتهم عند سماع موشحة التطيلي أن هناك علاقة بين التطيلي وأدباء عــصره ، إذ كــانوا يجتمعون ويتناشدون الأشعار والموشحات ، وجمعت بينه وبين ابن بقيّ مجالس أخرى غير الذي ذكر ، فقد دخلا مرّة حماماً وتناشدا فيه الأشعار فقال الأعمى :

يا حسن حمامنا وبهجته *مرأى من السحر كلّه حسن*

وقال ابن بقيّ :

حمامُنا فيه فَصْلُ القَيْظِ مُحْتَدِمُ *وفيه للبرد سِرٌّ غــيــر ذي ضــرر*

ضدّان يَنْعُم جِسْمُ المرءِ بَيْنَهُما **كالغصن يَنْعُمُ بينَ الشمسِ والمطرِ**[2]

ولا يجتمع التطيلي مع ابن بقي في المجالس الأدبية والشخصية فقط وإنما كانا يلتقيان في بعض الموضوعات الأدبية فقد " التقيا في التعبير عن الشكوى من إهمال الناس ، ومن الغربة وضياع الأدب ، ولهما في ذلك أشعار متشابهة المعاني[3]. ويشير ابن بسّام إلى بعض الأشعار التي اقترب فيها كلا الأديبين من الآخر ويمثّل بقول ابن بقي :

وما راعها إلا الزمام تــظنه **إذا ما تدلّى حَيّةً في المخاطم** [4]

وقول التطيلي :

---

[1]-لسان الدين بن الخطيب، جيش التوشيح، ص109.

[2]-انظر هذا الخبر في الذخيرة جــ2، ص 185،186 ، ونفح الطيب ، جــ3، ص374 .

[3]-عبدالحميد الهرامة ، الأعمى التطيلي حياته وأدبه ، ص82 .

[4]-الذخيرة جــ2، ص370 .

تخشى الزمام فتثني جيدها فرقاً كأنـــّهُ من تثني حَيّةٍ ذكـــر[1].

وكانت وفاة التطيلي كما ذكرها الصفدي في سنة خمس وعشرين وخمسمائة [2].

3- أثير الدين أبو حيان الغرناطي :

هو محمد بن يوسف بن علي بن حيّان الغرناطي الجيّاني [3] النفزي نسبة إلى نفزة قبيلة من البربر[4] ،ولد في مطخشارش في أواخر شوّال سنة أربع وخمسين وستمائة[5] ، ويرى المقّري أن مطخشارش ليست مدينة مستقلة بذاتها إنما هي موضع بغرناطة [6] .

وكان أبو حيّان جامعاً لمعارف وعلوم متنوعة شملت القرآن والحديث والتفسير والنحو، وكان " ثبتا فيما ينقله، محرّراً لما يقوله ، عارفاً باللغة،ضابطاً لألفاظها. وأما النحو والتصريف فهو إمام الدنيا في عصره فيهما لم يُذْكر معه أحد من أقطار الأرض وله اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع، وتراجم الناس وطبقاتهم وتواريخهم وحوادثهم " [7] .

وأخذ أبو حيّان هذه المعارف والعلوم عن شيوخ عصره في الأندلس وخارجها ، فقرأ القرآن على الخطيب عبد الحق بن علي بن عبد الله نحواً من عشرين ختمة ، ثم على الخطيب أبي جعفر بن الطبّاع ، ثم على الحافظ أبي علي بن أبي الأحوص بمالقة ، ثم قدم الإسكندرية

---

[1]-الذخيرة جـــ2، ص370 ، وديوان التطيلي، ص51 .

[2]-صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق، أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، جـــ7، ص83.وانظر نكت الهميان، ص110

[3]-ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة جـــ4، ص185 ، نكت الهميان ص280، الوافي، جـــ5 ص175 .

[4]-جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، جـــ2، ص280

[5]-نفسه

[6] -نفح الطيب جـــ2، 559 .

[7]-الوافي جـــ5، ص175 ، نفح الطيب جـــ2، 541 ، بغية الوعاة جـــ2، ص280 .

وقرأ القراءات على عبد النصير بن يحيى المربوطي ، ثم قدم مصر وقرأ على أبي الطاهر إسماعيل بن عبد الله المليجي ، ولازم الشيخ بهاء الدين بن النحّاس وأخذ عنه كتب الأدب[1] . وسمع الكثير على الجمّ الغفير بجزيرة الأندلس وبلاد أفريقية ، والإسكندرية وديار مصر والعراق ، ولم يكن يُرى من هو أكثر منه اشتغالاً واجتهاداً في طلب التحصيل والتقييد والكتابة ، ولا يرى إلا يسمع أو يشتغل أو يكتب وله إقبال على الطلبة الأذكياء والتزم ألا يقرىء أحــداً إلا أن كان في كتاب سيبويه أو في التسهيل لابن مالك أو تصانيفه[2].

وأخذ عنه أكابر علماء عصره وتقدّموا في حياته ، كالشيخ تقيّ الدين السبكي ، وولديه ، وابن قاسم ، وابن عقيل ، وناظر الجيش ، والسفاقسي ، وابن مكتوم ، والصفدي وغيرهم كثير[3] .

وجمعت بين أبي حيان والأمير سيف الدين أرغون النائب الناصري خصوصية فكان يبيت عنده وينبسط معه ، وعندما توفيت ابنة أبي حيّان طلب إليه أن يدفنها في بيته بالقاهرة فأذن له[4] . وكان أبو حيان ظاهري المذهب ثم تمذهب للشيخ الشافعي . وتولى تدريس التفسير بالقبة المنصورية والإقراء بجامع الأقمر في الديار المصرية[5] .

وترك أبو حيّان مصنفات في مختلف المعارف والعلوم التي برع فيها " وبلغت مصنفاته في العلوم المختلفة نحو 65 كتاباً لم يصل منها إلا نحو عشرة " [6] ، ونذكر من مصنفاته في

---

[1]- ابن حجر،الدرر الكامنة جـــ4، ص185، نكت الهميان 280 .

[2]– المقّري، نفح الطيب جـــ2، 540 .

[3]-الصفدي ، الوافي بالوفيات جـــ5، ص175.

[4] -نكت الهميان ، ص281 .

[5]-المصدر نفسه.

6- أحمد أمين، ظهر الإسلام، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة 1959، ج3، ص95.

مجال اللغة: تقريب التدريب في تمثيل التقريب، شرح كتاب سيبويه، الشذرة ، غاية الإحسان في علم اللسان ، منطق الخرس في لسان الفرس ، نور الغبش في لسان الحبش ..[1] ومن تصانيفه في العلوم الدينية : البحر المحيط ، الروض الباسم في قراءة عاصم ، مشيخة ابن أبي منصور ، غاية المطلوب في قراءة يعقوب ، وله ديوان شعري جمعه تلميذه صلاح الدين بن أيبك [2] وحققه في العصر الحديث أحمد مطلوب وخديجة الحديثي .

أما أسرة أبي حيّان فقد كانت متأثرة به ، فكان أفرادها ممّن طلب العلم وسمع من الشيوخ وقرأ عليهم ، فكانت زوجته زمرد بنت أبرق أم ولده حيان ، سمعت على الأُبْرَقُوهِي وغيره ، وحدّثت وسمع منها البرزالي ، وماتت أم حيان سنة 726هـ [3]. أما ولده حيان فكان قد سمع من الصوّاف وابن محذف ، وتلا بالسبع على أبيه وأجاز له وقرأ عليه معظم كتبه منها " غاية الإحسان في علم اللسان " [4] ، وكان ولده أبو حيان محمد ابن حيان من شيوخ ابن حجر الذين روى عنهم[5].

وكان لأبي حيان ابنة تسمى نضاراً وصفت بأنها " الفاضلة الكاتبة الفصيحة الخاشعة ، الناسكة وكانت تفوق كثيراً من الرجال في العبادة والفقه مع الجمال التام والظرف ، وأجاز لها أبو جعفر بن الزبير وحضرت على الدمياطي ، وسمعت من شيوخ مصر[6].

---

[1]-هذه نماذج من مصنفاته انظر بقيتها في بغية الوعاة جـ2، ص282 ، نكت الهميان ص282 .

[2]-الصفدي نكت الهميان ، ص281 .

[3]-انظر ترجمتها في الدرر الكامنة جـ2، ص208 .

[4]-ترجمته في الدرر جـ2، ص170 .

[5]-نفسه جـ4، ص189 .

[6]- نفسه جـ5، ص167 .

وأصيب أبو حيان بالعمى قبل وفاته التي كانت بمنـــزله بالقاهرة خارج باب البحر في يوم السبت الثامن والعشرين من صفر سنة 745 هـــ [1].ولم يذكر ابن حجر سبب إصابته بالعمى ولعله أصيب به لكبر سنه.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

[1]-نفسه جـــ4، ص189 . نفح الطيب جـــ2، 538 .

الشعراء المكفوفون المكثرون :

1- يحيى بن هذيل :

هو أبو بكر يحيى بن هذيل بن عبد الملك بن هذيل بن إسماعيل بن نويرة بن إسماعيل بن نويرة بن مالك بن نويرة التميمي الشاعر ، ولد سنة خمس وثلاث مائة ، وكان كفيفاً [1] .

كان من أهل العلم والأدب ، وغلب عليه الشعر فصار من المشهورين به[2]، ومن أشهر شيوخه الذين أخذ عنهم أبو بكر بن القوطية [3] ، وسمع من أحمد بن خالد ومحمد بن عبد الملك بن أيمن وقاسم بن أصبغ [4] .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وذكر ابن الفرضي الذي يعد من أشهر تلاميذ يحيى بن هذيل أنه " طال عمره فسمع منه بعض الناس ، وقريء عليه على سبيل الرواية " وقال ابن الفرضي إنه كتب عنه من حديثه وشعره وأنه أجاز له روايته [5] ، ويذكر ابن سعيد أنّ الرمادي اكتسب صناعة الأدب من شيخه أبي بكر يحيى بن هذيل [6] .

ومن أبرز ما يميز شخصية يحيى بن هذيل شاعريته ، إذ يرى ابن الفرضي وغيره ممن ترجم له أنه " شاعر وقته من غير مدافع " [7] . ويذكر أبو بكر " أن أوّل تعرضه للشعر إنما كان لأنه حضر جنازة أحمد بن محمد بن عبد ربه ، قال وأنا يومئذ في أوان الشبيبة ، ورأيت

---

[1]-ابن الفرضي ، تاريخ العلماء والرواة في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ، جـــ2، ص3،1، ، نكت الهميان ص308 .

2- الضبي ، بغية الملتمس ، ص509 .

[3]-المقّري،نفح الطيب ، جـــ3، ص74 .

[4]- الفرضي، تاريخ العلماء والرواة في الأندلس ، جـــ2، ص193 .

[5]-المصدر نفسه

[6]-ابن خلكان، وفيات الأعيان جـــ7، ص229 .

[7]تاريخ العلماء والرواة ، جـــ2 ، 193 .

فيها من الجمع العظيم ، وتكاثر الناس شيئاً راعني فقلت لمن الجنازة ، فقيل لشاعر البلد. فوقع في نفسي الرغبة في الشعر واشتغل فكري بذلك[1].

وذكر ابن الفرضي أن أبا بكر خلّف ديواناً شعرياً أجاز له روايته [2] وهذا الديوان لم يصل إلينا ، ومع ذلك فإنّ أشعاراً كثيرة لأبي بكر وردت متناثرة في المصادر المختلفة ، فقد ورد جزء كبير منها في كتاب " التشبيهات من أشعار أهل الأندلس " وفي كتاب " البديع في وصف الربيع " ، وقد جمع محمد الشوابكة هذه الأشعار في كتابه الموسوم بـــ" شعر يحيى بن هذيل القرطبي الأندلسي[3] توفي أبو بكر سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ، ولا يعرف عن أسباب إصابته بالعمى شيء[4]،وقد اختلفت الآراء في تحديد الفترة التي أُصيب فيها ابن هذيل بالعمى من حياته، فرأى الشوادفي الباز أنه أصيب بالعمى صغيراً[5] ، واستند محمد الشوابكة على رواية ابن الفرضي التي قال فيها إنه " ولد سنة خمس وثلاثمائة وكفّ بصره وأملى عليّ نسبه"[6] فرجّح أنه فقد بصره بعد أن تتلمذ عليه ابن الفرضي وبعد أن أجاز له رواية حديثه وديوان شعره [7] .ويبدو من شعر ابن هذيل أن رأي محمد الشوابكة هو الراجح، إذ لا نجد للعمى أثراً كبيراً فيه.

1-الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر علماء الأندلس ، ص344 .

2-ابن الفرضي، تاريخ العلماء والرواة في الأندلس ، جـــ2، ص193 .

3-محمد الشوابكة، شعر يحيى بن هذيل القرطبي الأندلسي، منشورات جامعة مؤتة،ط1،ص 196.

4- لم تذكر المصادر التي ترجمت له شيئاً عن ذلك انظر نكت الهميان ، ص308، معجم الأدباء،ج7، ص262، تاريخ العلماء والرواة،ج2، ص113.

5-الشوادفي الباز، عظماء قهروا الظلام، دار الندى ، القاهرة، 2000 ، ص97.

6-ابن الفرضي، ج2، ص193.

7-محمد الشوابكة، شعر يحيى بن هذيل،ص23.

2- أبو عبد الله بن الحنّاط :

وهو محمد بن سليمان الرعيني الكفيف ، يعرف بالحنّاط ويكنى أبا عبد الله ، كان أبوه يبيع الحنطة بقرطبة [1]، ونشأ ابن الحناط نشأة أعانته على أن يبلغ غاية من العلم الحديث والقديم ، وكان بنو ذكوان هم الذين كفوه مؤونة الدهر ، وفرّغوه للاشتغال بالعلم [2] .

وكان أبو عبد الله الحنّاط عالماً بالأدب ، قائماً على اللغة والعربية [3] ، متقدماً بالأدب والبلاغة والشعر وصفه ابن بسام بأنه " زعيم من زعماء العصر ورئيس من رؤساء النظم والنثر في ذلك الأوان [4]. وذكره ابن حيّان وقال : كان من أوسع الناس علماً بعلوم الجاهلية والإسلام ،وسائر التعاليم. ووصفه بفساد الدين ،ويقول في عماه إنه كان أعشى الحملاق طفيء نور عينيه بالكلية بعد القراءة الكثيرة فازداد براعة [5] .

مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولا تقف معرفة ابن الحنّاط وعلومه عند حدود الأدب واللغة والمنطق ، إنما كان طبيباً يتطبّب عنده الملوك والخاصة ، وَذُكِرَ أن الوزير أبا بكر بن ذكوان مرض له ولد جميل طبّه الحنّاط ، فلما خلا به يوماً سأله عن حاله ، واشتكى له الولد من طول العلّة فقال : أعرف دواء يريحك ، قال : وما هو قال ، تقبلني وآتيك به ، فاغتاظ الغلام ، وقبّله ، فقام ابن الحنّاط وأحضر له الدواء،وكشف عن عورته فاغتاظ الغلام وضربه بزبديّة كانت أمامه. وبلغت الحكاية أباه فضحك وقال : [6]

---

[1]- الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر علماء الأندلس ،جـ1 ، ص101، المغرب جـ1، ص121، الذيل والتكملة ، السفر السادس ، ص421 .

[2]- ابن سعيد،المغرب جـ1، ص121 .

[3]- الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر علماء الأندلس ،جـ1 ،ص121 .

[4]- ابن بسّام،الذخيرة ، جـ1 ، ص373 .

[5]-ابن سعيد، المغرب جـ1 ، 123 .

[6]-المصدر نفسه، جـ1 ، 122 .

كيف يرجو الحياء منه جليس ومكان الحياء منه خراب

أما إنتاجه الأدبي فقد ذكرت المصادر التي ترجمت له أن شعره كثير مجموع ، وأنه مدح الملوك والوزراء والرؤساء [1] . وله أيضاً أشعار ذهب إلى الإغراب فيها بنظمه على غير أوزان الشعر العربية المحفوظة،وله رسائل ومدائح منها: المهرجانية سماها "وشي القلم وحلي الكرم " خاطب بها الحاجب المظفر أبا بكر أبي محمد بن الأفطس ، ومنها " النيروزية " كتب بها إلى العالي الحمودي وسماها بـــ " نظم المعالي في الملك العالي "[2]. وله رسالة طردية طويلة وصف فيها الظباء وصيدها [3] . وعلاوة على هذه الرسائل النثرية أورد له ابن بسام مقطوعات نثرية في مواضيع مختلفة [4] .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وجمعت بين الحنّاط والأديب أبي عامر أحمد بن عبد الملك بن كثير بليغ وقته معارضات ومناقضات مشهورة ، وله معه أخبار مذكورة [5] .

وروى عن الحنّاط أبو عبد الله محمد بن مرغوب ، وأبو الأصبغ عبد العزيز بن خلف ، وأبو الوليد بن مهرون [6] .

وفي وفاة الحنّاط يقول ابن حيّان : " وفي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة نُعي إلينا الأديب القرطبي

---

[1]-الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر علماء الأندلس ، جـــ1، ص101 .

[2]-المراكشي، الذيل والتكملة السفر السادس ، تحقيق إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، 1973، ص223 .

[3]-العماد الأصفهاني، دمية القصر ، قسم شعراء الأندلس ،تحقيق أذرتاش أذرتاش، الدار التونسية، تونس، 1971، ص123 .

[4]-ابن بسام ، الذخيرة جـــ1 ، ص374 .

[5]-ابن الفرضي، جذوة المقتبس في ذكر علماء الأندلس ، جـــ1، ص 101 ، 102 .

[6]-المراكشي،الذيل والتكملة ، السفر السادس ، ص221 .

بقية الأدباء النحارير في الشعر ، هلك بالجزيرة الخضراء في كنف الأمير محمد بن القاسم بن حمود [1] .

3- ابن الفراء الأعمى :

وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفراء الجزيري الضرير ، يكنى أبا بكر وأبا عبد الله [2] . من فضلاء المائة السادسة ذكره ابن غالب في فرحة الأنفس في فضلاء العصر من الأندلس[3].

وكان الفراء شاعراً مجيداً ، يعلّم بالمرية القرآن والنحو واللغة ، وكانت فيه فطنة ولوْذعية ، وذكاء وألمعية خرق بها العوائد [4] .

حدّث الفراء عن أبي بكر المرستاني وغيره ، وقرأ عليه القاضي عياض كامل المبرد [5] .

وأورد له المقّري رسالة رد فيها على يوسف بن تاشفين عندما طلب من أهل المرية المعونة [6] . ووردت له أشعار في نفح الطيب وزاد المسافر وبغية الوعاة وغيرها .

وتوفي الفراء سنة خمسمائة [7] .

4- أبو بكر محمد المخزومي المدوّري :

أبو بكر محمد المخزومي المدوّري كان أعمى شديد القحة والشر ، معروفاً بالهجاء ، مسلطاً على الأعراض ، سريع الجواب ، ذكي الذهن ، فطناً للمعاريض سابقاً في ديوان الهجاء،

---

[1]-المغرب جـ1 ، ص123 .

[2]-السيوطي، بغية الوعاة ، جـ1، ص150 .

[3]-المقّري، نفح الطيب ، جـ3، ص386 .

[4]-المصدر نفسه .

[5]-السيوطي،بغية الوعاة جـ1،ص128 .

[6]-المقّري،نفح الطيب ، جـ3، ص386 .

[7]-السيوطي، بغية الوعاة جـ1، ص128 .

فإذا مدح ضعف شعره [1]، وينقل ابن سعيد عن المسهب أنه كان " بشار الأندلس انطباعاً ولسناً وأذاة [2] وكان لكثرة هجائه ووقوعه في الأعراض"مهيب الصولة مرهوب الجولة ، مخصوصاً بالتحايا والهدايا والطرف[3] .

قرأ المخزومي بقرطبة ثم جاب البلدان وأكثر الإقامة في غرناطة ، وتعرفّ فيها على شاعرتها نزهون وهجاها [4] مع أنها كانت كما ورد في بعض المصادر تقرأ عليه[5] ، وقال ابن الأبار إنه كان أستاذها [6] .

وتوفي المخزومي سنة إحدى وأربعين وخمسمائة [7].

5- السهيلي :

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن بن أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان الخثعمي السهيلي، من أهل مالقة، يكنى بأبي زيد وأبي القاسم وأبي الحسن[8]، والسهيلي نسبة إلى سُهيل قرية بالقرب من مالقة [9] .

قال عنه ابن خميس " هو الإمام العلم –رحمه الله – من جلّة العلماء وعليتهم ، كان

---

[1]-لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة ، جـ1،ص424 .

[2]–ابن سعيد، المغرب ، جـ1ـ ص228 .

[3]-العماد الأصفهاني، خريدة القصر ، قسم شعراء الأندلس ، ص154 .

[4]-ابن سعيد،المغرب ، جـ1ـ ص228 .

[5]–المقّري، نفح الطيب جـ4 ، ص297 .

[6]-ابن الأبّار ،تحفة القادم ،تحقيق إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986 ص237 .

[7]– العماد الأصفهاني، خريدة القصر ، قسم شعراء الأندلس ص154 .

[8]- ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة جـ3، ص32 ، الوافي ،جـ18، ص102،100 ، المطرب من أشعار المغرب ص83

[9]-ابن خلكان، وفيات الأعيان جـ2 ، ص323 .

عارفاً متفنناً ضابطاً حافظاً للغات والآداب[1]، وقال عنه المراكشي " كان عالماً بالقراءات واللغات العربية وضروب الآداب ، حافظاً للسير والأخبار والأنساب ، إماماً في الحفظ والذكر والإدراك مقدماً في الفهم والفطنة والذكاء ، له حظ وافر من قرض الشعر والتصرف في فنون العلم "[2] .

أخذ السهيلي معارفه وعلومه المتنوعة في اللغة والأدب والدين عن عدد كبير من شيوخ هذه العلوم فقرأ النحو على الأستاذ أبي الحسين بن سليمان بن الطراوة الشيباني ، وعلى الأستاذ النحوي الفقيه أبي محمد القاسم بن دحمان ، وقرأ القرآن بالمقارىء السبعة على المقرىء أبي داوود بن سليمان بن يحيى بمسجده بباب الجوز [3] ، وسمع أبا عبد الرحمن بن معمر وأبا بكر بن العربي وأبا عبد الله بن مكي وأبا عبد الله بن نجاح الذهبي ، وأجاز له أبو عبد الله بن أخت غانم ، وأبو بكر بن منذر [4] .

مركز ايداع الرسائل الجامعية

وتتلمذ على أبي القاسم وسمع منه وروى عنه خلق كثير منهم : ابن دحية صاحب المطرب أملى عليه كتابة التعريف ، وسمع منه وأنشد له شعراً كثيراً ، وأجاز له ولأخيه الحافظ أبي عمرو جميع مروياته ومسموعاته ومجموعاته[5] . وروى عنه بمالقة محمد بن رشيد بن عيسى بن أحمد بن علي بن باز [6] وروى عنه علي بن جابر بن فتح الأنصاري[7] .

---

[1]-ابن خميس المالقي أدباء مالقة ، تحقيق صلاح جرّار، دار البشير ومؤسسة الرسالة، الأردن، ط 1، 1999 ص252 .

[2]-ابن الأبّار، التكملة جـــ3 ، ص32

[3]-ابن دحية، المطرب ، ص321 .

[4]-ابن الأبار، التكملة ، جـــ3، ص32 .

[5]-المصدر نفسه، جـــ3 ، ص32،33، المطرب ص237، أدباء مالقة ،252 .

[6]-ابن دحية،المطرب ، ص237 .

[7]-المراكشي،الذيل والتكملة ، السفر السادس ، ص199.

وسمع منه عثمان بن حسن من أهل سبتة[1]. وغيرهم كثير .

ومن التصانيف المشهورة التي صنفها السهيلي " الروض الأنف في شرح السيرة لابن إسحاق ، وهو من أجلّ تواليفه دلّ به على سعة حفظه ومتانة علمه ، وكتاب " التصريف والإعلام بما أبهم في القرآن العزيز من الأسماء الأعلام " و " كتاب شرح آية الوصية " وكتاب " نتائج الفكر " . ولأبي القاسم عدد من المسائل منها ، مسألة رؤية الله تعالى في المنام ورؤية النبي .وله أشعار كثيرة متفرقة ،ورد جزء منها في المصادر التي ترجمت له[2] .

وكف بصر أبي القاسم وهو ابن سبع عشرة سنة ، وتوفي في مراكش ليلة الخميس من شعبان سنة 581 هـ [3] .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

6- أبو القاسم الشاطبي :

قاسم بن فيّرة بن أبي القاسم خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي المقري الفقيه الحافظ الضرير والشاطبي نسبة إلى شاطبة مدينة حصينة ، تقع شرق الأندلس ، وكانت ولادته في آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة[4] .

كان عالماً بكتاب الله قراءة وتفسيراً ، وبحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مبرّزاً فيه ، وكان إذا قريء عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ تصحح النسخ من حفظه ، وكان واحد أهل زمانه في علم النحو واللغة ، عارفاً بعلم الرؤيا حسن المقاصد مخلصاً فيما يقول [5] . وقال عنه السبكي " كان قوي الحافظة ، واسع المحفوظ فهيماً ، مقرئاً محدثاً نحوياً ، زاهداً ،

---

[1]-المراكشي ، الذيل والتكملة، سفر 5 جـ1، ص204 .

[2]-ابن الأبار،التكملة جـ3، ص،33، المطرب، ص237، أدباء مالقة، ص252 .

[3]-المصدر نفسه، ج3، ص34.

[4]-ابن خلكان، وفيات الأعيان ،جـ4، ص71، الديباج المذهب ، جـ2، ص149 ، نفح الطيب ، جـ2، ص23

[5]-ابن فرحون، الديباج المذهب ، جـ2، ص150 .

عابداً ناسكاً ، يتوقد الذكاء منه [1]، وقال عنه السخاوي ، أقطع أنه كان مكاشفاً ، وأنه سأل الله كتمان حاله ، ما كان أحد يعلم أي شيء هو [2] .

وروى عنه أبو الحسن بن فيُرة الخطيب ، وأبو بكر بن وضّاح ، وأبو عبد الله بن محمد بن يحيى الحنجالي[3] .

نظم الشاطبي قصيدة مشهورة في القراءات سمّاها " حرز الأماني ووجه التهاني" ، وعدد أبيات هذه القصيدة ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتاً ، ولقد أبدع فيها كل الإبداع ، وعدّت هذه القصيدة عمدة القراءات في زمنه [4] .

وعني بهذه القصيدة أناس كُثر ، شرحوها ونظموا على منوالها ، فاقتفى أثره فيها أبو محمّد الدّلاصي فنظم قصيدة جمع فيها مخارج الحروف مجارياً أبا القاسم في قصيدته [5] ونظم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن زكريا المعافري قصيدة على وزن الشاطبية في القراءات [6] . وقرأ الشاطبية أبو القاسم بن أحمد بن محمد القيرواني الشهير بالبرزالي على الفقية برهان الدين الشامي [7] وحفظها محمد بن الحسن بن مخلوف الراشد[8] ، وشرح الشاطبية أحمد بن علي بن محمد أبو العباس[9] ، وشرحها عبد الرحمن بن إسماعيل ابن إبراهيم الدمشقي المعروف بأبي شامة [10] .

---

[1]-المقّري، نفح الطيب جـــ2،ص24 .

[2]-ابن فرحون،الديباج المذهب ، جـــ2، ص24 .

[3]– ابن الأبار،التكملة ، جـــ4 ، ص74 .

[4]-ابن فرحون،الديباج المذهب جـــ2، ص149 .

[5]-الوادي آشي، برنامج الوادي آشي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982،ص185 .

[6]-المقّري، نفح الطيب جـــ2، ص216 .

[7]-ابن فرحون، الديباج المذهب ، جـــ1، ص266 .

[8]– نفسه ، 318.

[9]-ابن الأبار،التكملة جـــ2،ص108 .

[10]-الشرح بعنوان أبرز المعاني من حرز الأماني .

ونظم الشاطبي قصيدة في المقنع لأبي عمر الداني في خط المصحف [1] .

وكان الشاطبي من المغاربة الذين دخلوا مصر سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، وكان فيها نزيل القاضي الفاضل ، ورتّبه بمدرسة بالقاهرة متصدراً لإقراء القرآن الكريم وقراءاته والنحو واللغة ، وفي القاهرة توفي الشاطبي يوم الأحد سنة تسعين وخمسمائة ، ودفن في تربة القاضي الفاضل[2] .

7- محمد بن عبدالله الإشبيلي :

أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن قسوم بن أصبغ بن إبراهيم اللخمي الإشبيلي، ولد عام ثلاثة وخمسين وخمسمائة [3] .

كان أديباً بارعاً ، ناظماً ناثراً ، زاهداً ورعاً متبتِّلاً ، صحب في شبيبته بعض أمراء وقته ، ونال معه دنيا واسعة وجاهاً عريضاً ثم ترك ذلك زاهداً فيه وانقطاعاً إلى الله تعالى وتعويلاً على ما لديه[4] .

روى عن أبوي إسحق ابن أحمد بن سيد وابن ملكون ، وأخذ عنه العربية والآداب ، وعن العباس بن سيد وأكثر عنه ، وعن أبي عمران المارتيلي ، وأخذ عنه طريقته في التصوف ولازمه طويلاً وانتفع بصحبته ، وأجاز له أبو بكر بن الجد [5] .

وروى عنه أبو بكر بن سيد الناس ،وأبو الحسن الرعيني ، وأبو الحسن عبيد الله بن عبد العزيز بن القاريء وأبو عمرو بن أحمد بن عمريل ، وأبو القاسم عبد الكريم بن عمران والقاسم

---

[1]-ياقوت الحموي، معجم الأدباء ، جـ1 ،ص220 .

[2]-وفيات الأعيان ، جـ4، ص72 ، الديباج المذهب جـ2، ص150، 72 .

[3]-التكملة ،جـ2،ص144، برنامج شيوخ الرعيني ص93 .

[4]-المراكشي، الذيل والتكملة السفر السادس ، ص234 .

[5]-المصدر نفسه، والتكملة لكتاب الصلة جـ2، ص144 .

بن الطيلسان وأبو محمد طلحة [1] ، وأجاز لأبي الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني ولبنيه جميع رواياته وتواليفه[2].

ومن تصانيف أبي بكر: كتاب "محاسن الأبرار في معاملة الجبّار" وهو كتاب في فضلاء عصره ، وكتاب "النبذة المشتملة على شذور من المنظوم والمنثور" [3] . وله ديوان شعر ذكره الرعيني في برنامجه وقال " قرأت عليه ديوان شعره أجمع المؤلف على حروف المعجم [4] . ويبدو أن هذا الديوان لم يصل إلينا ، ومع ذلك فإن ما بين أيدينا من شعره غير قليل .

وكف بصر أبي بكر في آخر عمره [5]، وقال في ذلك شعراً، وتوفي سنة تسع وثلاثين وستمائة [6] .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

8- **ابن جابر الهوّاري** :

محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي، أبو عبد الله الهوّاري المالكي الأعمى، ولد بالمرية سنة 698هـ [7] .

قال عنه لسان الدين بن الخطيب " رجل كفيف البصر ، مدلّ على الشعر عظيم الكفاية والمنّة على زمانه " [8] .

قرأ القرآن والنحو على محمد بن يعيش ، والفقه على محمد بن سعيد الرندي ، والحديث على أبي عبد الله الزواوي [1] ،ورحل ابن جابر إلى المشرق وقد أصيب بنظره ، وصحبه أبو

1- نفسه ، والتكملة لكتاب الصلة جـ2، ص144 .

2-الرعيني، برنامج شيوخ الرعيني، تحقيق إبراهيم شبوح، مطبوعات مديريّة إحياء التراث القديم، دمشق، 196، ص193.

3-الذيل والتكملة ، السفر السادس ،244، التكملة لكتاب الصلة جـ2، ص144 .

4-الرعيني، برنامج شيوخ الرعيني ، ص92 .

5-ابن الأبّار، التكملة ، جـ2، 144 ، الذيل والتكملة السفر السادس 244 .

6-المراكشي، الذيل والتكملة السفر السادس ، ص252 .

7- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة جـ3، ص429 .

8- لسان الدين بن الخطيب ، الإحاطة في إخبار غرناطة ، جـ2، ص330 .

جعفر ، أحمد بن يوسف الغرناطي يعرف بأبي جعفر الألبيري [2] " وصارا روحين في جسد وشمّرا للكدية ،فصارت وظيفة الكفيف النظم ووظيفة البصير الكتْب [3] ونظم ابن جابر " الحلّة السيراء في مدح خير الورى " على قافية الميم وشرحها أبو جعفر ، ونظم ابن جابر فصيح ثعلب وكفاية المتحفظ وكان كثير النظم [4]. ولابن جابر ديوان شعري لم يحقق بعد [5]،وله أشعار كثيرة وردت في نفح الطيب وغيره من المصادر[6] وتوفي ابن جابر في جمادى الأولى من سنة 780هـ (7) .

- التطيلي الأصغر :

هو أبو إسحق إبراهيم بن محمد التطيلي الضرير، نشأ بقرطبة وسكن إشبيلية، وكان يعرف بالتطيلي الأصغر تمييزاً له عن أبي العباس التطيلي، واشتهر بالشعر بعد أبي العباس التطيلي الأعمى بزمان يسير[7].

مركز ايداع الرسائل الجامعية

أما تفاصيل حياته الخاصة كأسرته وثقافته وعماه ووفاته فإن كل هذه التفاصيل لم ترد في المصادر ، وفيما يتصل بإنتاجه الشعري فقد أورد له ابن الأبار شعرا في موضوعات متفرقة [8]

10- علي بن جامع الأوسي[9] الكفيف :

---

[1] -الدرر الكامنة جـ3، ص429 .

[2]-ترجمته في الدرر الكامنة جـ1،ص 361.

[3]-الإحاطة في إخبار غرناطة ،جـ2،ص330 .

[4]-الدرر الكامنة جـ3،ص 429 .

[5]-أشار عبدالحميد هرّامة إلى ذلك وذكر أنه يحيل القاريء إلى المصادر المتداولة، انظر: القصيدة الأندلسية، دار الكاتب العربي، طرابلس،ط2، 1999، ج2، ص64.

[6]- المقّري، نفح الطيب جـ7،ص333،302 والإحاطة 330-333 .

[7]-صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات ،جـ1، ص87، تحفة القادم ص39 .

[8]- ابن الأبّار تحفة القادم ص39،40،41 .

[9]-وردت في أدباء مالقة المرسي .

من أهل مالقة يكنى بأبي الحسن وكنّاه ابن الطيلسان بأبي بحر[1].

كان أستاذاً جليلاً عارفاً محققاً على الرواية [2]. أخذ القراءات عن أبي الحسن شريح بن محمد ، وعن أبي علي منصور بن الخير ، وسمع كتب الأنحاء واللغات والآداب من أبي الحسين بن الطراوة وأبي عبد الله مكي وابن أخت غانم[3] وروى عن أبي الحسن عبد الله المذحجي ، وأبي عبد الله بن يربوع ، وأبي العباس اليافعي وأصبغ بن علي بن أبي العباس[4].

أخذ عنه الحاج أبو بكر عتيق وغيره [5] ، وأقرأ مدة بمالقة ثم انتقل منها لباغُه وذلك بسبب مقامة صُنِعَتْ في ذم أعيان مالقة نُسِبتْ له فخاف من ذلك، وخشي أن يناله سوء بسبب ذلك فانتقل إلى لباغُه [6]. وسمع من المراكشي صاحب التكملة ، وروى عنه أبو جعفر بن أحمد بن محمد بن أصبغ وأخذ عنه العربية [7].

وكان علي بن الأوسي الكفيف ، نحوياً ماهراً ، أديباً ، شاعراً محسناً ، كاتباً بليغاً متفنناً[8] ، أورد له ابن خميس بعض نثره وأبياتاً متفرقة من شعره [9] .

---

[1]-ابن الأبّار، تكملة الصلة ،جـ3، ص209 ، الذيل والتكملة سفر خمسة ق1، ص202 .

[2]-ابن خميس المالقي، أدباء مالقة ، ص331 .

[3]-ابن الأبّار ، التكملة جـ3، ص209 .

[4]-المراكشي، الذيل والتكملة سفر خمسة ، ق1، ص202 .

[5]-أدباء مالقة ، 332 .

[6]-نفسه .

[7]-التكملة جـ3، ص209 .

[8]-الذيل والتكملة سفر 5 ، جـ1، ص202 .

9-أدباء مالقة ص332، 393 .

11- محمد بن خَلَصة[1] :

هو أبو عبد الله الشذوني نزيل دانية ، كان كفيفاً من كبار النحاة والشعراء [2] وكان شاعراً مجوداً مقدماً في علوم اللسان ، أخذ عن ابن سيدة ، وأقرأ العربية في دانية وبلنسية . وأخذ عنه أبو عمر بن شرف وأبو عبد الله بن مطرف الإشبيلي [3] .

قال عنه ابن بسام " كان أحد العلماء بالكلام وله حظ من النثر والنظام ، ولكنه بالأئمة العلماء أشبه منه بالكتّاب والشعراء ، وقد مرّت بي له أشعار يشير بها إلى البديع ويذهب فيها إلى التصنيع " [4] . وأورد ابن بسام فصولاً من كلامه في أوصاف شتى ، وجملة من أشعاره .

الشعراء المكفوفون المقلّون :

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

1- أبو المخشى[5] :

عاصم بن زيد بن يحيى بن حنظلة بن علقمة بن عدي بن زيد بن عدي التميميّ العبادي الجاهلي[6]، وأبوه زيد هو الداخل من المشرق إلى الأندلس[7] .

كان شاعراً مطبوعاً مجوّداً حلو الألفاظ بارع المعاني[8] بعيد الصيت على عهده غزير القول ، كثير النادر سَبْط اللفظ وكان من أعلام الجند ومقدميهم، ومادح بني أمية المخلّف فيهم

1-يشترك مع ابن خلصة الضرير في الاسم والكنية نحوي آخر هو ابن خلصة النحوي ، محمد بن عبد الرحمن بن خلصة ، انظر ترجمته في الوافي جـ3 ، ص 192 .

2-صلاح الدين الصفدي، الوافي جـ3، ص35 ، التكملة جـ1،ص319 .

3-ابن الأبّار، التكملة جـ1، ص319 .

4-ابن بسّام، الذخيرة جـ3، ص203 .

5-وردت كنيته " المخشبي " في الإحاطة جـ4، ص231 .

6-ترجمته في الوافي بالوفيات جـ16، ص323 ، الذيل والتكملة سفر 5 ، جـ1 ، ص102 ، الإحاطة جـ4، ص231 ، تاريخ افتتاح الأندلس، ابن القوطية، ص93.

7-الذيل والتكملة سفر 5 ، جـ1،ص102 .

8-نفسه .

قوافي الشعر المديح الشاردة [1] . وكان في لسانه بذاءة زائدة يتسرّع به إلى من لم يوافقه من الناس ، فيقذع هجوهم ، ويقذف نساءهم ويهتك حرمهم [2] ، وكانت بينه وبين ابن هبيرة مهاجاة شديدة [3] .

وكان أبو المخشى منقطعاً إلى سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية ، كثير المدح له ، وكان هشام بن عبد الرحمن أخو سليمان يشنؤه لانقطاعه إلى أخيه ، وقيل مما هيج غضبه عليه قصيدة قالها أبو المخشى في مدح سليمان عرّض فيها بهشام حين قال [4] :

وليس كمن إذا ما سيل عرفا يقلّبُ مقلة فيها اعْوِرارُ

وكان هشام أحول فاغتمّ عند سماعه هذا البيت، وأعمل الحيلة حتى سبق إليه أبو المخشى فقطع لسانه وسمل عينيه ، وعاش أبو المخشى زمناً ممثلاً به ، وقيل إن لسانه قد نما بعد مدة من قطعه [5] .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وكان لهذه المحنة أثر كبير في نفس أبي المخشي ظلّ يردده في أشعاره ،فقال قصيدة رثى بها حاله وحال زوجته بعد تلك المحنة، أنشدها له صبي كان أبو المخشّى قد علّمه ودرّبه [1] .

ولا يوجد بين أيدينا أخبار عن عائلة المخشّى سوى ابنته التي تسمى حسّانة بنت المخشى ، التي كانت قد تأدّبت وتعلّمت الشعر ، ولما مات أبوها كتبت بقصيدة إلى الحكم تصف فيها حالها بعد وفاة أبيها وتطلب حمايته ، تقول :

إني إليك أبا العاصي موّجعة أبا المخشّى سقته الواكفَ الدِّيمُ

أنت الإمام الذي انقاد الأنامُ لهُ وملّكْتُه مقالــيدَ النــُّهى الأمــمُ [2]

---

[1]-لسان الدين بن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، جـــ4،ص231 .

[2]-المصدر نفسه .

[3]– صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات ، جـــ16، ص323 .

[4]–جاءت رواية هذا البيت مختلفة بين المصادر التي نقلت هذا الخبر . وهذه رواية الوافي جـــ16، ص323 .

[5]–انظر خبر أبي المخشى مع هشام في الذيل والتكملة سفر خمسة ، جـــ1، ص102 ، الإحاطة جـــ4، ص232.

أما عن وفاة أبي المخشى فقد أورد لسان الدين عن أبي حيان : أنه قرأ بخط عبادة الشاعر قال : عمّر أبو المخشى بعد محنته الشنعاء حتى لحق دولة الأمير عبد الرحمن ، فوالى بين مديح أربعة أمراء ما بينه وبين جده عبد الرحمن بن معاوية الأمير الداخل ، وتوفي بعد ذلك قريباً من تاريخ الثمانين والمائة [3] .

2-ابن سيدة :

أبو الحسن علي بن سيدة اللغوي الضرير ، من أهل مرسية ، اختلفت المصادر في تحديد اسم والده ، فسمي في بعضها أحمد وفي بعضها الآخر إسماعيل [4] ، وكان والده ضريراً وكان من النحاة ومن أهل المعرفة والذكاء ، توفي بمرسية بعد الأربعمائة بمدّة [5] .

وكان ابن سيدة إماماً في اللغة وفي العربية ، حافظاً لهما[6] ، ولم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار ، وأيام العرب وما يتعلق بعلومهما ،وكان حافظاً لها [7] وكان مع إتقانه لعلم الأدب والعربية متوفراً على علوم الحكمة وله فيها تآليف كثيرة [8]، وأورد ابن سعيد عن المسهب أنه لا يُعلم بالأندلس أشد اعتناء منه باللغة ،ولا أعظم تواليف ، تفخر مرسية به أعظم فخر طرّزت له برد الدهر ، وهو عندي فوق أن يوصف بحافظ أو عالم [9] .

---

[1]-لسان الدين بن الخطيب ،الإحاطة في أخبار غرناطة ، جـ4، ص233 .

[2]- ترجمتها في تكملة الصلة ، جـ4، ص240 .وانظر الأبيات في نفح الطيب، ج4، ص167.

[3]– المقّري نفح الطيب ، جـ4، ص167 .

[4]- ذكر اسم والده إسماعيل في الصلة جـ1،ص334 ، الديباج المذهب جـ2،ص126 ،والمغرب جـ 2ص259 ، وذكر اسم والده أحمد في معجم الأدباء جـ4، ص476 ، وجذوة المقتبس ص279 ، ومطمح الأنفس ص291 ، ونكت الهميان ص204 ، والوافي جـ20 ، ص100 .

5-ابن بشكوال ، الصلة ، جـ1، ص99 .

6-ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، جـ4 ، ص477 .

7–ابن سعيد، المغرب ، جـ2، ص259 .

8-المقّري، نفح الطيب ، جـ3 ، ص192 .

9-ابن سعيد، المغرب ، جـ2، ص259 .

ومع كل ما وصف به ابن سيدة من سعة علم وتفوق في اللغة والمعارف المختلفة ، قيل إنه وقع في كتابه المحكم بعثرات ، وقيل إنه كان يَهِم في النسب [1] .

روى ابن سيدة عن أبيه وعن صاعد بن الحسن البغدادي ، وذكر الوشقي عن أبي عمر الطلمنكي ، قال دخلت مرسية فتشبث بي أهلها ليسمعوا عليّ غريب المصنف فأتوني برجل أعمى يعرف بابن سيدة فقرأه علي من أوله إلى آخره فعجبت من حفظه [2] .

ومن تصانيف ابن سيدة التي وصف بعضها بالحسان نذكر كتابه المحكم ، والمحيط الأعظم رتبه على حروف المعجم اثنا عشر مجلّداً ، وكتاب المخصص مرتب على الأبواب كغريب المصنف ، وكتاب شرح إصلاح المنطق ، وكتاب الوافي في علم القوافي ، وكتاب الأنيق في شرح الحماسة .. [3].

مركز ايداع الرسائل الجامعية
مكتبة الجامعة الاردنية

أما إنتاجه الشعري فإن ما وصل إلينا منه قليل ، فقد أورد له الحميدي قصيدة في استعطاف إقبال الدولة [4]،وأورد له صاحب المغرب بعض الأبيات[5] . ونظم ابن سيدة أرجوزة ، تعليميّة رتبها على حروف المعجم ، ولا تخلو هذه الأرجوزة من نقد ناظمها ، لمنافسيه وهجاء لاذع لخصومه[6] . ولقد عني بهذه الأرجوزة عدد من الأدباء وطالبي العلم ، فرُويت ونُظِمَ على

1-صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات ، جـ20، ص101، نكت الهميان ص20 .

2-ابن بشكوال،الصلة جـ1 ،ص335 ، معجم الأدباء جـ4، ص477 ، الوافي جـ2، ص101 النكت ص204

3-ابن فرحون، الديباج المذهب جـ2ـ ص106 ، الصلة جـ1، ص335 .

4-جذوة المقتبس في ذكر علماء الأندلس، ص493، 494، ووردت هذه الأبيات في مطمح الأنفس،ج2، ص29، 293.

5-المغرب جـ2، 159 .

6- عبد الكريم النعيمي ، ابن سيدة ، ويذكر صاحب هذا الكتاب أن أرجوزة ابن سيده المذكورة نشرها حبيب الزيات في مجلة الشرق عدد 36 سنة 1938 .

منوالها ، فقد عارضها علي بن محمد بن أحمد بن حريق المخزومي بأرجوزة جعلها على حروف المعجم [1] ، وعارضها عبد الرحمن الشبوني بأرجوزة نظمها[2] .

ويبدو أن حظ ابن سيدة من النثر الفني قليل ، إذ لم يذكر له نماذج نثرية سوى في كتاب الذخيرة ، فقد أورد ابن بسام له بعض المقاطع من خطبة ردَّ فيها على ابن الأرقم [3] .

وروى عن ابن سيدة عدد من التلاميذ منهم : أبـــو عبد الله محمد بن خلصة الضرير[4] ومحمد بن علي بن خلف النحوي المعروف بابن طرشميل [5] وأخوه أبو جعفر محمد بن علي بن خلف بن طرشميل الذي أخذ عنه من ابن سيدة [6]، وذكر ابن خير الإشبيلي أن الفقيه أبا سليمان بن أبي محمد بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم روى كتاب " مختصر العين " عن ابن سيدة بقوله : حدثني به الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة اللغوي النحوي " [7] .

وكان ابن سيدة منقطعاً – فيما روى عنه – إلى الأمير عبد الله العامري ، ثم حدثت له نبوة بعد وفاته في أيام ولده إقبال ففرّ منه ، وكتب إليه قصيدة يستعطفه فيها فوقع له الرضا[8] .

---

[1]-الصلة جـــ1 ، ص233 .

[2]-السيوطي ،بغية الوعاة جـــ2، ص94 .

[3]-ابن بسّام الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج3، ص248.

[4]-المراكشي، الذيل والتكملة السفر السادس ، ص18 .

[5]-ابن الأبّار، التكملة جـــ1 ، ص397 .

[6]-نفسه .

[7]-فهرست ابن خير 450 .

[8]-مطمح الأنفس ، ص292 .

توفي ابن سيدة في دانية ســـنة ثمان وخمسين وأربعمائة وقد بلغ ستين سنة أو نحوها[1]، وفي رواية توفي قريباً من ستين وأربعمائة [2].

3- الأعلم الشنتمري :

وهو يوسف بن سليمان بن عيسى أبو الحجاج الشنتمري الأعلم النحوي ، سُمي بالأعلم لأنه كان مشقوق الشفة العليا .ولد في مدينة شنتمرية الغرب سنة 410هـــ وإليها نُسب[3] .

كان عالماً بالعربية، واسع الحفظ للأشعار ومعانيها، جيد الضبط كثير العناية بهذا الشأن ، نُعِتَ بنعوت مختلفة تدل على سعة علمه كالنحوي[4]، والأديب [5]، والفقيه الأستاذ[6].

ورحل الأعلم إلى قرطبة سنة 433هـــ وأقام بها مدّة[7]، وأخذ العلم عن أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الإفليلي،وأبي مسلم بن سهل الحرّاني، ومسلم بن أحمد الأديب[8].وحظي الأعلم بمكانة علمية كبيرة ،وصارت إليه الرحلة في زمانه [9]، وعنه أخذ علي بن عبد الرحمن بن الأخضر الإشبيلي وعليه عوّل . وروى عنه أبو بكر محمد بن عبد الغني بن عبد الله بن فندله جميع تواليفه ورواياته [10] .

مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

[1]-الصلة جـــ1، ص335 ، النكت ص203 ، معجم الأدباء جـــ4،ص476 .

[2]-الجذوة جـــ2، 494، الديباج المذهب جـــ2، ص 107 .

[3]-الوافي بالوفيات جـــ29، ص90، معجم الأدباء جـــ7، ص278 الصلة جـــ1، ص564 .

[4]-الوافي بالوفيات جـــ29، ص90، معجم الأدباء جـــ7، ص278 الصلة جـــ1، ص564 .

[5]-الذخيرة جـــ2، ص474 ، التكملة جـــ1، ص143 .

[6]-نفح الطيب جـــ4، ص77 .

[7]-الصلة جـــ1، ص524 .

[8]-وفيات الأعيان جـــ7،ص81 .

[9]-بغية الوعاة جـــ2، 356 .

[10]-نفسه جـــ2، 174 .

وترك الأعلم عدداً من المصنفات في النحو والأدب نذكر منها : كتاب الأشعار الستة الجاهلية ، ألفة للمعتضد بن عبّاد ، وكتاب شرح الجمل للزجاجي ، وشرح حماسة أبي تمام ، ومن المسائل النحوية نذكر له المسألة الزنبورية والمسألة الرشيدية التي أملاها على تلميذه عبيد الله بن المعتمد الملقب بالرشيد [1] .

ومن أشهر أفراد أسرة الأعلم الشنتمري حفيده أبو الفضل بن جعفر بن محمد بن يوسف " كان فقيهاً مشاوراً كاتباً ، شاعراً من بيت علم وأدب [2] " أورد له المقّري شعراً وقال إنه كان من أجمل الناس وأذكرهم في علم الأدب والنحو [3] .

وكف بصر الأعلم في آخر حياته وتوفي في إشبيلية سنة 476 [4] .

4- محمد بن المنذر أبو الوليد [5] :

أحد أعيان شِلْب ونبهائها ، من بيت قديم في المولدين ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، ولازم التعلّم بإشبيلية في صغره حتى تميّز بالمعارف الأدبيّة والفقهيّة . وولي خطّة الشورى ببلده ، ثم تزهّد وانزوى ، ورابط على ساحل البحر في رباط الريحانة ، وصاحب أحمد بن قسي الدعيّ ، واتبعه وثار معه ضد الملثمين مرتين ، ثم قصد إشبيلية وهزمه فيها ابن وزير ، وقبض عليه واعتقله بمدينة باجة،وقام بعدها عبد الله بن الصميل بإخراجه من المعتقل وسمل عينيه وبقي ابن المنذر بعد سمل عينيه في المعتقل إلى أن فتح الموحدون باجة وأخرجوه .

ولم تدم الصداقة بين أبي الوليد وبين ابن قسي ، لأنه كان قد خلع الدعوة الموحدية وتحالف مع النصارى ،فحاول أبو الوليد أن يدبر مع وجوه قومه قتل ابن قسي ، فكان له ذلك

---

[1]-التكملة جـ1، ص195 .

[2]-وفيات الأعيان جـ7، ص81، معجم الأدباء جـ7، ص278 .

[3]-نفح الطيب جـ4، ص73 .

[4]-الديباج المذهب ج2،ص150.

[5]-ابن الأبار جـ2، ص203-211 .

وولي شلْب مكانه ، ولكن ولايته لم تستمرّ طويلاً خوفاً من قيامه بثورات جديدة فنقل إلى إشبيلية، وتوفي بعد أن جاز البحر إلى سلا سنة ثمان وخمسمائة .

وبعد أن أورد ابن الأبار بعض الأخبار السياسية عن أبي الوليد ، أورد له بعض المقطوعات الشعرية ، كان قد خاطب بواحدة منها ابنته بعد خَلْعِه وسمل عينيه ، أمّا بقيّة المقطوعات فقد تبادلها مع أبي بكر بن المنخل .

5- ابن الصفّار الأعمى :

أبو عبد الله محمد بن الصفّار الأعمى القرطبي، من بني الصفّار المنتمين إلى بني مغيث مولى بني أميّة ، وهو من بيت عظيم بقرطبة [1] .

كان حافظاً لفنون الأدب ، إماماً في علم الحساب ، ورحل إلى بغداد وأقرأ الأدب في مراكش وفاس وحضرة تونس وغيرها من الأقطار [2] . وكان أعمى معطّل اليدين والرجلين ، شنيع الخلقة ، لا يزال لعابه يسيل ووجهه يهتز ، لكنه إذا تكلّم رأيت منه بحراً زاخراً ، وكان آية في الحساب مُقدِماً على أعراض الملوك والوجوه [3] .

أما إنتاجه الأدبي فلم يصل إلينا منه سوى بعض الأبيات الشعرية ، ومقطوعة نثرية واحدة [4] .

- محمد بن محمود النُّمري الضرير :

---

[1]-ابن سعيد، المغرب جـ1، ص117 .

[2]-ابن سعيد، اختصار القدح المعلّى، تحقيق إبراهيم الأبياري، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة ، ص 203 .

[3]-المغرب جـ1، ص118 .

[4]-وردت هذه الرسالة في المغرب ، جـ1 ، ص119 ، وفي اختصار القدح المعلّى ص203 .

من أهل غرناطة يكنى أبا عبد الله، كان حافظاً للقرآن، طيب النغمة به، من أهل المشاركة في العلم ، واعظاً بليغاً، أستاذاً يقوم على العربية قيام تحقيق ويستحضر الشواهد من كتاب الله وخطب العرب وأشعارها .

قرأ على الأستاذ أبي عبد الله بن الفخّار الأركشي وبه تأدب ولازمه كثيراً . لم يصل إلينا من إنتاجه الشعري سوى قصيدة أرسلها إلى زوجته وهو نازح عنها .

توفي بغرناطة في التاسع من شعبان سنة ست وثلاثين وسبعمائة[1] .

7- أبو عبد الله بن الحدّاد المكفوف :

كان أديباً مشهوراً بقرطبة تُقْرأ عليه الآداب والأشعار ويتكلم على المعاني ، وله شعر كثير وغزل مجموع [2] ، ولكن لم يصل إلينا منه سوى بعض الأبيات .

مركز ايداع الرسائل الجامعية

8- بكر الأعمى :

ورد اسم هذا الشاعر دون نسبة أو ترجمة ، ولا يُعرف عنه إلا أنه كان أديباً شاعراً ، وله بيتان من الشعر أوردهما الحُميدي [3] .

---

[1]-لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة جـ3، ص30-33 ، انفرد هذا المصدر بالترجمة له وعنه نقل السيوطي في بغية الوعاة جـ1، ص238 .

[2]-الضبي، بغية الملتمس ، ص523 ، جذوة المقتبس ، ص360 .

[3]-الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر علماء الأندلس جـ2، ص421 .

9- عبد الله بن يعقوب الأعمى :

يعرف بعبود ، أديب شاعر مكثر ، منتجع للملوك ، أثير عندهم ، عالم باللغة ، وقرأ عليه أبــو العاصي الموْزوري وجــماعة [1].وأورد له الحميدي والكتّاني بعض الأبيات الشعرية [2] .

10- علي بن حمزة أبو الحسن الضرير الأندلسي :

لا يعرف عنه شي غير القصيدة التي وردت في كتاب دمية القصر [3] .

11- محمد بن إبراهيم بن عمران القفصي الكفيف [4]:

أصله من مدينة دانية ، وبها تأدّب ، شاعر متقدّم ، علاّمة بغريب اللغة قادر على التطويل ، يصنع القصيدة تبلغ المائة بيت في ليلتها ويحفظها فلا يشذ عنه منها حرف واحد . ولا نجد له من هذه القصائد والأشعار الطويلة غير بعض الأبيات التي أوردها الصفدي والقفطي [5] .

مركز ايداع الرسائل الجامعية

12- محمد بن محمود المكفوف القَبْري :

أديب شاعر أورد له بعضهم [6] بيتين من الشعر ، وأورد له الثعالبي مقطوعة غزلية [7] .

وذكر بعض[8] من تحدّث عن الموشحات أن القَبْري أول من اخترع الموشحات، ووصفوا طريقته في نظم الموشح اعتماداً على ما أورده ابن بسام في كتابه الذخيرة ، لكن بعض

---

[1]-الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر علماء الأندلس جــ2، ص523 .

[2]-الكتّاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، 221 ، الجذوة جــ2، ص422 .

[3]-دمية القصر ، الباخرزي ، تحقيق محمد التونجي ،دار الجيل، بيروت، جــ1، ص188 .

[4]-ترجمته في الوافي جــ2، ص 7 ، والنكت ص235 .

[5]-انظر هذه الأبيات في المحمدون من الشعراء ، القفطي جــ1 ،ص215، والوافي جــ2، ص7

[6]-جذوة المقتبس ، جــ2، ص152 ، المغرب جــ1 ، ص209 .

7-الثعالبي، يتيمة الدهر، تحقيق قميحة ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص35.

[8]-انظر مثلاً توشيع التوشيح ، الصفدي ، ص20 ، وأزهار الرياض ، المقّري جــ2 ، ص253 .

الدارسين ذهب إلى أن المصادر التي نسبت إليه اختراع الموشحات إنما أساءت فهم كلام ابن بسام ولم تورده كاملاً ، وأن قصب السبق في اختراع الموشحات يرجع إلى مقدم بن معافى[1] .

13- يحيى بن فتحون المليلي :

يكنى أبا عمر من أهل مالقة ، من نبهائها وأدبائها كان أديباً شاعراً ، حسن البديهة ، قيل لم ير أسرع منه بديهة [2] .

وعمي في آخر حياته وقال قصيدة يصف حاله بعد عماه [3] .

وبعد أن عرّفنا بهؤلاء الشعراء المكفوفين في الأندلس نجد أن عددهم لم يكن قليلاً، وأنه قد برز منهم نخبة كانوا من كبار العلماء في الأدب واللغة والحديث والتفسير والقراءات .. وغيرها من مجالات العلوم والمعارف الاخرى .

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وأما العمى وإصابة الشعراء المكفوفين به ، فإن معظم الشعراء المكفوفين في الأندلس لا يعرف عن تفاصيل إصابتهم بالعمى شيء ، مما يدل على أنه ربما يكونون قد أصيبوا بالعمى منذ الولادة أو في فترات مبكرة من حياتهم ، ونجد فئة قليلة من الشعراء المكفوفين أصيبوا بالعمى في فترات متأخرة من حياتهم ، والدليل على ذلك الأشعار التي قالوها بعد الإصابة بالعمى ، و بيّنوا فيها عمق الأثر النفسي الذي أصابهم بعد إصابتهم بالعمى .

ولم يكن الشعراء المكفوفون في الأندلس منغلقين على ذاتهم إنما كانوا متصلين بالحياة من حولهم اتصالاً كبيراً ، فقد كانوا يشاركون المبصرين سواء من الخاصة والعامة مجالسهم ومنتدياتهم المختلفة ، فكانوا يحضرون – مثلاً – المجالس الأدبية ويعرضون فيها إنتاجهم

---

[1]-بحث بعنوان " الوشّاح الأوّل مقدم بن معافى ، صلاح جرّار . مجلة جامعة بيت لحم عدد 4 ، 1995 .

[2]-ابن خميس ، أدباء مالقة ، ص394 .

[3]-المصدر نفسه، ص 395 ، صلة الصلة ص199 .

الأدبي، ويتنافسون فيها مع غيرهم من الأدباء المبصرين ، ويتفوقون عليهم في بعض الأحيان . وكان للشعراء المكفوفين أنفسهم مجالس خاصة بهم يجتمعون فيها مع تلاميذهم الذين كانوا يقصدونهم من كل مكان طلباً لما عندهم من المعارف والعلوم المتنوعة .

ولم يكن كف البصر عائقاً أمام الشعراء المكفوفين عن طلب العلم وتحصيله من أي مكان ، فقد رحل عدد منهم كابن جابر والأعلم الشنتمري وغيرهم إلى المشرق طلباً للعلم ، وتصدّروا فيها للدرس والإقراء .

وقد يكون للتنوع المعرفي لدى الشعراء المكفوفين في الأندلس ، وللبيئة الأندلسية بكافة أبعادها العلمية، والسياسية ، وللطبيعة الأندلسية أثر في أشعار المكفوفين في الأندلس ، يجعلها تتميز إلى حد ما عن أشعار غيرهم من المكفوفين خارج البيئة الأندلسية ،وسيتضح هذا بصورة جليّة بعد دراستنا لأغراض المكفوفين الشعريّة وخصائصها الفنيّة.

مركز ايداع الرسائل الجامعية

الفصل الثاني

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الأغراض الشعريّة

لا تختلف الأغراض الشعرية عند الشعراء المكفوفين في الأندلس عنها عند غيرهم من الشعراء، فقد نظموا في مختلف الأغراض من مديح وهجاء ورثاء، وغزل، ونظموا حتى في الأغراض التي تعتمد على حاسة البصر بشكل رئيسي كالوصف مثلاً.

ومع أن مكفوفي الأندلس قد نظموا في مختلف الأغراض الشعرية إلا أننا نلاحظ أنّ منهم من غلب على أشعاره غرض معين فمثلاً: أكثر المخزومي من الهجاء، وأكثر الحصري من الرثاء، وأكثر يحيى بن هذيل من الوصف، وأكثر غيرهم من أغراض أخرى نذكرها لاحقاً.

ويجعلنا بروز غرض شعري عند شاعر بعينه من المكفوفين نركّز على دراسة ذلك الغرض عنده بشكل مخصوص، مع عدم إغفالنا لدراسته عند بقية الشعراء المكفوفين.

ولا بد لنا من الإشارة إلى أنّ وفرة الإنتاج الشعري عند أصحاب الدواوين وعند الشعراء المكثرين تُيسِّر دراسة الأغراض الشعرية والآثار النفسية، والخصائص الفنّية في شعرهم، ووجود أشعار قليلة لبعض المكفوفين لا يمنع من إلقاء الضوء عليها في أثناء دراستنا بما يتفق مع مضامين الأغراض والأساليب التي ندرُسها.

ونحاول عند دراستنا للأغراض الشعرية عند المكفوفين أنّ نَستَبِين أثر العمى فيها، ونقف على أبرز ملامحها كما ظهرت في قصائدهم.

المديح:

كان المديح عند الشعراء المكفوفين في الأندلس من أبرز الأغراض الشعرية التي نظم فيها معظمهم ،فلم يُعِقْهم فقدان البصر عن طرق أبواب الملوك والوزراء والقضاة وغيرهم من الأشخاص ،بل نجد أنّ بعضهم -كما ورد في الترجمه لهم- كان منتجعا للملوك مادحا لهم كالحصري، وعبود الأعمى، وأبي العباس التطيلي وغيرهم.

وكان أبو العباس التطيلي الأعمى من أكثر شعراء عصره[1] -عصر المرابطين- ومن أكثر الشعراء المكفوفين نظما في هذا الغرض ،فقد كانت قصيدة المديح هي الغالبة على ديوانه عدداً وطولاً، وهذا يجعلنا نقدّم دراسة هذا الغرض عنده على بقيّة الشعراء الآخرين فنحاول أنّ نقف على دواعي المديح عنده ، وعلى أبرز الصفات التي وصف بها ممدوحيه، وعلى أبرز ملامح قصيدة المديح عنده.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

لقد تعدّدت الفئات التي مدحها الأعمى التطيلي ،فمدح الأمراء والوزراء والعلماء والقضاة، ولم يمدح الرجال فقط وإنّما مدح النساء أيضا.

ومن أبرز الأمراء الذين مدحهم التطيلي الأمير علي بن تاشفين ،والأمير أبو يحيى، ويركز التطيلي في مدحه للأمراء على ذكر بطولاتهم ودورهم في صدّ النصارى، وعلى قوتهم وشدة بأسهم في الحرب ،فيقول في مدح الأمير علي بن تاشفين [1]:

أصْبَحَ المُلْكُ في ضَمَانِ علـــيٍّ آمنَ السِّرب ضافيَ السِّربـالِ

يترك المُعْلَمين في الحرب كالبـد نِ ،وما أُعْلِموا بـه كالنعـالِ

يَخْلَـعُ الغِمْـدَ والحمائـلَ مُعْتَـا ضاً بلبسِ الأشْـلاءَ والأوْصَالِ

1-محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980، ص102.

صَدِئَتْ صفحتاهُ من مُهَجِ القَـــتْـــ لى على قُرْبِ عَهْدِهِ بالصِّقــالِ [2]

ويقول التطيلي في شدة بأسه واعتراف أعدائه بشجاعته:

سلِ الأَذْ فَونشَ أينَ الحربُ منه وَرُبْتَمَا أجــابَ المُسْتَعِيــنُ [3]

أعـــدّ الحصـــونَ مُشَيَّــداتٍ وما تُغْني المعاقلُ والحصونُ

ولا ردَّ الجيوشَ ولا كفاهـــا كَسَيْفٍ لا يحــارُ ولا يخــوُنُ [4]

إن إكثار الأعمى التطيلي من مدح أمراء المرابطين بالشجاعة في مواجهة النصارى يدل علـــى حرصه على توظيف أدبه في ما يخدم الأندلس والمسلمين، من خلال الحث على الجهاد والإعلاء من شأن المجاهدين، ويظهر موقفه هذا بجلاء في القصيدة التي قالها يحرّض أهل إشبيلية علـــى رجل عسوف[5].

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويشيد بآل تاشفين في معرض مديحه للحرة حواء[6]،وبدورهم فـــي حمايـــة الـــدين وتـــصديهم للنصارى فيقول:

هُمْ ثَبَّتوا الدينَ إذْ ضاقتْ مَذَاهبُـــهُ بأنْفُسٍ صِيغَ منها الدينُ والحَسَبُ

حتى استقرَّ الهُدى في عُقْرِ دارِهِمُ وأيقَنَ العُجْمُ أنَّ القادةَ العـــربُ [7]

يشير التطيلي في البيت الأخير إلى أحقيّة العرب في السيادة، وكان قد مدح في قصيدة أخـــرى علي بن تاشفين وأشاد بنسبه وانتمائة إلى قبيلة حمير فقال:

1- تولى الملك بعد أبيه يوسف بن تاشفين قائد معركة الزلاقة، وسلك سنن أبيه ، ودفع العدو عن الأندلس مدة وثار عليه محمـــد بـــن تومرت الملقب بالمهدي مؤسس دولة الموحدين ، انظر نفح الطيب، ج4، ص377.

2- ديوان الأعمى التطيلي ، ص 100.

3- أحد أمراء بني هود أمراء سرقسطة

4- ديوان التطيلي ص 201 – 202

5- انظر الديوان ص3.

6- ذكر إحسان عباس محقق ديوان التطيلي أنها زوجة والي إشبيلية سير بن أبي بكر، وقال غيره إنها بنت تاشفين انظر : الأعمـــى التطيلي حياته وأدبه ، ص 149، وديوان التطيلي ص 215.

7- نفسه ص 17 – 18.

يا قريعَ الأيَّامِ عَنْ كُلِّ مَجـــدٍ يـــا سليـــلَ الأذوادِ والأقيـــالِ [1]

ويشير التطيلي أثناء مديحه لأبي العلاء بن زهر[2] أنّ المرابطين يرجعون في أصولهم إلى قبيلة حمير فيقول:

أتَعْلَمُ ما أوْلَيتْهَا اليوم حِمْيَـــرٌ فَتَشْكُرَهُ إنَّ الكريـــمَ شَكُـــورُ[3]

ومدح التطيلي وزراء المرابطين وخاصتهم: كالوزير أبي العلاء بن زهر، ومالك بـــن وهيب، وأبي العباس صاحب الأحباس وغيرهم .وركّزالتطيلي في مديحه لهذه الفئة على دورها في خدمة المرابطين وولائها لهم،فقال في مديح أبي العلاء ابن زهر:

نهضتَ بعبأيْ جِدِّها واجتهادها تَسُرُّ ليالي مُلكهـــا وتَســـــُور

وفيتَ بِحَقَّيْ نُصْحِهَا وَوِدَادهـــا تُدبرُ علماً أمْرَهـــــا وتديـــــر

دعاكَ أميرُ المؤمنـــنَ لنصـــره بحيثُ التوى نَصْرٌ وَخَامَ نَصير [4]

ويقول:

وأنَّكَ ظَلَـــتَ لـــدارِ المـــــلوكِ يميناً وللعلـــم فينـــا لسانـــا

ودونَ حمى الملكِ عضباً صقيلاً أذال حِمَى كلِّ شيءٍ وَصَانا[5]

ويمدح التطيلي بعض أفراد المجتمع المرموقين كالقضاة والعلماء والفقهاء، ويمدح هـــذه الفئة "لأنها تجمع بين ميزتين تجعلانهم قبلة أنظار المدّاحين وموضع آمال المعتفين، أولاهمـــا:

---

1 ـ الأذواد والأقيال ألقاب ملوك اليمن انظر: الأعمى التطيلي، ص 194، ويبدو أن الشاعر قد خلط في نسبة المرابطين إلى قبيلة حمير فهم أصلاً ليسوا من العرب، ويرجعون إلى قبيلة لمتونة إحدى قبائل البربر العظيمة، انظر المعجب، ص71.

2 ـ أبو العلاء بن زهر: أبو مروان عبد الملك بن أبي محمد بن زهر قال عنه ابن دحية: إنه كان وزير ذلك الدهر وعظيمه وفيلسوف ذلك العصر وحكيمه، توفي في مدينة قرطبة سنة 525هـــ، انظر: ابن دحية، المطرب، ص203.

3 ـ الديوان، ص62.

4 – الديوان، ص62، وخام جبن وتراجع.

5 – الديوان، ص 192-193.

أنهم فقهاء، وثانيتهما: أنهم ينتمون إلى أسر غنيّة وعريقة نالت حظاً وافراً من ثنـــاء الــشعراء والكتاب لكرمها ورعايتها للأدب والأدباء"[1].

ولقد أشاد التطيلي بدور هذه الفئة في رعاية العلم والعلماء ،كما أشاد بالمكانة التي كانت لأفرادها في المجتمع وبكرمها، فقال في مدحه لأبي القاسم بن حمدين[2]:

استوفِ شَأْوَيْكَ: من عزٍّ وتمكينِ وَاذهبْ بحظَّيْكَ: مِنْ دنيا ومن دينِ

وزاحمِ النجمَ في عُليـــا مطالعـــهِ فليـــس قَدْرَكَ بالأَدْنـــى ولا الـــدُّون [3]

وقال :

فلا يكنْ أحـــدٌ يَرْقَـــى مكانَتَـــهُ فما يُساوَى برأْسِ الطّوْدِ خَنْدقُـــه

ما عندنا كبني حمدينَ في شرفٍ لو كانَ نجماً لكانَ النجمُ يَعْشَقُـــه

أعلامُ علمٍ وآدابٍ، فكـــلُّ فتـــىً منهمْ إذا ما جرى لا خَلْقَ يَسْبِقـــه[1]

وقد تكون القصيدة في مدح فرد واحد من أفراد هذه الفئة إلا أنّ التطيلي يركز على مدح عائلة الممدوح بأسرها كما لاحظنا في الأبيات السابقة .

لقد أوردنا فيما تقدّم بعض الأبيات التي تشتمل على صفات تخصُّ الشخص الممدوح ذاته بحسب الدور الذي كان يمثله في المجتمع، أما الفضيلة الأساسية التي مدح بها التطيلي ممدوحيه وتكررت في كل قصيدة عدة مرات فهي الكرم ،فلا نجد قصائد المديح في ديوانـــه تخلـــو مـــن الإشارة إلى هذه الصفة والإشادة بها، وكثيراً ما كان يشير إلى هذه الــصفة: بالنـــدى والبحـــر والغمام وغيرها من النعوت الدالة على الكرم .

1- عبد الحميد الهرّامة، الأعمى التطيلي حياته وأدبه، ص 196.

2- القاسم بن حمدين هو أحمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين التغلبي قاضي الجماعة بقرطبة، تقلّد القضاء فيهـــا مـــرّتين، كان نافذاً في أحكامه جزلاً في أفعاله، توفي سنة 521، انظر تاريخ قضاة الأندلس، ص103.

3- الديوان ص 206.

فمدح –مثلا– محمد بن عيسى الحضرمي بالكرم ،مكرراً ذلك في عدة أبيات من نفس القصيدة فقال:

من المانعينَ الدهرَ حَوْزَةَ جَارِهِمْ وأَشْلاؤهُ بين الخُطُوب نِهَابُ

وهم جَنَحوا بالمُعْتَفِينَ إلى نَدىً هو القَطْرُ لا يأتي عليه حساب

سجايا على مرِّ الليالي كأنَّما هي المُزْنُ فيه رحمةٌ وعذاب

له هِمَمٌ في البأسِ والجودِ والندى لها فوق أثباجِ النجومِ قبابُ

وهل أنا إلاّ الروضُ حيَّاكَ عَرْفَهُ وقد باكرَتْهُ من نَدَاكَ سَحَابُ

وما شَهِدَ المجدُ الذي أنتَ سِرُّهُ فإنك بحرٌ والكرام سَرَابُ[2]

حقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقال:

غَنِينَا بآلِ الحضرميِّ وإنما غَنينا بآثارِ السَّحابِ المواطرِ

كريمُ المساعي هزّ عِطْفَيَّ عطفُهُ إلى أثرٍ من مجدهِ ومآثر

بهاليلُ من قحطانَ ساروا بذكرهمْ إلى مَثَلٍ في الجودِ والبأسِ سائر

ليالِيَ أعطوها سليحَ إتاوةً جَرَتْ مثلاً أخْرى الدهورِ الدواهر

سخاؤُهُمُ ظِلٌّ لكلِّ مُهَجّرٍ وبأسُهُمُ أمْنٌ لكلِّ مهاجرِ

ونِعْمَ الفتى إنْ أخلفَ الغيثَ مالكٌ قرى النازلِ الثّاوي وزادُ المسافر

وأنتَ الغمامُ الجودُ يُرْجَى ويُتَّقَى على بِدَرٍ منْ صَوْبِه وبوادرِ[3]

1- الديوان ص238-239.

2- الديوان، 9-11.

3- هذه الأبيات من قصيدة قالها في مدح الحضرميين، انظر الديوان، ص53-55.

هذه بعض الأمثلة التي قيلت ضمن قصائد المديح ركز فيها التطيلي على صفة الكـــرم ، وهي قليلة من بين أبيات كثيرة .

وليس غريبا على الشعراء أن يصفوا ممدوحيهم بالكرم والجود ولكنّ التطيلي أكثر مـــن تكرار هذه الصفة، وركّز عليها كثيراً ، فربما يكون تركيزه على هذه الصفة لأنه اتخـــذ مـــن الشعر وسيلة يعتاش منها، فيمدح ويتكسب من مديحه لأن فرص العمل وكسب العيش محـــدودة لدى المكفوفين ما لم يلجأوا لوسائل أخرى لا تحتاج إلى البصر كـــالأدب والـــشعر والموســـيقا والغناء والعلم، وقد اشتهر عدد كبير من المكفوفين في هذه الميادين قديماً وحديثاً، والتطيلي كما يبدو من مدائحه يعيش على استجداء الآخرين ويشكو لهم فقره وحاجته والدليل على ذلك قوله:

وأشتكي جَوْرَ أيّامي إلـــى ملـــكٍ لايَحْضُرُ الجُبْنُ يوميهِ ولا البخلُ

يا أيّها الملكُ الميمـــونُ طائـــرُهُ يابدرُ يا بحرُ يا ضرغامُ يارجلُ

أتاركي لصروفِ الدّهرِ تَلْعَبُ بي وقد حداني إليك الحبُّ والأمـــلُ (1)

ويقول :

أيا زُهْرُ والأحزانُ حولي فوادحاً ولولاكَ لم يَخْلُصْ إليّ ســـرورُ

إليـــكَ تولاّنـــي هـــوايَ وإننـــي إليكَ وإن أغْنَيْتَنـــي لفـــقيـــرُ (2)

ويعترف التُطيلي أنه قد بالغ في استجدائه وأنه كثيراً ما أراق ماء وجهه في التكسب فيقول:

وكَمْ نطفةٍ منْ ماءِ وجهي أرَقْتُها بودّيَ لو انّي أرَقْـــتُ لها دمـــي

وما لمتُ نفسي يومَ جِئْتُكَ مادِحاً ولكنّـــهُ مَـــنْ يَحـــرِمِ اللهُ يُحْـــــرَمِ (1)

1- الديوان ،ص 116، 117.

2- نفسه ،63.

ويذلّ التطيلي نفسه بين يدي ممدوحيه ، فمرة يجعل نفسه عبداً لهم ، ومـــرة يقبّـــل أيـــديهم، ويجعل نفسه في بعض الأحيان طفلا يحتاج إلى من يعطف عليه ويرعاه، فيقول:

كيفَ السبيلُ إلى يومٍ أُؤَمّلُهُ يكونُ لي ولحسّادي بـــه شُغـــلُ؟

حتى أُقبّلَ يُمْناكَ التي حَظِيَتْ بها الظُّبَى قَبْلَ أنْ تَحْظَى بها القُبَلُ [2]

وجعل من نفسه عبداً للحرّة حواء فقال:

حواءُ ياخيرَ من يَسْعَى على قَدَمٍ ولستُ عَبْدَكِ إنْ لم أقضِ ما يجبُ [3]

ويجعل من الممدوح أبا له ولأبنائه فيقول :

أنت أبٌ لي ولهمْ عاطـفٌ رُبَّ ابنِ خمسيـــن لـــه والـــد [4]

ويتخذ التطيلي من أولاده وسيلة يستجدي بها ممدوحيه ، ويستدر عطفهم من خلال وصف مـــا يقاسيه بسببهم من ضنك العيش فيقول:

ثلاثُ أثافي نارِ صدريَ أُضْرِمَتْ على واردٍ من همِّ صَدْري وصادرِ

ينامونَ عن ليـــلِ التمـــامِ أبيتـــُهُ كأني قطاةٌ فوق فتخـــاءَ كاســـرِ [5]

ويقول فيهم:

حوليَ أفراخٌ كَزُغْبِ القطا ليليَ من همٍّ بهمْ ساهدُ [6]

1- نفسه ص174 .

2 الديوان ص116.

3- نفسه ص18.

4- نفسه ص42.

5- نفسه ص 55، الفتخاء صفة للعقاب، وصفت بذلك لأنّ في براجمها عرضاً ولیناً .

6-الديوان، ص 42.

وتؤكد خواتيم قصائد التطيلي أنه كان يتكسب من خلال تلك القصائد، فقد ختم مدائحه بعبارات تدل على أنّ هذه القصيدة التي قالها ما هي في بعض الأحيان إلا شكر على ما قُــدِّم له من عطاء وكرم، وتدل في أحيان أخرى على أنه قال هذه القصيدة طالبا من خلالها العطاء والعون، فمن تلك الخواتيم قوله:

وهاكَ شكــري مَنْهــلاً سائغــاً فَرِدْهُ بَيْنَ العَــــلِّ والنَّهـــلِ [1]

وقوله:

ولعمـــــري لتأتِيَنَّك القوافـــــي من وَلَــودٍ أزُفُّهــا وعقيــمِ

بهــبــــاتٍ أَوْلَيــتَنِيهَــا جسيــامٍ كَفْكَفَتْ غَرْبَ كلِّ خَطْب جسيمِ [2]

ويبين التطيلي لممدوحيه قيمة مدائحه ، ويعلي من شأنها ويظهر لهم أنه أتقنها وأخرجها على أحسن وجه فيقول:

لَتُطَالِعَنّكَ من ثَنائي أسْطُــرٌ تُزْهى بسحْرِ بلاغةٍ وبيانِ

شكراً لأنْعُمِكَ التي أعْلَتْ يدي حتّى تَذَبْذَبَ دُونها الفَجْرَانِ [3]

ويقول في مدح تلك المدائح :

إليك أبا العباسِ غُرُّ مدائحــي تُصلّي عليهن العُلا وتُبـــــاركُ

إليكَ وريعانُ الرجاءِ يؤمُّهــا وَقِدْماً رَجَتْهَا البائساتُ الضرائكُ

قلائدَ أعناقٍ وأزهــار أعْيُــنٍ ومنهنَّ في بعضِ الصدورِ حَسَائكُ

فَحِكْ ليَ من نَعْماك بُرْداً أجُرُّهُ فإني لأبراد المدائـــح حائـــك [4]

1- نفسه، ص137.

2- نفسه، ص 167.

3- نفسه، ص199.

4- الديوان، ص 93، والضرائك جمع ضريكة وهي الفقيرة الجائعة.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وجاءت معظم قصائد المديح عند التطيلي على هذه الوتيرة من الخواتيم، التي تبيّن أن الشاعر قد نظم القصيدة شكراً على العطاء الذي ناله، أوالذي هو بانتظاره، والأمثلة على هذه الخواتيم كثيرة [1].

أما عن المقدمات التي كان يفتتح بما التطيلي مدائحه فقد نوّع التطيلي في افتتاح قصائده: بين الدخول إلى المديح مباشرة دون تمهيد و بين التمهيد له بمقدمة غزليّة أو خمريّة، أو طلليّة، أو شكوى، أو مقدمة ضمّنها مجموعة من الحكم .

فمن القصائد التي ابتدأ فيها الشاعر مديحه دون تمهيد قصيدة قالها في مدح الأمير علي بن تاشفين، افتتحها بقوله:

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

طليعةُ جَيْشِكَ الـرُّوحُ الأميـنُ وظلُّ لوائكَ الفتحُ المبيـنُ

وهزةُ رُمْحِكَ الظَّفَرُ المُوَاتـي وَرَوْنَقُ سيفكَ الحقُّ اليقينُ

وبعضُ رِضَاكَ للآجـالِ دُنيـا وَشُكْرُ نَدَاكَ للآمـالِ ديـنُ [2]

ويفتتح التطيلي إحدى مدائحه بمقدمة غزلية يصف جمال العيون وسحر نظراتها فيقول:

أسْلِمي مُقْلَتَيْكِ قَبْلَ الفـراق في الـذي جـرّتا على العُشّـاق

قبلَ أنْ يُطلِعَ الوَدَاعُ بـدوراً يَقْتَضِيَها السّـرارُ قبـلَ المَحَـاق

آه مّما لقيتُ من طرْفكِ الشـا ئق أو مـن فـؤاديَ المشتـاق

نَفَثَتْ مقلتاكِ في عُقَدِ السِّحـْ ـرفلـم أنتفـع بنفـث الـراقي [3]

1- انظر الديوان، ص: 56، 121، 140 ،163 ، 168 ،178 وغيرها كثير.

2- الديوان، ص 200.

3- الديوان، ص85.

ويُصَدِّر أبو الحسن الحصري الضرير قصيدته في مديح محمد بن طاهر صاحب مرسية بمقدمة غزلية قال فيها:

يا مَنْ جَحَدَتْ عَيْنَاه دَمِي وعلى خدّيه تــورّدَهُ

خدّاكَ قد اعْتَرَفا بدمـــي فعلامَ جُفُونُكَ تَجْحَدهُ

إني لأعْذُكَ من قتلـــي وأظنّكَ لا تَتَعَمّـــدهُ[1]

إنّ المقدمات الغزلية من أكثر المقدمات شيوعاً في قصائد المديح الأندلسية، لأن الغــزل كان من أهم الموضوعات التي شغف بها الشاعر الأندلسي[2]، ولما في الغزل كما يــرى ابــن رشيق" من عطف القلوب واستدعاء القبول بحسب ما في الطباع من حب الغزل والميل إلى اللهو والنساء، وإنّ ذلك استدراج إلى ما بعده"[3].

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومن المقدمات التي افتتح بها التطيلي مدائحه، مقدمة ضمنها مجموعة من الحكم قال فيها:

تناصرُ الشيبِ في فَوْدَيْه خِذْلانُ إنّ الزيادةَ في النقصانِ نُقصـــانُ

لا تَغْتَرِر بعيونٍ ينظرون بهـــا فإنّمــا هــي أحــداقٌ وأجفـــانُ

كَمْ مُقْلةٍ ذَهَبَتْ في الغيِّ مَذْهَبَها بنظرةٍ هي شانٌ أو لهــا شـــانُ

رهنٌ بأضغاثِ أحلامٍ إذا هجعت وربّما حَلِمَتْ والمــرءُ يقظـــانُ

فانظرْ بعقلكَ إنّ العينَ كاذبــةٌ واسمع بحِسِّك إنّ السمــعَ خَوّانُ

ولا تَقُلْ: كلُّ ذي عينٍ له نَظَرٌ إن الرعاةَ ترى ما لا يرى الضانُ[4]

---

1 - علي الحصري، المرزوقي، ص143.

2 ـ أشرف أبو النجا، قصيدة المديح في الأندلس، ص 136.

3 ـ العمدة في محاسن الشعر، ص201.

4 ـ ديوان التطيلي، ص218.

يحاول الشاعر في هذه الأبيات أن يعوّض عن حاسة البصر التي فقدها بالبصيرة، فيقّلل من أهمية البصر بقوله: "العين كاذبةً" "ولا تقل كل ذي عين له نظر" وقوله" كم مقلة ذهبت في الغي"، ويحاول أن يعلي من شأن البصيرة والعقل والحس، بقوله: "فانظر بعقلك" "واسمع بحسك"، ومبدأ التعويض بالحواس عن فقدان البصر موجود عند أغلب المكفوفين، فقد عبر بشار سابقاً عن ذلك بقوله:

فقال بعضُ الحديث يشغفني والقلبُ راعٍ ما لا يرى البصر[1]

ويفتتح التطيلى قصيدته في مدح الحرة حوّاء بمقدمة طللية قال فيها :

يا رَبْعَ ناجيةَ انْهَلّتْ بكَ السُّحُبُ أما تَرى كَيْفَ نابَتْ دُوْنَكَ النّوَبُ

وعاد قلبيَ منْ ذكراهُ عيدُ جوىً هو الخبالُ وإنْ قالوا هو الطّرَبُ

أَبَعْدَ حَوْلٍ تَقَضّى للنّوى كَثَبٍ ولا الذي بيننا نَبْعٌ ولا غَرَبُ[2]

وبذلك نلاحظ أن التطيلى قد نوّع فى المقدمات التي استهل بها قصائده في المديح ، وهذا النهج قال به النقاد من قبل، وأشادوا به، فقد رأى ابن رشيق أن "حسن الافتتاح داعية للانشراح ومطية النجاح"[3]. وربما يكون التطيلى قد نوع في مقدمات مدائحه لأنه كان قد مدح الشخص الواحد غير مرة، لذا بدأ في كل قصيدة بمقدمة تختلف عن المقدمات التي ابتدأ بها قصائده الأخرى، وربما حاول في كل مقدمة أن يدخل للممدوح من باب يتناسب مع شخصيته وثقافته، فقد يتأثّر بعضهم بالغزل ويستجيبُ من خلاله للمادح، وقد يتأثر بعضهم بالشكوى فيرقُّ لها قلبه، وهكذا فإن لكل شخصية ما يناسبها من المداخل فكما يقال: لكل مقام مقال.

---

1 ـ ديوان بشار، ج4، ص78.

2 ـ الديوان، ص15.

3 ـ ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، ج1، ص195.

وبعد أن تبيّنت لنا أبرز ملامح قصيدة المديح عند الأعمى التطيلى، ننتقل إلـــى دراســة الغرض ذاته عند بقية الشعراء المكفوفين فيما بين أيدينا من أشعار لهم في المديح، فهي تتفق مع مدائح التطيلي في كثير من الملامح، فقد أشاد الشعراء في مدائحهم بكرم ممدوحيهم وســخائهم، وركزوا على هذه الصفة، فهذا ابن الحنّاط يمدح عليّ بن حمود بالكرم والندى فيقول:

والنورُ يَبْسُطُ نَحْوَ دِيَمتِهَا يداً أهدْى لها سَاقي الندى أقداحاً

روضٌ يحاكي الفاطميّ شمائلاً طيباً، ومزنٌ قد حكاه سماحاً[1]

ويمدح ابن ذكوان بالكرم فيقول:

إنّ ابن ذكوان ذو راحـــة كـــديمةٍ صَـوْبُهَا دائـمُ

ومن أبُـوه أبو حـــاتـمٌ قصّـرَ عن جُـودِه حاتـمُ

يَبْنِي العُلا بالنّـدى جاهـداً وغيـره للعـــلا هـــادمُ [2]

ويمدح ابنُ خَلَصة إقبالَ الدولة[*] ويشيد بكرمه فيقول :-

ولا للـــمنى إلاّ بساحته جنىً ولا للغنى إلاّ براحتِـــه معنـــى

ولو جادَ بالّدنيا وعادَ بِمْثِلها لظنّ من استصغارها أنه ضَنّـــا

ولا عيبَ في إنعامِهِ غيرَ أنـــه إذا منَّ لم يُتْبِع مواهبَـــهُ مَنـــّا

تقيّل مـــن آبائه الغـــرّ ســـادة قُيولا فبذَّ البحرّ واحتقـــرّ المُزْنا[3]

ويمدح السهيلي السيد الأعلى أبا سعيد بن أميرالمؤمنين بالكرم ويشبه عطاءه بالغمام فيقول:

السّعْدُ يَقْدُمُهَا و النّصـــرُ يَخْدُمُهَـــا ما حان مَقْدَمُه إلاّ هَمـــتْ نِعـــمُ

---

1 ـ ابن سعيد، المغرب 1-122وانظر الذخيرةج1 ص278.

2 ـ ابن بسّام، الذخيرة ج1، ص275.

* ـ إقبال الدولة لقب علي بن مجاهد العامري صاحب دانية.

3 ـ المصدر نفسه ج3،ص205 .

وهو الغمامُ الذي يَغْشَى البــلادَ ولــم يُزْجَى إليه فَتُحْيِي تُرْبَها الــــديــمُ

ما إنْ رَأَوا قبله من كعبةٍ قُصِدَتْ حُجّابها ولَهُــم مــن ظلّهــا حـــــرَمُ

كــأنّ سَيْبَ نداه مـــــاءُ زَمْزَمِهـــــا وكفّه الرّكن إذْ يُغْشَــى وَيُسْتَلـــــمُ[1]

ويمدح علي بن جامع المرسي الكفيف أبا بكر بن عيسى ويصفه بالكرم:

أحلى مِنْ الأَمنِ المُتاحِ لخائــفٍ وألذُّ من نومٍ لِجفْنٍ مُسَهّــدِ

وأمسُّ من كَعْب بنِ مامةَ للنّدى وأحقُّ للإرفاد من مسترفــدِ

من أين للأنداءِ بيض بنانـــــهِ أم أين من علياه عَليا الفرقدِ[2]؟!

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع رسائل الجامعية

ويشترك بعض المكفوفين مع التطيلي في اتخاذ المديح وسيلة يتكسبون بها،فقد طرقــوا بمدائحهم أبواب الملوك وذوي السلطة واستجدوا من خلالها بصراحة دون حيــاء ، وبتــصريح دون تلميح فلم يتحرجوا من الإعلان عن استجدائهم ، فيصرّح ابن الحناط بذلك في قصيدته التي خاطب بها المظفر بن الأفطس ملك بطليوس قائلا:

كَتَبْتُ على البعدِ مُسْتَجْدِيــاً لِعِلْمِي بأنــك لا تَبْخـــلُ
فجاء الرّسولُ كما أشْتَهِــي وقد ساق فوق الذي آملُ

وما كان وَجْهُكَ ذاكَ الجميلُ ليفعلَ غيرَ الذي يَجْمــلُ [1]

ويستجدي ابن خلصة أحد ممدوحيه فيقول:

فِضْ لي بِجُودِكَ فالغمامُ ضَنِينُ وفِ بالأَمانةِ فالزّمانُ خَؤُونُ

---

1 . ابن خميس،أدباء مالقة، ص 253، والسيد الأعلى الذي مدحه الشاعر في الأبيات هو أبو سعيد والي غرناطة أحد أولاد الخليفة أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي، شارك مع أخيه السيد أبي حفص في غزو مردنيش وحصاره، توفي بالطاعون في مراكش سنة إحــدى وسبعين، انظر أخباره في البيان المغرب، قسم الموحدين ص50، 111، 136

2 – المصدر نفسه، ص 333

وَقَفَ الرجاءُ بذي الرجاءِ عليكمُ وبدا لكم سرُّ العلا المكنــونُ

لا تَعْدِني أنواءُ سَيْبك لاعـــدا ك النّصْرُ والتأييدُ والتمكيــنُ [2]

ويقول:

خدمتكم ليكونَ الدهرُ من خَدَمِي فما أحالَتْه عن حالاتِهِ حيلي

إنْ لم تَكُنْ بِكُمُ حالي مُبـــدَّلةً فما انتفاعي بعلمِ الحالِ و البدلِ[3]

وكان الحصري الكفيف ممّن طرق بشعره أبواب الملوك وانتجعهم ، حتى أُخذ عليه أنه كان قبيح الاستجداء ، فقال ابن بسام: إنه "كان مشحوذ المدية في أبواب الكدية" وأورد له أبياتــا من الشعر وصفها بأنها من طريف الاستطراد للاستجداء وطلب الحباء وأورد منها:

بَيّضَ كــلٌّ ولا بَيــاضَ معــي إلاّ بياضُ المشيبِ و البَشَـــره

فَغِبْتُ عن مجلس العزاء علــى رغمي وإن كان مِقْوَلي حَضَــره

يا أهل هودٍ إذا الورى حُسِبــوا من صَدَفِ البحرِ كنتُـــمُ دُرَرَه

يا كرماء الزمان لســـت أرى حجولــه غيركــم ولا غُــرَرَه[4]

ويُلحُّ الحصري على ابن حسداي في استجدائه ويطلب منه ألا يعتذر عن إعطائه لأن ماله كثير كما يقول:

لا تَقُلْ ما بيدي ما لٌ ولا عنــدي عطــاءُ

بيتُ أَمْوالكِ بَحــرٌ ما على البحرِ غطــاءُ[5]

---

1. ابن سعيد،المغرب ج1، ص123، الذخيرة، ج1، ص277.

2. المقّري،نفح الطيب، ج4 ، ص156، الذخيرة، ج3، ص206.

3. ابن بسّام،الذخيرة، ج3، ص206.

4. المصدر نفسه، ج4، ص163.

5. ابن بسام، الذخيرة ج4، ص152.

ويورد ابن سعيد في المغرب أبياتاً لابن سيدة اللغوي الضرير يظهر من خلالها أنه كان يستجدي ممدوحيه ويطلب منهم العطاء فيقول:

لا تَضْجَرَنَّ فما سواك مؤمّــلُ ولديكَ يَحْسُــنُ للكــرام تَــذَلُّلُ

وإذا السحابُ أتتْ بواصل دَرِّها فمن الذي في الرِّيِّ عنها يَسْألُ

أنت الذي عَوّدْتَنَا طَلَبَ المُنــى لا زلت تَعْلَمُ في العُلا ما يُجهلُ [1]

إن الكرام لا يُذِلّون أنفسهم حتى ولو ماتوا جوعاً فأين الكرام الذين ذكرهم في البيت الأول مــن قول الشاعر:

إن الكريم إذا نالته مخمصةٌ أبدى إلى الناس رياً وهو ظمآنُ

ويرتحل أبو المخشى عاصم بن زيد القرطبي إلى ممدوحيه قاصداً خيرهم وعطاءهم قائلاً:

امتطيناها سِماناً بُدُنــا فتــركنــاها نضــاء بالفنــا

وذريني قد تجاوزت بها مَهْمَهاً قَفْراً إلى أهل النـــدى

قاصداً خير منافٍ كُلِّهــا ومنافٌ خيرُ من فوق الثــرى[1]

ونجد معظم ملامح قصيدة المديح عند التطيلي متمثلةً في القصيدة التي قالها أبو الحسن الأندلسي الضرير، فقد وصف ممدوحه بالكرم وأجاد في مديحه له ووصف قصيدته التي مدحــه بها بالعروس، وفي آخر القصيدة طلب المهر الذي يناسب تلك العروس، فيقول بعــد أن افتــتح مديحه بمقدمة غزلية طويلة:

يا مَنْ لَهُ بالمعتفيــن الأُلــى لا ذوا بأكنــاف نَــداهُ اهتمــــامْ

ها بِنتُ آدابيَ بكــراً فقــد هذّبتُها مثلَ عــروس الخــيــــامْ

---

1 .ابن سعيد، المغرب، ج2، ص 259.

كأنّهـــا في نَظْمِ أبْياتِهـــــا عِقْـــدٌ تَوالـــى فيـــــهُ درٌّ تُـــــــؤامْ

إليكَ فاقْبَلْهَا فـــإنّ الـــــذي تُعْـــطِيـــه يفنـــى ويَبْقِيه انْصِـــــرامْ

وكمِّلِ المَهـــرَ لها إنّهـــــا تُبْقي جديدَ الذكـــرِ ما امتدَّ عـــــــامْ[2]

وبعد اطلاعنا على ما بين أيدينا من قصائد في المديح عند الشعراء المكفوفين، تبيّن أن صفة الكرم كانت الصفة البارزة التي ركّز عليها المكفوفون في مدائحهم، فقد أكثروا من وصف ممدوحيهم بالجود والكرم والغمام والبحر والندى، وغيرها من الصفات.

ولقد سار الشعراء المكفوفون في مدائحهم على نهج غيرهم من الشعراء الذين اتخذوا من مدائحهم وسيلة يعتشاون منها كالنابغة والأعشى وغيرهما، وربما يكون الدافع الأول مـــن وراء مدائحهم هو الاستجداء والتكسب فقد صرّح معظمهم به، فلا نجدهم يتحرّجون من إعلانـــه، ولا من الإلحاح على الممدوحين كي يتمنّوا عليهم ويعطوهم، وربما يكـــون لهـــذه الظـــاهرة –أي التكسب في أشعار المكفوفين– ارتباطٌ بحاجتهم المادية، فالعمى كما ذكر طـــه حـــسين يـــضيّق مجالات كسب العيش أمام الكفيف[3]،لذا نجدهم يطرقون أبواب الآخرين مادحين لهم ومعلنين عن حاجتهم وفقرهم.

---

1 .لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج4، ص 234.

2 .الباخرزي، دمية القصر، ج1، ص 191، 192.

3 . طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء ، ص 114.

الرثاء

تفاوتت موضوعات الرثاء عند المكفوفين بين رثاء الأقارب كالأبناء والآباء، وبين رثاء أشخاص آخرين كالأصدقاء وذويهم وأصحاب السلطة وغيرهم من أعيان مجتمعاتهم ومن أبرز قصائد الرثاء عند المكفوفين ما ورد في ديوان "اقتراح القريح واجتراح الجريح" للحصري، وقد خصّص الحصري هذا الديوان لرثاء ولده عبدالغني وذيّله بديوان آخر.

ويعد رثاء الأقارب من أصدق أنواع الرثاء، لتعبير الشعراء فيه عن مشاعر ذاتية احترقوا بنارها فعبّروا عنها في أشعارهم وقد سئل أعرابي ما أجود الشعر عندكم؟ قال ما رثينا به آباءنا وأولادنا وذلك أنّا نقولها وأكبادنا تحترق [1].

وقد ركز ابن سلام الجمحي في دراسته لطبقة أصحاب المراثي على الشعراء الذين رثوا أقاربهم مثل: الخنساء ومُتَمِّم بن نويرة، وكعب بن سعد الغنوي، و عدّهم من فحول الشعراء[2] .

وإذا كان رثاء الأقارب من أجود أنواع المراثي فإن رثاء الأبناء لا يدانيه رثاء، فقديماً قيل: ما عالج الحزن والمرارة من لم يمت له ولد[3] . وقال ابن عبد ربه: موت الولد صدع في الكبد لا ينجبر آخر الأمد. وقال في وصف ذلك شعرا:[4]

ما ماتَ حيٌّ لمَيِّتٍ أسفاً أعذرُ مِنْ والدٍ على ولدِ[5]

---

1. البيهقي، المحاسن والمساويء، بيروت، دار صادر، 1960، ص 346.
2. ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدّة، ج1، ص204.
3. أبو العباس المبرّد، الكامل في اللغة والأدب، ج4، ص25.
4. ابن عبد ربه، العقد الفريد، شرحه وضبطه أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف، 1969، ج3، ص258.
5. موسى مرزوق ريحان، شعرابن عبدربه، ص330.

ولما كان رثاء الأقارب والأبناء خاصة من أجود أنواع المراثي وأصدقها كان تركيزنا على دراسة قصائد الرثاء التي قيلت فيهم، وبعد ذلك نعرض للقصائد التي قيلت في الأشخاص الآخرين من غير الأقارب.

إنّ ظاهرة رثاء الأبناء في الشعر ليست جديدة فقد رثى كثير من الشعراء أبناءهم، وقد طارت شهرة تلك القصائد في الآفاق فمن منا لم يقرأ أو يسمع برثاء أبي ذؤيب الهذلي لأبنائه أو برثاء ابن الرومي لابنه؟ فمراثي الأبناء في الشعر كثيرة.

ويعدُّ الحصري الضرير من أكثر الشعراء عامة والمكفوفين خاصة رثاء للأبناء، فقد خلّف -كما أسلفنا- ديواناً شعرياً قصره على رثاء ولده عبد الغني، وصوّر فيه عمق مأساته وأليم فجيعته عليه، ولم يكن عبد الغني أول ولد يتوفى للحصري، فقد سبقه ثلاثة أولاد، كما أسلفنا في الفصل الأول، ولكن الحصري لم يرثهم، فهل موتهم لم يؤثر فيه ؟ أم أن حبّه لعبد الغني يفوق حبه لهم جميعا؟

لقد عانى الحصري كثيرا في حياته، فقد توالت عليه المصائب من كل جهة، فهو رجل مبتلى بالعمى، وهجرته زوجته وتنكّرت له، وتوفي ثلاثة من أبنائه، وعانى من خراب وطنه القيروان، واغترابه عنه[1] وهكذا توالت عليه المصائب الى أن مات ولده عبد الغني فكان موته المصيبة التي قصمت ظهره ،وفجّرت أحزانه حتى لم تعد لديه قُدرة على الصبر والاحتمال فيقول:

أَطَعْتُ الصّبر في نوبٍ علـيّ الـدّهْرُ لَـوَّنَهـا

1. انظر تفاصيل هذه الأحداث في كتاب علي الحصري، لمحمد المرزوقي، وزميله، ص32،29، 88-90.

وفي عبد الغنـــيِّ ابنـــي عصيتُ الصّبر حيـــن نهـــى[1]

فالحصري كما بدا من الأبيات صبر على مصائب الدهر الكثيرة ولكنّ طاقته نفدت بعد وفاة ولده فلم يستطع الاحتمال، ولسان حاله يشي بعميق حزنه فيقول:

وكَيْـفَ أُكنُّ حَسْـرَتَهُ وهذا الـدّمُع أعْـلَنَـها

إذا وشـتِ المدامعُ لم يكفَّ الحـلـم ألْسُـنها[2]

ونجد في رثاء الحصري لولده أنه يرثي قطعةً من جسده تألم لفقدانها كثيرا، وملامحها لاتغيب عنه، فقد وصف ولده وصفا دقيقاً شمل: صفاته وأخلاقه وعلومه ومعارفه ومرضه ووفاته ودفنه، وحتى إنه تخيّل كيف سيكون ولده في المستقبل لو كان قد عاش.

ويبدو من رثاء الحصري لولده أنه كان متحليا بالفضائل والأخلاق الحميدة من حلم وحياء ورزانة وغيرها من فضائل ،فيرثي هذه الفضائل ويتحسر عليها فيقول :

أين الحـيـاءُ وأيـن الـ حَيَـا وأيـن الوقـارُ[3]

ويقول:

كفى عَجَبا أنّ مـاءَ الحيـاءِ يُضَرِّجُهُ فأقولُ الْتَظَـى[4]

ويتحسّر على رزانته:

فلا طيشَ فيه وابنُ عشرينَ طائشٌ ولا عَجَلٌ والآدميُّ عَجُولُ[5]

---

1. الحصري،ديوان اقتراح القريح واجتراح الجريح، ص 176.

2. ديوان اجتراح الجريح ، ص176.

3. المصدر نفسه، ص127.

4. المصدر نفسه، ص 143.

5. نفسه ،ص 157.

وكان عبد الغني متنوع الثقافات، فقد كان قارئا للقرآن مُجيدا لتلاوته، وعالما باللغـــه وعلومهـــا المختلفة فيتحسّر الحصري على تلاوة ولده المتوفىّ للقرآن فيقول:

أينَ تَرْتِيلُه الكتابَ وَمَغْدا ... هُ إليه بعزمةلا بعجــز؟!

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أينَ ترقيقهُ وتفخيمُهُ الرّا ءَ وتحقيقهُ لمدٍّ وهمز[1]؟!

ويقول:

كأنّني لــم أكُلمِّ منــك نابغــةً ولا رأيتــك ملءَ العين قُدَّامـــــي

ولا سمعتك تتلو الذكر في سَحَرٍ بصوت داوود في إفصاح همّـــام[2]

ويبدو واضحا من خلال الأبيات السابقة الدور الكبير الذي تؤديه حاســة الــسمع عنــد الكفيف، فقد وصف الحصري كلام ولده وتلاوته للقرآن وصفاً دلّ على تركيزه عنــد الــسماع على طريقة نطق الكلمات والأحرف، فقد أدرك بسمعه أنّ ولده في تلاوته قــد طبــق أحكــام التجويد من تفخيم وترقيق، وتحقيق للمدِّ والهمز .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وربما يكون تميّز عبد الغني بالذكاء والفطنة وتحليه بالأخلاق الحميدة قد زاد من حــزن الحصري عليه، ولكن ملازمته له أثناء مرضه كانت من أبرز الأسباب التي تركت في نفــسه الحزن والألم، فأي ألم أكبر من ألم الأب عندما يرى ولده يعاني ويتألم ؟ لقد وصف الحــصري مرض ولده وصفا دقيقا دلّ على ملازمته له منذ إصابته بالمرض إلى أن توفي ودفن، فيصف بداية المرض بقوله:

لمّــا غــدا يَتَــشكّى كسلان وهو نشيــطُ

شِــطْنا عليه وكُــنّا عــلى القنا لا نَشِيطُ [1]

ويقول الحصري: أنه أُصيب برعاف كان من أسباب وفاته، فيصف ذلك الرعاف بقوله:

يا قتيلَ الرّعاف كيف نبا منْــ ك حســام له مضــاء وفَتْــكُ

---

1. ديوان اقتراح القريح، ص134.

2 نفسه، ص160

يا قتيم الرّعاف أعززْ علينـــا بدمٍ طلّـــه من الأَنـــف سَفْـكُ

يا قتيل الرعاف إني غريـــق في بحار لم يَجْر فيهـــن فُلْـكُ (2)

لقد كان الرعاف السبب الظاهر لوفاة عبد الغني، ولكن الحصري يرى أنّ ولده أُصيب بـــالعين فكانت هي السبب في وفاته ، فقد كان يخاف عليه من العين منذ أن كان صغيراً فقال:

خِفْتُ العيونَ عليه منذ غَرَسْتُه فذوى كأن لم يُثْمِر المَغْـروسُ (3)

ويقول:

طَرَقَتْنـــي العَيْـنُ فيـــه وقَـدْ عاص واشْتَدّتْ بـــهِ العَضُـــدُ

وَتَـــرْتِنـــي شَعـُوبُ ومـــا لغَـــويٍّ عِنْـدَهَـــا قَـــوَدُ (4)

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويرى الحصري أن ذكاء ولده وتميزه كانا من دواعي إصابته بالعين فيقول:

مـــا زال منـــكَ رواحٌ إلـــى العُـــلا وابتكـــارُ

حتى وَعيْتَ صغيـــراً مـــا لا تعيـــه الكبـــارُ

فضيلةٌ كلّفَـــتُهـــمْ أن يحسدوا أو يَغـــاروا (5)

ويصف الحصري اللحظات الأخيرة من حياة ولده وكيف اشتدّ عليه الألم، فانتفخ وجهه وتغيّرت ملامحه فيقول:

ألحّ عليه ما ألاح بنـــوره وأعيا حكيماً أن يجيب بأحـــرفِ

---

1. نفسه ، ص140.
2. الديوان ، ص149.
3. نفسه، ص211.
4. نفسه، ص111.
5. نفسه، ص127

وقد رابه منه تورّمُ نرجسٍ غضيضٍ ونسرينٍ وورد مضعّفِ

ونثرُ عقيقٍ ذاب فيه دماؤُهُ جرى مثل دمعي ثم لم يتوقّفِ [1]

ويصف الحصري حاله في اللحظات الأخيرة من حياة ولده وكيف كان يحاول مداواته وترقيته فيقول:

رقيتك يا ابني والحمامُ مقدّرٌ إذا جاء لم تنفع رُقى كل مدنف

ولم أنس وجدي إذ تشهّدت مخلصاً وصوتُكَ مما رقّ بالسقم قد خفي [2]

وفي اللحظة التي مات فيها عبد الغني تشارك السماء الحصري حزنه على ولده فتبكي معه:

فلما توفتك الملائكُ طيّبا وقالوا سلامٌ سِرْ إلى الله تزلفِ

بدا الجو يبكي ثم كفكف دمعه وأسبلتُ دمعي غير أنْ لم أكفِكفِ[3]

ويصف الحصري جنازة ولده والحضور الذي حضرها وصلّى عليها وشعوره في تلك اللحظات فيقول :

قدَّستْ قَبْرَكَ العِظامُ العِظامُ فعليها من السَّلامِ السّلامُ

يا شهاباً خبا فخبّاهُ القبـ ـرُ برغم العُلا حواكَ الرّغامُ

شيَّعتْ نَعْشَكَ الملائكُ والنا سُ وقد زاحمَ الكرامَ الكرامُ

عجبا حوله بغيْرِ نداءٍ حُشِرَ العالمُون والأعلامُ

ورأينا أمامهُ النورَ يسعى فالمصلونَ وقفوا والإمامُ [4]

---

1. الديوان، ص 198.
2. نفسه، ص198
3. نفسه.
4. نفسه، ص165.

ولقد استحالت حياة الحصري بعد موت ولده إلى حزن دائم جعله يتمنّى الموت ويشتاق إلى لقائه فيقول:

كَرِهْتُ بعدَ الحبيبِ عَيْشي فهلْ إلى مُنْيتي سبيلُ

لقاءُ مَنْ علّني نـــــواهُ بُرْئِي فيا حبّذا الرّحيلُ [1]

ويقول:

ضمّك قبْرٌ سقاه دَمْعــي وليتهُ ضمَّنـــا جميعــا

عِشْتُ ولو متُّ يوم ولَّى لأَحْسنَ الصَّبْرُ بي صنيعا[2]

ويحالف الحصري البكاء ويألف الأحزان بعد وفاة ولده فيقول :

حالفتُ فيكَ البكا كأنّي ورْقاءُ تبكي على فـــراخِ

خدّي شهيدٌ بأَنّ عيْني عادت من البخل بالتّساخي [3]

وبهذه الآلام والأحزان يرثي الحصري ولده رثاء ضمّنه رثاءً لذاته التي استحوذ عليهـا العمى، فلقد صرّح في رثائه لولده عمّا في نفسه من ألم عميق كان العمى من أبرز أسبابه فعبّر عن ذلك بقوله:

ولكنّ الزّمان عليَّ حتـــى بعرف ضريحه الشّافي شحيحُ

نَبَا بَصَرِي فنابَ القلبُ عنه وبتّ بهِ ألـــحُّ ولا أليـــحُ [4]

---

1. الديوان ، ص 261.

2. نفسه، ص 269.

3. نفسه، ص 248.

4. نفسه، ص 104.

وفي البيت الثاني يحاول الحصري أن يعزّي نفسه ويقول : إنه عُـوّض عــن فقــدان بــصره بالبصيرة وهدى الفؤاد:

ألم تَرَ أنّني بِهُدى فــؤادي تبيّنَ لي من الحَسَن القبيحُ

فَلَوْ تُرِكَ المسيحُ يريدُ بُرْئي لَقَالَ كَفَتْ بَصِيرَتُكَ المسيحُ [1]

ومع أنّ الحصري يحاول أن يعزي نفسه بالبصيرة والعقل إلاّ أن ذلك لم يمنعه من أن يقرن رثاء عينيه برثائه لولده فيقول:

ومات ابْني فما أنا لا فُؤادٌ ولا بَصرٌ ولا مَوْتٌ مرُيحُ [2]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

ويقول:

وهل أنْتَ إلاّ نورُ عيني سُلِبْتهُ فأيُّ اهتداءٍ لي وأيّ تصرفُّ [3]

ويقول:

وخبا نَجْمي فهــــا أَنــــَذا لا سَنى يُهْدِي ولا سَنَـــــــدُ[4]

وكثيراً ما يعبر الحصري عن موت ولده بالظلام وأفول الــشمس والقمــر والكواكــب وانطفاء الشموع، وغيرها من المعاني الدالة على الظلام الذي يعيشه الأعمى، ومن ذلك قوله:

هل ترى السماءَ هَـــوَى نَجْمُها ابنُ نيّـــــرِها[5]

ويقول متحسراً:

لهف نفسي على هلالٍ سعيـــد ينقصُ البدرُ وهو ينمى ويزكو

---

1. ديوان اقتراح القريح، ص104.
2. نفسه.
3. نفسه، ص199.
4. نفسه، ص111.
5. نفسه، ص118.

وَعَدَتْ بالتّمام فيـــه الأمانـــي فإذا موعـــدُ الأمانـــيِّ إفْـكُ

لم يرقني حتـــى بدا آفلا فـــانـــ فطرتْ للعُلا سمـــاء وَحُبْـــكُ[1]

يا خليليَّ هل بشمس الضُّحى اليو م كســـوفٌ وبالبسيطـــة دكُّ

ويقول:

بنفسيَ نجمٌ أظلم الأفق إذ هوى وكادَ يعزّيني بـــه القمـــرانِ

سلوا الدهر هل أخبى غداة وفاته سنا المشتري أم هدّ رُكْنُ أبانِ[2]

لقد قرن الحصرى بين موت ولده وبين الظلام، والظلام عند الكفيف هو العمـــى[3]، لـــذا نظـــر الحصري إلى وفاة ولده على أنها العمى ذاته.

وكان الآباء من أبرز الأقارب الذين رثاهم الشعراء المكفوفون ، فقد رثـــى الحـــصري وابن خلصة والديهما يقول الحصري في رثاء والده:

أبي نَيِّرُ الأيّـــام بَعْـــدكَ أظْلَمـــا وَبُنْيانُ مَجْدي يوم متّ تَهَدَّمـــا

وَجِسْمِي الذي أبلاهُ فَقْدُكَ إن أَكُنْ رَحَلْتُ به فالقلبُ عِنْدَكَ خيّمـــا

وقى اللهُ عَيْنَي مَنْ تَعَمَّدَ وقفـــةً بِقَبْرِكَ فاسْتَسْقَى لهُ وَتَرَحَّمَـــا

وَقَالَ سَـــلاَمٌ والثَّوابُ جَزَاءُ مَنْ أَلَمَّ على قَبْـــرِ الغريبِ فَسَلّمـــا

وقال أيضاً:

رَحَلْتَ وها هُنَا مَثْوى الحبيبِ فَمَنْ يَبْكِيكَ يا قَبْرَ الغـــريبِ

سَأَحْمِلُ مِنْ تُرابِكَ في رِحَـــالي لَكِيْ أغْنَى بهِ عَـــنْ كُلّ طِيبِ[4]

---

1. نفسه، ص148.

2. ديوان اقتراح القريح، ص170، وهناك نمـــاذج أخـــرى انظـــر، ص165، 207، 184، 190، 110، 178، 192، 37،...وغيرها كثير.

3. توماس كارول رعاية المكفوفين، ص45.

4. ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج4، ص125.

لقد رثى الحصري والده بهذه الأبيات عندما كان مهاجراً من وطنه إلى الأندلس، لـــذلك فإن الشعور بالغربة ومعانيها قد أخذ يُلحُّ عليه، فأسقط هذا الإحساس على قبر أبيه ونعته بقبـــر الغريب أكثر من مرّة، وما الغريب في ظنّي إلا هو بعد أن فقد والده. وبدأ الحصري رثاءه لأبيه بالتحّسر على النّور الذي خبا بوفاة والده فهو يركز في معظم مراثيه على رثاء النور والضياء ، وحلول الظلام الذي نزل به منذ أن عميت عيناه فأصبح يشعر عند فقد كل عزيز بفقدان النـــور وحلول الظلام.

ويرثي ابن خلصة أباه قائلاً إنه كاد أن يموت من حزنه عليه، وإنه تمنّى لو أنه مات بدلاً منه، فعبّر عن ذلك بقوله:

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يا ضريحاً حوَى عِظَاماً عِظَاما حليلٍ أمسيتُ منـــــه خليـــــلا

أعيـــاءً داويتُ داءً عيـــــاءً ومحالاً سألتُ رَسْمـــاً محيـــلا

إنَّ عَهْدي وَإِنْ بَلِيتَ جَديـــــدٌ كلما طَالَ زاد شوقيَ طـــــولا

كدتُ أقضي عليك نَحْبِي نَحِيباً وأرى ذاك في رضاكَ قليـــــلا

وأحلّ الثـــرى حلولكَ فيـــــه بدلاً منك لو أكـــون بديـــــلا[1]

إن الشاعر في الأبيات السابقة ركّز على الألفاظ والصنعة اللفظية فأكثر من المجانسة بين الألفاظ، وجاء ذلك على حساب صدق العاطفة فغلب عليها.

---

1. الذخيرة- ج 3- ص 208، ورد البيت الأول في المصدر مكسوراً، ولعل الصواب "لحليلٍ" بدلاً من "حليل".

وفي ديوان الأعمى التطيلي نجد مجموعة من قصائد الرثاء ، واحدة منها قالها في رثاء زوجته، وقد عبّر التطيلي في هذه القصيدة عن ألمه لفقدان زوجته ، فاستهلّ هذه القصيدة بالبكاء والتحسر على فراقها وقال:

ونبئتُ ذاكَ الوجهَ غيّرهُ البلى　　على قُرْبِ عَهْدٍ بالطّلاقــةِ والبِشْـــرِ

بكيتُ عليه بالدُّموعِ ولو أَبَتْ　　بكيــتُ عليــه بــالتجلُّــد والصَّبـــــرِ

فليتهمُ وارَوْا ذُكــاءَ مكانــهُ　　ولو عرفت في أوْجُــه الأنْجُــمِ الزُّهْـــرِ

وليتهمُ وَارَوْهُ بين جَوَانحــي　　على فَيْضِ دَمْعي واحتــدام لظى صــدري[1]

ويسأل التطيلي زوجته عن حالها بعد موتها ، وعمّا فعل القبر بمحاسنها فيقول:

أمُخْبِرَتي كيفَ استقرّتْ بكِ النوى　　على أنّ عندي ما يزيدُ على الخبرِ

وما فعلتْ تلك المحاسنُ في الثّــرى　　فقد ساءَ ظنّي بينَ أدري ولا أدري[2]

ويتذكر التطيلي وهو يرثي زوجته همومه ومتاعبه فيقول:

وأمّا أنا فالتَعْتُ واللهِ لوعـــةً　　هي الخمرُ لو سامحتِ في لَذَّةِ السُّكر

أهزُّ لها عِطْفَيَّ من غير نشوةٍ　　على ما بجسمي من كلال ومن فَتــــرْ

وأودِعُها عينيَّ لا لصبابـــةٍ　　ولكن لتِمْرِي دَمْعَ عيني كما تمـــري[3]

يصف الشاعر في الأبيات السابقة لوعته وحزنه على ما ألمَّ بجسمه من ألم وفتور، ويجد التطيلي في أبيات أخرى المقام مناسباً لرثاء عينيه فيقول :

ومَنْ لي بعينٍ تحملُ الدَّمع كُلَّه　　فأبكيكِ وَحْدي ، لا أقرُّ ولا أدري

---

1. ديوان التطيلي ص 70.
2. المصدر نفسه، ص70.
3. نفسه ص 71.

ولي مقلةٌ أفضتْ بها لحظاتها إلى عَبَرات جَمّةٍ وكـــــرىً نَــزْرِ

وكانَ حَرَاماً أن تجودَ بدمعةٍ وَقَدْ تَرَكَتْهَا الحادِثاتُ بلا شفْـــــرِ [1]

يرثي الشاعر في هذه الأبيات عينيه اللتين أصابهما العمى فأصبحتا عاجزتين عن البكاء وعن التعبير عمّا يختلج نفسه من حزن و ألم تضنُّ عيناه بالتعبير عنهما لعماها.

ويتذّكر التطيلي في أثناء رثائه لأحد الأشخاص حزنه وألمه على نفسه، ويتحسّر عليها فيقول:

لَهْفِي ولهف المعالي جار بي وبها صَرْفُ الرَّدى وأرانا أيّةً قَصَدا[2]

يتألم الشاعر على نفسه أولاً ثم يتذكر حزنه على المرثي وجور الأيام عليهما، ويوازي بين حاله وحال المرثي، فهو في عماه يتساوى مع الميت في موته .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويبدو أن محنة التطيلي جعلته في تذكر دائم للموت حتى إنه أصبح يراه ويسمعه كما في قوله:

خليليَّ أبْصَرْتُ الرّدى وَسِمْعتُهُ فإنْ كُنْتُمَا في مِرْيةٍ فَسَلانـــــي

خُذا مِنْ فمي هلاّ وسوفَ فإنّني أ رى مِنهما غيرَ الذي تَرَيــان

ولا تعداني أن أعيشَ إلى غــدٍ لعلّ المنايا دونَ مــا تعـــدانِ

وَنَبَّهني ناعٍ من الصُّبْح كُلَّمـــا تَشَاغَلْتُ عنه عنَّ لي وعنانـــي

أغمّض أجفاني كأنِّـــي نائـــمٌ وقد لَجَّتِ الأحشاءُ في الخَفَقَــانِ [3]

إن إحساس التطيلي بالموت واضح في هذه الأبيات، وهو في هذا يقترب مــن أبـــي العلاء المعّري الذي "وجد في تعاقب الليل والنهار إيذانا بانقضاء حياة الإنسان فلا يأبه لضياء

---

1. ديوان التطيلي ص 72.
2. الديوان التطيلي، ص 24.
3. المصدر نفسه، ص 228.

أو ظلام و يدعو إلى الحزن والبكاء" [1] والحياة عند كلا الشاعرين مساوية للموت فيقول التطيلي:

حَسْبُ الفتى نظرةً في كلِّ عاقبةٍ لولا تمنُّعُهُ عنّتْ له نَظرا

ما أشْبَهَ الموتَ بالمحيا وأجْدَرَ مَن لا يَعْرِفُ الوِرْدَ أنْ لا يعرف الصّدرا [2]

وتتفق هذه الأبيات في مضمونها مع قول المعري:

غَيْرُ مُجْدٍ في ملَّتي واعتِقادي نَوْحُ باك ولا ترنّمُ شاد

وشبيه صوتُ النَّعى إذا قيس بصوتِ البَشيرِ في كُلِّ نادِ[3]

لقد بدا إحساس التطيلي بمحنته واضحا من خلال مراثيه ، وعلاوة على هذا الملمح فإنّ ثمّة ملامح أخرى في قصائد الرثاء عند التطيلي ولا سيما رثاؤه لغير الأقارب، فقد ركّز التطيلي في رثائهم على تعداد مناقبهم، وذكر فضائلهم، فيقول في تأبين محمد بن حزم:

ألمْ يكُ حُبُّهُ كَهْفاً منيعاً ألمْ يكُ قُرْبُهُ ظِلّاً ظليلا

ألمْ يكُ للميتامَى والأيَامَى وليًّا حانياً وأباً وصُولا

ألمْ يُحْرِزْ نهايةَ كلِّ مَجْدٍ يقولُ الفضلَ أو يُعْطِي الجزيلا

ولما لم يقمْ للعلمِ وَزْنٌ فأصْبَحَ جاهُ حامِلُه خُمُولا[4]

ويؤبن ابن الياقي قائلاً:

1.جلال الخياط، الشعر والزمن ، دار الحرية، بغداد، 1975، ص48.

2. ديوان التطيلي ،ص 43 .

3. شروح سقط الزّند، ص 177.

4. ديوان التطيلي ،ص 97

فتىً كان يَعْرَورِي الفيافيَ والدُّجى ذواتُ جِماحٍ أو ذَوَاتُ حرانِ

قليلُ حديثِ النَّفْسِ فيما يرُوعــُهُ وإنْ لم يَزَلْ من ظَنِّهِ بمكانِ

أبيٌّ وإنْ يتبع رضاهُ فمصحــْبٌ بعيدٌ وإن يُطْلَبْ جَدَاه فــدانِ [1]

ويؤبن التطيلي في رثائه النساء فيصفهن بالتقوى والورع، ونلحظ أن وصفه لهن يتكرر وذلك لأن الكلام فيهن صعب لقلة صفاتهن حسب رأي ابن رشيق في العمدة[2] ولذلك اقتصر في تأبينهنَّ على تلك الصفات، يقول في إحداهن:

أنثى ولكن إذا عدّوا فضائلَها لم يدّعِ الفَضْلَ مِنْ أُنثى ولا ذكرِ

تتلو الكتابَ وتتلو من مآثرها آياً كآيٍ ولــم تظلم ولــم تَجُــرِ

قوّامةُ الليلِ تتلوه وتــقْنتــهُ على اختلافَيْه من طول ومن قِصَرِ[3]

ويقول في أخرى رثاها:

هبَي فقد كاد يَمْضي الليلُ وابتدري مداكِ منه فلو يَسْطيع لابتدرا

وكم أصاخَ المُصَلّى لو شعرتِ بــه إلى تلاوتَكِ الآيات والسُّــــوَرَا

لمن تركتِ اليتامــى، إذ تَرَكْتِهــِمُ شُعْثَ المفارق لا ماءْ ولا شجــــرا[4]

إنّ رثاء التطيلي للأشخاص في الأبيات السابقة كان مدحاً خالصاً للأموات يُعــزّي مــن خلاله ذويهم، فقد كانت مواساته لذوي الموتى وتعزيته لهم من أبرز دواعــي رثائــه لهــؤلاء الأشخاص، ومن ذلك مواساته لإخوة إحداهنّ قائلاً:

أَ أخوتها ، وإبراهيمُ فيكــم صغيرٌ ما تجفُّ لــــه جُفُــــونُ

---

1. المصدر نفسه ،ص 229
2. ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ، ج2، 172.
3. ديوان التطيلي، ص69.
4. المصدر نفسه، ص45،46.

فكونُوا حَوْلَهُ صَوْنــاً وَرِدْءاً فإنّ الفَرْعَ تَكْنُفُـــه الغصـــونُ

لقد راعتْ صروفُ الدّهـــرِ مِنْكُم أسوداً ليس يَحْويها عريــنُ [1]

ويعزي آل حزم قائلاً:

بني حَزْم وَطُوْلُكُم فُرُوعــاً يُبَيّنُ أنّكُم طِبْتُم أُصــُولا

أُعزِّيكُمْ وليس معي عَزَاءٌ ولكن لستُ أترُكُ أن أقولا[2]

ونجد فيما بين أيدينا من مراث قصيدة قالها ابن خلصه في رثاء أم معز الدولــة حــاول فيها مواساته وتعزيته، فيقول:

يا أبا عامرٍ عزاءً جميــلاً فإليكمْ يُعْزى العزاءُ الجميلُ

كلّنا صائرٌ إلى الله حتمــاً واستراح العذولُ والمعذولُ

سُنَّةُ الله في العباد وما في سُنّةِ الله للــورى تــبديــلُ[3]

ويؤبن ابن خلصة الفقيدة ويدعو لها قائلاً:

أيّها اللّحدُ هَلْ عَلِمْتَ بما اسْتَوْ دَعت ،كَلاَّ إنَّ الجمادَ جهولُ

ووريَتْ فيكَ رحمــةٌ وغيــاثٌ وحجىً نابلٌ وقــدرٌ نبيــلُ

أنِّس الشيمةَ الكريمةَ إن الدار وحشٌ والمكثُ مكثٌ طويلُ

إن تلقّاك رَوْحُ ربّك والرضــ وان والله بالجميــل كفيــلُ [4]

ويرثي ابن الحنّاط والحصري ويعزيان في آن واحد، فقد رثى الأول أبا الحزم بن جهور و هنأ أبا الوليد ابنه قائلاً:

---

1 .ديوان التطيلي، ص 233.

2 ديوان التطيلي ، ص99.

3. الذخيرة، ج3، ص208، 209.

4. نفسه، ج3، ص208

إنّا إلى الله في الرزء الذي فجعـــا والحمدُ لله في الحُكْمِ الـــذي وقعـــا

ولِي أبو الحزم عَـنْ مُلْـكٍ تَقَـلّده أبو الوليد فعـــزّ المُلْـــكُ وامتنعـا

أبٌ كريمٌ غدا الفِـرْدَوسُ مَسْكَنَـــةَ وابنٌ نجيبٌ توّلـــى الأمـــر واضطلـعا

لله شمسُ ضحى في اللّحد قَدَ غربتْ فأعْقَبَتْ قمراً بالسّعـــد قـد طلعـــا[1]

ويقول الحصري معزياً المعتمد بن عباد بوفاة والده المعتضد:

مات عبادُ ولكن بقي الفَرْعُ الكـــريمُ

فكأنَّ الميتَ حيٌ غَيْرَ أنَّ الضّادَ ميمُ[2]

لا نلمس في هذين البيتين تعزية للمعتمد، فهما مديح له فكأني بالشاعر يريد بعد وفاة الملك الذي نعم في بلاطه بالعطاء والحظوة أن يجد لنفسه مكاناً في بلاط ولده الذي ولي الحكم من بعده.

ورثى ابن الحناط القاضي أبا العباس بن ذكوان في قصيدة وصفها النباهي بالفريدة فقال:

عفاءً على الأيام بعد ابن ذكـــوانِ وَقُبْحاً لدنيا غَـيّرتْ كـُلّ إحســـان

سأبكي دماً بعد الدموع بِعَـــبْرةٍ تُغّير إحساني وتعبّر عـــن شانـــي

أحقاً سراج العلم أخمده الـــرّدى وهدّم ركن الدين من بعـــد شـــان؟

وغُودِرَ في دار البلا عَلَمُ الهـــدى فزعزع أساس مضعضـــعَ أركـــانِ؟

فشقّتْ عليه المكرمـــاتُ جيوبَهـــا وألقت رؤوس المجد عنها محـــانِ؟[3]

نلاحظ في هذه الأبيات كأنّ الشاعر يرثي ابن ذكوان ويتألم لموته، ويذرف الدموع حزناً عليـــه ويقول: إنه كان سراجا للعلم وعلما للهدى، ولكن في الحقيقة ما هذه الأبيـــات إلا رثـــاء لحـــال

---

1. الذخيرة ، ج1، ص280.

2. نفسه، ج4، ص63 ، وانظر خريدة القصر، قسم شعراء الأندلس ص51.

3. النباهي، تاريخ فضاة الاندلس، ص115، 116.

الشاعر نفسه بعد أن مات ابن ذكوان صاحب الأيادي البيضاء والعطايا، وابن الحناط كما بينا سابقاً[*] كان يعتاش من شعره فيمدح الرؤساء والقضاة والوزراء وغيرهم في سبيل أن ينال عطاءهم، لذا نجده في هذه الأبيات يتحسّر على إحسان ابن ذكوان الذي تغيّر وانقطع بعد موته . ومما يدّلل على أن ابن الحنّاط في هذه الأبيات يتحسّر على نفسه قوله:

سأبكي دماً بعد الدموع بعبرة تغيّر إحساني وتُعبرُ عن شاني

ولو لم يكن ابن ذكوان هذا نَفْل العطاء لما رثاه الشاعر ولما شقّت عليه المكرمات جيوبها.

وبعد وقوفنا على عّدة نماذج من قصائد الرثاء عند المكفوفين نجد أن قصائدهم في رثاء ذويهم مشابهة لقصائد غيرهم من الشعراء، فقد عبّروا فيها عن حزنهم وألمهم لفقدان أناس أعزّاء عليهم كآبائهم وأبنائهم، كما نجد أن رثاءهم لغير أقاربهم كان ثناء على المتوفين ومواساة لذويهم، وأما رثاؤهم للملوك فقد جاء تعزية للملوك الجدد وتهنئة ومديحاً لهم، لعلهم بذلك يجدون في بلاطاتهم الجديدة مكاناً لهم.

ومما يلفت الانتباه في قصائد الرثاء عند المكفوفين أنهّم وجدوا من رثائهم للأموات في معظم الأحيان مناسبة لرثاء أعينهم التي أصابها العمى ورثاء أنفسهم بعد أن أصبحوا عمياناً، لذلك كثيراً ما كانوا يربطون بين الموت والظلام الذي هو في قرارة أنفسهم العمى ذاته.

الشكـــوى

تعد الشكوى من أبرز الملامح التي تُميّز أشعار المكفوفين ، فكثيراً ما تشيع في أشعارهم حالات من الحزن والتشاؤم . ولا بد لنا من الإشارة إلى أن مضامين الشكوى ليست واحدة عند كل الشعراء المكفوفين ، فقد لاحظنا تبايناً في مواقفهم تجاه العمى ،كل حسب الفترة التي أصيب

فيها بالعمى من حياته، فالشكوى عند الشعراء الذين أصيبوا بالعمى صغاراً لا تركز على العمى بشكل مباشر ،فقد كبر هؤلاء الشعراء فوجدوا أنفسهم لا يبصرون شيئاً، فقد اعتادوا العمى وكيّفوا أنفسهم معه، فكانت أكثر شكواهم من الحياة ومتاعبها وهمومها، ومع هذا فإن المتأمل في شكواهم يلمس أن العمى هو الباعث الأساسي لها وأنهم يشتكون من العمى حتى وإن ولم يصرحوا كثيراً بذلك .

وأما المكفوفون الذين أصيبوا بالعمى في فترات متأخرة من أعمارهم فإن الإصابة بالعمى تؤثر في نفسياتهم كثيراً "وتكون بمثابة الضربة المدمرة لصميم كيانهم "[1] "وتجسم لديهم أفكاراً تجعلهم يشعرون بأنهم عاجزون ، وأنهم أصيبوا بمأساة وأنهم في خطر من الناحية الاقتصادية " [1]، ونتيجة لهذا كله يكون أثر العمى لديهم أكبر بكثير ممن أصيب به صغيراً ، ولذلك عبروا عن محنتهم في قصائد اشتكوا فيها من وقع العمى على أنفسهم وأثره في تغيير حياتهم.

ونتيجة لتباين مضامين الشكوى عند الشعراء المكفوفين في الأندلس فقد جعلت دراسة هذا الملمح عند الشعراء مقسمة وفق ما يلي :

1.الشكوى عند الشعراء الذين أصيبوا بالعمى صغاراً .

2.الشكوى عند الشعراء الذين أصيبوا بالعمى كباراً .

1.الشكوى عند الشعراء الذين أصيبوا بالعمى صغاراً:

لقد أكثر شعراء هذه الفئة من شكوى الحياة ومتاعبها، والدنيا وهمومها، ومن فساد الزمان من حولهم، ومن الدهر وجوره عليهم. ومن خلال أشعارهم يظهر أنهم يعيشون في

(*) انظر ما كتب في غرض المديح عن التكسب عند المكفوفين

1.توماس كارول، رعاية المكفوفين، ص17.

صراع دائم مع الأيام، يكونون فيه الطرف الأضعف لا حول لهم ولا قوة إلا التذمر والعتاب، من ذلك قول الأعمى التطيلي:

عتابٌ على الدُّنيا وَقَلَّ عِــتابُ رضينا بما ترْضى ونحنُ غضابُ

وقالتْ وأصغينا إلى زُورِ قولها وقدّ يستفزُّ القولُ وهو كِـــذابُ

وتخدعنا عمّا يرادُ بــنا منــىً لبحر المنايا دونـــــهنَّ عُبــاب

ونغتنم الأيّــامَ وهي مصائــبٌ لهــنَّ علينـــا جــيئةٌ وذَهَــابُ[2]

تبدو نظرة الشاعر للدنيا سلبية متشائمة فهي عنده زائفة وماكرة، وأمانيها خادعة وحتى الأيام التي يحاول الشاعر اغتنامها كلها مصائب تتوالى عليه.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل

ويشتكي الحصري الضرير من الأيام والدهر وما فيه من مصائب فيقول:

لقيتُ من الأيّامِ كُلَّ عظيمةٍ تَهِيل على الأُسد الثّرى وتَهولُ [3]

ويقول:

عندي من الدّهر ما عنهم شغلتُ به والصّلُ ليس يُبالي بالخفافيث [4]

ويقول:

عندي من الدّهر ما كفاني وما أرى صرفه قنوعا [5]

---

1. مختار حمزة، سيكولوجية المرضى وذوي العاهات، ص133.
2. ديوان التطيلي، ص8.
3. ديوان اجتراح الجريح، والخفافيث لغة في الخفافيش، ص155.
4. المصدر نفسه ص93.
5. ديوان اجتراح الجريح، ص269.

يبدو من شكوى الحصري أن المصائب لم تترك له في حياته شيئاً لم يتحسر عليه، فقد نال منها ما كفاه ولكنها لم تقنع منه بعد.

ومعاناة الشعراء المكفوفين مع الحياة ومتاعبها تجعلهم لا يثقون بها ، ولا يـــأمنون جانبهـــا طرفة عين، فهم في قلق دائم وخوف مما سَيَحِلُّ بهم، وقد بدا هذا الإحساس عند بعـــضهم ، ومن ذلك قول ابن جابر الوادي آشي:

وإنّما الدَّهرُ له تقلّبٌ إن ارتخى شدَّ وإن شدَّ ارتخى [1]

ويقول مبيناً خوفه ويحذّر من الدنيا:

وَبِتْ من الدُّنيا مباتَ خائفٍ فللّيالي عَدَواتٌ وسَطا [2]

ويقول:

عجبت للأيام مَنْ عَزَّ بها ذلَّ ومن يضحكْ بها يوماً بكى

فكم لها من كَرَّةٍ على فتى جَلْدٍ إذا ما لهبُ الحرب ذكـــا[3]

ويقف التطيلي من الدنيا موقفاً مشابهاً لموقف ابن جابر فيقول :

لا تركَنَنَّ إلى الزّمان وصَرْفه فَتَكَ الزّمانُ بآمنٍ ومـــــرُوع[4]

ويقول :

زمانيْ غشومٌ لا يُغِبُّ ولا ينـــي ذُنُوبي إليـــــه أنّنـــي لا أُشاكلـــــهْ

فواهاً لهُ ماذا الذي هُوَ صانـــعٌ ويا ليتَ شِعْري ما الذي هُوَ فَاعِلُـــهْ [1]

لقد بدا الشاعر يائساً من الحياة عديم الثقة بالزمان ،وكيف لا يكون كذلك وهو كما قال:

---

1. المقّري، نفح الطيب ،ج7ص310
2. المصدر نفسه ص315.
3. المصدر نفسه ص319.
4. ديوان الأعمى التطيلي ص80.

وقد شغَلَتْنيَ الأيامُ عنّي فما أدْري يميني من شمالي [2]

ولقد عرف التطيلي الدنيا على حقيقتها فهانت عنده واستخفَّ بها فوصفها بأم دَفْرٍ[*]:

إليكِ فَقَدْ عَرَفْتُكِ أمَّ دَفْـــرٍ فلن تجدي إلى خَدْعي سبيلا

نفضتُ يديَّ منكِ على يقينٍ صحيحٍ نَهْنَهَ الشكَّ العليــلا[3]

ويقول :

وها أمُّ دَفْرٍ لديها ابنُها وقد أثكلِ ابنيْ عِيانٍ عِيانا[4]

وتساوت نظرة التطيلي هذه للدنيا مع نظرة أبي العلاء المعري لها حين قال:

يا أم دَفْر لحاكِ الله والدةً منك الإضاعة والتفريط والسرف[5]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

وتكثر في أشعار المكفوفين الشكوى من الليل والليالي لأنهم في ظلمة دائمة بسبب العمى، فأمـــا لياليهم فقد كانت كزمانهم ودهرهم لا تأتي عليهم إلا بالمصائب والهموم ، وفـــي ذلـــك يقـــول التطيلي:

يا آخذي بذنوب الدهر بـــــادرةً من عتبه لم أكُنْ منها على حَـــذَرِ

هيَ الليالي ولم تجهل عواقبَها فانظرْ وَأنْتَ على حَال منْ النظـــرِ

واعْلَمْ بأنَّ الليالي غيرُ آليـــةٍ حتى تُفَرّقَ بَيْنَ القَوس والوتـــــرِ[6]

ويلقي التطيلي باللوم على الليالي فيقول:

---

1. ديوان الأعمى التطيلي ،ص235.
2. ديوان التطيلي، ص 96.
* . دَفْر: الرائحة النتنة.
3. ديوان التطيلي ،ص97.
4. المصدر نفسه،ص 191.
5. اللزوميات، ج2، ص141.
6. – ديوان الأعمي التطيلي، ص66.

لو أن حُظيَ من دنيايَ أُمْنَحَهُ جاءتْ إليَّ الليالي وهي تَعْتَذِرُ [1]

ويشتكي الحصري من صروف الليالي فيقول:

صُروفُ الليالي فوّقت لي سِهامها فمالي من الصّبر الجميل دلاصُ[2]

ونجد هذا المعنى عند ابن جابر في قوله:

هي الليالي ليس يرعى صَرْفها لا خاملاً فيها ولا مَنْ قد سَما[3]

ويعاني المكفوفون كثيرا من الظلام ، فهو عندهم –كما أسلفنا– مكافيء للعمى، لذلك كثرت في أشعارهم الشكوى من الليل وطوله، ومن ذلك قول التطيلي:

فما ليَ قد ضاقتْ عليّ مسالكي وساعاتُ ليلي في النهار شهورُ [4]

وفي قصيدته المشهورة " يا ليل الصبّ " يشتكي الحصري من الليل وطوله ويستبعد زواله فيقول:

يا ليلُ الصّب متى غَدُه أقيامُ الساعةِ مَوْعُـدِهُ؟!

رَقَدَ السُّـمّار فأرَّقَـه أسـفٌ للـبين يـرددهُ[5]

ويقول:

طوالُ الليالي فيك أرعى نجومها إذا غشى النومُ الجفونَ فخاطا[6]

ويكابد يحيى بن هذيل ليله الطويل متميناً زواله فيقول:

1.ديوان الأعمى التطيلي، ص63.

2. ديوان اجتراح الجريح، ص26.

3 . نفح الطيب ،ج 7 ،ص320.

4. ديوان التطيلي ، ص63.

5 . محمد المرزوقي، علي الحصري ، دراسة ومختارات، ص 170.

6. ديوان اجتراح الجريح ، ص28.

أكابدُ ليلا لا يزالُ كأنّه لإِكْبابه فَوْقي شجيٌّ مُفَكِّرُ

وَأَسأَلُه أنْ يَنْجلي فكأنَّه رثى لي ففيما نابني يَتفَكَّرُ[1]

ولقد اشتركت ليلة بشار مع ليالي مكفوفي الأندلس في الطول فاشتكي من طولها وتمنّى زوالها فقال:

أقولُ وليلتي تزدادُ طولاً أما لليل بَعْدَهُمُ نهارُ؟!

جَفَت عيني عن التّغميضِ حتّى كأنّ جُفُونها عنها قصارُ[2]

ويقول التطيلي واصفا ليلةً سهرها:

ألا في سبيل الله ليلٌ سهرتُهُ تساري النجومَ الزُّهرَ في الظُّلمِ الرُّبْدِ

وقد طَلَّحَتْ زُهْرُ النجومِ من السُّرى وَرَابك في أجفانها أثرُ السُّهدِ[3]

يسقط الشاعر في هذه الأبيات معاناته من مكابدة السهر في لياليه الطويلة على النجوم فيقول : إنها تعبت من السهر حتى بان أثره على أجفانها.

ويقول التطيلي في ليلة شاخت وهرمت لطولها:

وليلةٍ لا يرومُ الصّبحُ سَقْطَتَها وقد تبيّن فيها الشيبُ والخرفُ

سريتُها والنجومُ الزهرُ واقفةٌ كأنّها بسوادِ الليلِ تُكْتَنَفُ

حتى بدا الصّبح مُرْتابـاً وقد بَقِيَتْ من الدّجى لتعلاّتِ السُّرى نُتَفُ[4]

---

1. الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص 159، 156.
2. ديوان بشار، ص 190.
3. ديوان التطيلي، ص 30. بدا عليها الهزل والإعياء.
4. ديوان التطيلي، ص 83.

يبدو أن كل ما يحيط بالشاعر بعد أن فقد بصره أصبح مظلماً حتى النجوم التي عهدناها تنير ظلام الليل وسواده جعل الشاعر الظلام يكتنفها ويحجب نورها من حوله فيقول:

وأُلبِسَتْ الدنيا وأَجْمَعُ أهْلِها ضَنَىً ذاقَهُ بَعْضٌ وعالجه كُـلُّ

فلا جَوَّ إلاّ وهو أسودُ مُظْلِمٌ ولا أرض إلاّ وهي مُوحِشة فِلُّ[1]

لقد بيّن الشاعر أثر العمى في حياته، فاختلطت عليه الأشياء من حوله فلم يعد يميز شيئا، وأصبحت الدنيا من حوله مظلمة شديدة السواد.

ويشتكي يحيى بن هذيل من همومه وآلامه فلا يجد إلا ليلة مظلمة يعبر فيها عـن ذلـك فيقول :

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

إذا حبستُ على قلبي يَدي بيـــدي وَصِحْتُ في الليلة الظّلماء واكبدي

ضَجَّت كواكبُ ليلي في مطالعها وذابتِ الصخرةُ الصّماءُ من جَلَدي[2]

ويصور ابن هذيل الليل بصورة إنسان أخاف الصبح وحلّ مكانه فيقول :

كأنَّ ليليَ ممّا طال جانبُهُ أخافَ صُبْحيَ حتىّ ضَلَّ أو هَرَبا

كأن صبحيَ يخشى أنْ يُؤنّبهُ أهلُ الهوى فاختفى بالليلِ وانتقبا[1]

وكأن الشاعر يقصد بالليل الذي طال عليه وأخاف صباحه العمى الذي أصاب عينيه وحـلّ محلّ النور فيهما رغماً عنه .

ويتحّدث الشاعر عن الليل وشدة ظلامه ويصفه بالعمى فيقول:

وليلٍ بَغَى فيه الغـرابُ جناحـهُ ولم يَنْفَصِلْ عنْهُ ولكنّـه عَمِـي

---

1. المصدر نفسه، ص110، وأرض فِلّ جدبة أو أنها يصيبها المطر ولا تنبت.

2. ابن بسام، الذخيرة، ج3 ص221.

دَجا فكأنّي من حناياهُ أَو أَتـــى جريمة سوءٍ في سريرةِ مجـرمِ

إذا قُلْتُ أينَ الصّبحُ فاضَتَ سُدُولُهُ علـيّ كـأنِّي مستغيثٌ بأبـكـمِ

وأفزعُ مـن إطـراقـه فـكأنَّـه يُراصِدُ إطلاقي نجـيَّ الـتكتـمِ[2]

يرى الشاعر أنّ الظلام قد ارتكب جريمة في حقه وما أظن تلك الجريمة إلا العمى الـذي أصابه فجعل الظلام جزءا من حياته.

إن إكثار المكفوفين من شكوى الظلام والليل وطول السهر أمر طبيعي "فالكفيف عـادة يعاني من السهر وعدم القدرة على النوم نتيجة ما تسببه التوترات الانفعالية من اضطرابات في النوم عند الكفيف " [3] ، لهذا نجد أنّ معظم المكفوفين قد اشتكوا من الليل وطوله، وهذا أمر ليس بالغريب على أناس أصبح الظلام جزءاً من حياتهم طغى عليها وحجب عنها الرؤية.

ومع أن المكفوفين لا يرون ظهور الشيب في رؤوسهم إلاّ أنهم اشتكوا من ظهـوره ومـن تقدّمهم في السن، فذلك يشعرهم بضعف قواهم الجسدية ويعمـق لـديهم الإحـساس بالـضعف والعجز، الذي سببه العمى لهم من قبل، فزاد ذلك الإحساس بعد أن شابوا وكبرت سنهم، فاشتكوا منه وعبّروا عن ضيقهم به0

يقول ابن جابر :

وإن بدا صبحُ المشيبِ فاطّـرحْ ما كان إذ ليلُ الشباب قد غسا

ولا تظنَّ الشيب يُرْجى طَبُّـه بُزورِ صِبْغٍ أو مُدامٍ يُحْتســـى

إذا الفتى قوّس واعَتدّ العصا لقوسه عن وَترٍ أعياً الأُســـا[4]

---

1 . الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص159.

2 .الكتّاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص159.

3 . توماس كارول، رعاية المكفوفين، ص 113.

4.المقري، نفح الطيب، ج7، ص313، وغسا الليل يغسو: أظلم.

يتألّم ابن جابر الكفيف من ظهور الشيب في رأسه ومن كبر سنه، فهو يشعر أن نهار الشيخوخة قد بدأ يخيم عليه، ويلاحظ هنا كيف أن الظلام عند الكفيف ملازم لكل ألم ولكل مصيبة تحل به، ومما يضاعف من ألم الكفيف في كبره تعدد أغراض استخدامه للعصا، فهي لم تعد ترشده في سيره فحسب وإنّما أصبح يستند عليها في سيره لانحاء ظهره.

ويتألم الحصري على ذهاب شبابه وظهور الشيب في رأسه فيبكي ويقول:

نُحْ في المشيب على الصّبا وعلى ليالٍ ذاهبـــــات[1]

ويقول التطيلي:

أمَا اشْتفَتْ منِّيَ الأيّامُ في وطني حتّى تُضَايقَ فـيما عَـنّ من وطـر

ولا قَضَتْ من سوادِ العين حاجَتَها حتّى تَكُرَّ على ما كان فـي الشعـر[2]

يبدو أن الشاعر قد أصبح مشبعا من المصائب، فلم تعد لديه قدرة على احتمال المزيد منها ، لذا نجده قد استثقل ظهور الشيب في رأسه فاشتكى من الأيام وما فعلته بعينيه من العمى، وضاف بالشيب ذرعا فاشتكى من ظهوره. ولقد أبدع التطيلي في هذين البيتين حتى قال الشقندي مفاخراً به على بر العدوة " وهل منكم أعمى قال في ذهاب بصره وسواد شعره"[3] ثم أورد البيتين.

ويعبر التطيلي عن موقفة من الكبر ويرى أن الشيب علامة من علاماته فيقول :

ولَمْ أرَ كالتقْويسِ شيئاً هو البِلى ولا سيما إنْ قام بالشيبِ برهانُ [4]

---

1. ديوان اقتراح القريح واجتراح الجريح، ص73.

2. ديوان التطيلي،ص49.

3. المقّري،نفح الطيب ج3،ص 207.

4. ديوان التطيلي ، ص222.

ويعلّل الحصري ظهور الشيب في رأسه بأنه حداد على الشباب على عادة أهل الأنـــدلس فـــي أحزانهم فيقول:

إذا كان البياضُ لباسَ حُزْن بأندلس فذاك من الصـــواب

ألم ترني لبست بياض شيبي لأنِّي قد حزنتُ على الشباب [1]

وأما يحيى بن هديل الكفيف فيخضب شيبه حداداً على شبابه فيقول :

ولما رَأتْ شَعْري تَغَيَّر لَوْنـــهُ وَرَأَتْه مُحْتَجباً وَرَاءَ حجَـــاب

قالت : خضبتَ ؟ فقلتُ شَيْبِي إنما لَبِسَ الحدادَ على ذهابِ شبابي [2]

ونجد هذا المعنى واضحاً في قول ابن الرومي :

لم أخضب الشيب للغواني أبغي به عندهـــم ودادا

لكنْ خضابي على شبابي لَبِسْتُ من بعده حـــدادا [3]

ويتخذ الشعراء المكفوفون من الشيب حجّة يعلّلون بها إهمال النساء لهم وانصرافهن عنهم ومن ذلك قول ابن خلصة:

إذا مـــا انطـــوى شبـــاب طَـــوَتْ ودّك الحســـان[4]

وقول محمد بن عبد الله بن قسوم:

لا ذنب عنديَ للغواني إن بدا منّي المشيبُ فَعِفْنَ ما قد عِفْتُهُ

كره الغواني من بياضِ مفارقي ما لو بدا برءوسهنَّ كرهتـــه[5]

---

1 .نفح الطيب ج4 ص 109

2.الثعالبي، يتيمة الدهر، ج2، ص 15

3. ديوان ابن الرومي، تحقيق عمر فاروق الطبّاع،دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت،ط200،1،ج2، ص77.

4 .الذخيرة ، ج3 ، ص209.

5.الذيل والتكملة،السفر السادس، ص245.

إنّ الشاعر نفسه قد كره الشيبِ فكيف بالغواني ؟

ويرى الحصري أنه حتى الزوجة إذا ما رأت زوجها قد شاب تعافه وتُعْرِضُ عنه فيقول:

رأيتُ أحبَّ الغانيات لبعلها إذا شاب لا ترضى ،وإن غاب لا ترعى[1]

ولمّا رأى الحصري كُرْه النساء للشيب حاول خداعهن بخضابه فقال:

خضبتُ الشَّيبَ أخْدَعُها فقالتْ تَشبَّهتِ الحمامةُ بالغدافِ[*]

فقلتُ صدقت لِمْ أنكرتِ منِّي وأنتِ عفيفةٌ نَبْتَ العفــاف؟

فقالت بيننا في الشّيب خُلْفٌ ويُفْتينا بمسألــةِ الخــلافِ[2]

ويدرك التطيلي أن وصل النساء بعد المشيب أمر صعب، فيقول:

وَوَصْلُ الكواعبِ بَعْدَ المشيبِ مَرَامٌ تُقَصِّرُ عنه الحيلْ[3]

ويصف موقف النساء منه بعد أن شاب، فيقول:

عَجِبَ الغانياتُ مِنْ شَيْبِ رأســي وتناسين هَوْلَ يومَ الفــراق

وَتَساءَلنْ عن شبابي وقد قسَّــمْــ تُهُ في الشّعور والأحــــداق[1]

يشير الشاعر في البيت الثاني إلى عماه ويقول :إن سواد رأسه قد تــوزّع بــين شــعره وبــين عينيه،وكأن الشاعر يرى أنّ سواد شعره قد انتقل إلى عينيه فعميتا .

ويدرك التطيلي رفض النساء له بعد المشيب فيقول:

وأطْلَعَتِ الأيَّامُ شَيْباً بِمَفْرَقي روائعُ تلَحْى في الصِّبا وتلومُ

نجومٌ تراءتْ لي فأيْقَنْتُ أنَّني سقيمٌ وأنَّ الودَّ منكِ سقيــمُ[2]

---

1. ديوان اجتراح الجريح،ص188

* الغداف غراب متوسط الجثة أسحم.

2. ابن بسّام،الذخيرة ج4،ص153، 154.

3. ديوان التطيلي، ص131.

لم يُعانِ الشعراء المكفوفون وحدهم من المشيب وإهمال النساء لهم بسببه،فقد عانى منه غيرهم من الشعراء واشتكوا من ذلك ،وفي هذا يقول علقمة الفحل:

فإن تسألوني بالنِّساء فإنَّنـــي بصيرٌ بأدواءِ النِّساء طبيبُ

إذا شابَ رأس المرء أو قلّ مالُه فليس له في ودّهنّ نصيبُ[3]

ولم يكن الشيب هو السبب الأساسي في إعراض النساء عن الشعراء المكفوفين ، لأنه إذا ما اجتمع الشيب والعمى في الرجل سيكون رفض النساء للعمى مقدّماً على الشيب ،ولهذا حاول الشعراء المكفوفون أنْ يبّينوا أنّ رفض النساء لهم كان بسبب ظهور الشيب في رؤوسهم وكبر سنهم ،فصرفوا بذلك الأنظار عن السبب الحقيقي- العمى - في إهمال النساء لهم. كما حاولوا من خلال هذه الحجة أن يُخلِّصوا أنفسهم من الشعور بالنقص أمام المبصرين ومن العجز الذي سببّه العمى لهم، فبذلك يُشعِرون أنفسهم أنهم متساوون مع غيرهم من الرجال في الشيب ،وفي إهمال النساء لهم بسببه.

ويواجه كثير من المكفوفين صعوبة في التكيف مع بيئاتهم الاجتماعية ومعايشة المبصرين فيها بسهولة ويسر "فمن الصعوبة تغيير البيئة لملاءمة المكفوفين،أو تغيير المكفوفين ليلائموا البيئة،فهم لإعاقتهم ليسوا كسائر الأسوياء وكل محاولة لإيهامهم بذلك محكوم عليها بالإخفاق "[4]. ولهذا السبب تظهر في أشعار المكفوفين الشكوى من بيئاتهم ومن الإقامة فيها فنجد بعضهم قد ملّ الإقامة فيها وقرّر مغادرتها ،كما نجد أنهم اشتكوا من جفاء الناس وإهمالهم لهم وعدم تقديرهم لعلمهم وأدبهم .

---

1. ديوان التطيلي،ص85

2. المصدر نفسه،ص161

3. علقمة الفحل، الديوان، شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق لطفي الصقّال ودريّه الخطيب، دار الكتاب العربي، ط، 1969، ص35، 36.

4. لطفي بركات، تربية المعوقين في الوطن العربي، ص156.

يقول التطيلي مشتكياً من إقامته في إشبيلية:

نَبَتْ بيَ حِمْصٌ جادَها كلُّ مُرْهِمٍ تُهِلُّ الرُّبــا بالشكرِ أيّان يَهْــمَعُ

وما كنتُ أخْشى أن أحُلَّ ببلدةٍ بها غُصَصٌ من أهلها وهي بلقعُ[1]

ويعترف الشاعر أن العيب فيه هو لأنه يتمنّى ما لا يحق له فيقول:

أشاءُ مِنَ الأيّامِ ما لا تشاؤُهُ وأطْمَعُ في ما ليس لي فيه مطمعُ[2]

ويقترب التطيلي الأصغر من الأعمى التطيلي في شكواه من حمص فيقول:

إن تجفُ حمصٌ فتجفو غيرَ ذي رحمٍ تعصبّاً لبنيها فيه إذ مــجدا

وغاظها أن رأتْ إنجاب ضَرَّتــهــا ومن رأى كرماً في ندِّهِ حقدا

فَعُذْرُها أنّ أمَّ الليــثِ تُــرْضِــعُــهُ شبلاً وتمنعُ منه درّها أســداً [3]

يحاول الشاعر في هذه الأبيات أن يبرّر إهمال الناس له بالغيرة من علمه ومكانته، فالناس تحسده على هذا التميّز لذلك تهمله وتجفوه ، وقد يكون السبب الحقيقي وراء هذا الجفاء مختلفــاً تمامــاً فربما تكون صعوبة تكيف الشاعر مع الناس والبيئة من حوله هي السبب الرئيــسي فــي هــذه المعاناة .

ويَملُّ الحصري الإقامة في طنجة فيقول:

سئمتُ حياتي والمقامَ بطنجةٍ كأنّ بلاد الله غيرُ عِراض[4]

ويشتكي ابن الحناط من الدنيا ومصائبها ،ومن قلّة حظ أهل العلم والأدب فيها فيقول:

لم يخلُ من نُوَبِ الزّمانِ أديــبُ كَلاَّ فشأنُ النائبــات ينوبُ

1.ديوان التطيلي ،ص79، مرهم: من رهم والرّهْمَة بالكسر المطر الضعيف الدائم الصغير القطر.

2.المصدر نفسه.

3.ابن الأبّار، تحفة القادم ،ص41.

4 . الذخيرة ،ج4،ص169

أمسي قَراراً للخطوب وأغتدي غَرَضاً تُفوّقُ نحوه فتصيبُ

وإذا انتهيتَ إلى العلومِ وجدتَها شيئاً يُعَدُّ به عليكَ ذنــوبُ

وغضارةُ الأيامِ تأبى أن يُــرى فيها لأبناءِ الذّكاءِ نصيــبُ

ولذاكَ مَنْ صَحِبَ الليالي طالبــاً جَدّاً وَفَهمْاً فاتَه المطلــوبُ[1]

ويلوم التطيلي أهل إشبيلية على إهمالهم له ولعلمه ويرى أنهم بذلك خاسرون فيقول:

وما أخملوني لكنِ المجدَ أَخْمَلُوا وما ضيّعُوني لكنِ العلمَ ضيّعوا[2]

ويعاني الحصري ليس من إقامته في وطنه فقط بل من غربته عنه وشعوره بالوحدة فيقول:

على العُدْوة القُصوى وإن عفَتِ الدّارُ سلامُ غريــب لا يَؤوبُ فَيُــزْدارُ

وحُقَّ بكاءُ العينِ والقلــبُ مُسْــعَدٌ لمن بات مثلي لا حبيبٌ ولا جارُ

عزيزٌ علينــا أنْ نُــقيم بــذلّــةٍ فليتَ حشايانا الوطيئةَ أكــوارُ

شفى الله داء القيــروانيــنِ بعــدنا فقد مرضت للقيروانينِ أجفــانُ

وكَيْفَ غناءُ الطيرِ في غير أيْكِهــا وقد بَعُدَتْ منها فراخٌ وأوكــارُ؟

وإنــّي لأَوْلــى بالــبكاء لأنَّــهــا تَطيرُ إذا اشْتاقَتْ وما أنــا طيّار[3]

يشتكي الشاعر من الغربة، ومن شعوره بالذل والوحدة لبعده عن أهله، والشعور بالغربة عند المكفوفين يكون أكثر من غيرهم، فهم يشعرون بالغربة حتى في أوطانهم وبين أحضان

---

1. الذخيرة ،ج1،ص280،المحمدون من الشعراء ،ج2،ص491.

2. ديوان التطيلي،ص79.

3. الذخيرة ،ج4،ص157.

ذويهم، فغربتهم خارج أوطانهم تكون مضاعفة لعجزهم وقلة حيلتهم ،وقد عبّر الحصري عن ذلك حين قال:

وكيف غناء الطير في غير أيكها وقد بعدت منها فراخ وأوكـــار

وإني لأولى بالبكـــــاء لأنّهـــــا تطيرُ إذا اشتاقت وما أنا طيـــار

ويعاني كثير من المكفوفين من فقدان الصلاحية الاجتماعية[1] ، وبمعنى آخر صـــعوبة التكيف مع بقية الأفراد في مجتمعاتهم، ويجعل هذا الأمر المجتمع عاجزاً عن تقبل الكفيف، ولهذا السبب نجد بعض الشعراء المكفوفين قد عبّروا عن صعوبة تعايشهم مع أفراد مجتمعاتهم، ومن ذلك قول الحصري:

جميع الحقوق محفوظة
مركز إيداع الرسائل الجامعية

أُعادي على فضلي وأستصحب العدا وليي حسناتٌ عندهم هي أوزارُ

مديحي هجاءٌ وابتسامـــي تَجَهّـــمٌ وشكوايَ كفرٌ واعترافـــيَ إنكـــارُ

ولم أر مثلي فاضـــــلاً يَنْقصونَـــــهُ بلى قلّما يخلو من القرض دينـــــارُ[2]

يبدو أن الشاعر لا يستطيع التعامل مع أفراد مجتمعه، وكأنه معهم على طرفي نقـــيض فهـــم لا يتفهمونه ويحاولون الانتقاص منه ولفظه من بينهم، وكان هذا هو إحساس المعري ذاته حين قال:

يا قومُ لو كنتُ أميراً لكـــــم ذممتم في الغيب ذاك الأميـــــر[1]

ويشتكي الحصري حتى من أخلائه فهولا يجد منهم إلاّ الغدر وسوء المعاملة، فيقول :

كَمْ مِنْ خَلِيلٍ كان عندي شُهـــدة حتى بلوتُ المرَّ من أخلاقـــهِ

كالملح يُحسْب سكّراً في لونـــه أو حجمه ويحول عند مذاقهِ[2]

1.توماس كارول، رعاية المكفوفين، ص293.

2.الذخيرة، جـــ4 ، ص157.

يتضحُ من الأبيات وظّف الشاعر الكفيف حاسة الذوق في التعبير عن المرارة التي يلقاها من غدر الأصدقاء له.

ويشتكي ابن جابر الضرير من قلة وجود الأوفياء في زمنه، فيقول:

إنّيَ سَئِمْتُ من الزّمانِ لطولِ ما قَدْ صَدَّ عن حُسْنِ الوفاءِ رجالَهُ

ومن النَّوادرِ في زمانكَ أن ترى خِــلاًّ حمدتَ ودادَهُ وخِــلالَــهُ[3]

ويعاني أبو الوليد محمد بن المنذر ما عاناه ابن جابر من صدود الناس وجفائهم له، فقــد تخلُــى عنه أصدقاؤه بعد أن عثرت به الدنيا، فقال فيهم:

إيه أبا بَكــرٍ ومــاذا مِــنْ أخٍ ناديتُ غيرَكَ لم يجبْ لندائهِ

عَثَرتْ بيَ الدنيا فأصبح مُعْرِضاً عنّي كأني لم أَدِنْ بإخــائــهِ [4]

ويتضح من هذين البيتين ألم الشاعر من جفاء الناس له وتفرقهم من حوله بعد أن عثــرت بــه الدنيا.

ب. الشكوى عند الشعراء الذين أصيبوا بالعمى كباراً :

لقد سببت الإصابة الطارئه بالعمى عند هذه الفئة من الشعراء ألماً كبيراً وحزناً عميقاً ، وكان العمى عند كثير منهم مكافئاً للموت ومساوياً له، وكيف لا يكون هذا شعورهم وقد انقلبت حياتهم رأساً على عقب؟ فبعد أن نعموا بالبصر مدة من حياتهم وجدوا أنفسهم عميانا لا يــرون شيئاً إلا الظلام الذي يحيط بهم من كل جانب، وبعد أن كانوا يمشون بحريــة وثقــة أصــبحوا

---

1. اللزوميات، ج1 ص334.
2. الذخيرة، جـ4 ، ص161.
3. نفح الطيب، ج7، ص352.
4. الحلّة السيراء ، ج2 ،ص209.

يتخبطون في سيرهم خبط عشواء، فلا يمشون إلاُ بمرشد، وأصبحوا مقيّدين في حركاتهم وسكناتهم "فإصابة الشخص بالعمى المفاجيء تلقي عليه جميع القيود والمضايقات المتعلّقة بهذه العاهة، وأخطرها تعذّر الحركة بسهولة وعدم القدرة على التحكم في البيئة، وهذه القيود مضاف إليها شعور الشخص بأنها ستلازمه طوال بقية حياته ، فتصبح في غاية القسوة والألم.[1]

ولكي نتمثل الحالة النفسية للكفيف بعد أن أصيب بالعمى الطارئ نقف على مجموعة من القصائد والأشعار التي تصف حالته النفسية ووقع العمى عليه ، وأثره على حياته، ومن هذه القصائد قصيدة قالها أبو المخشى عاصم بن زيد التميميّ العبادي ، الذي كان قد سملت عيناه عقاباً له على تعريضه بهشام بن عبد الرحمن، فنظم أبو المخشى بعد تعرضه لتلك المحنة قصيدة وصف فيها حاله بعد أن فقد بصره فقال :

مركز ايداع الرسائل الجامعية
مكتبة الجامعة الاردنية

خَضَعَت أُمُّ بناتي للعدى ... أنْ قضى اللّه قضاءً فَمَضَى

وَرَأتْ أَعْمى ضريراً إنّما ... مَشْيُهُ بالأرض لمسٌ بالعصا

فَبَكَتْ وَجْداً وَقالتْ قوْلةً ... وهي حرّى بَلَغَتْ منّي المدى

ففؤادي قَرِحٌ من قَوْلِها: ... ما مِنَ الأَدواءِ داءٌ كالعمى

وإذا نالَ العمى ذا بَصَرٍ ... كان حيّاً مثل مَيْتٍ قد ثوى

وكأنّ الناعمَ المسرورَ لَمْ ... يَكُ مسروراً إذا لاح الرّدى

أبْصَرَت مُسْتَبْدلاً من طَرْفِهِ ... مائلاً يسعى به حيثُ سعى

لم يزلْ في كلّ مخشي الرّدْى ... يصطلي الحرب وَيَجْتَابُ الدُّجا[2]

---

1. مختار حمزة، سيكولوجية المرض وذوي العاهات، ص136.

2. وردت هذه الأبيات متفرقة في عدّة مصادر فوردت الأبيات الستة الأولى في كتاب : الذيل والتكملة، ابن عبد الملك المراكشي، السفر الخامس، القسم الأول ،ص103 ووردت هذه الأبيات كاملة في: الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ،ج4،ص233-234- (دون تدقيق فيها).

إن إحساس الشاعر بالضعف والعجز بدا واضحاً بعد أن فقد بصره فعبّر الشاعر عن هذه الآلام مختبئاً وراء زوجته فجعلها تنطق بلسان حاله، وأسْقط معاناته عليها وقال إنها هي التي "خضعت ، وبكت ، وقالت وأبصرت" فكل هذه الأفعال مسندة إلى تاء التأنيث ولكنّ المتأمل في معانيها يجد أنهّا تعبر عن ذات الشاعر.

ويبدو العمى في هذه الأبيات وكأنه كارثة حلّت بالشاعر، فسيطرت ظلاله على أبيات القصيدة لفظاً ومعنى، فزوجة الشاعر لم تر أعمى فحسب وإنما رأت أعمى ضريراً فأخذت تبكي لمعاناة ذلك الأعمى، و لم يستطع الشاعر أن يخرج نفسه من إطار تلك المعاناة فبدأ بمشاركة زوجته في التعبير عن معاناته وألمه ، مع أنه في الحقيقة هي التي تشاركه تلك المعاناة وليس هو ، فهو من أحس بمرارة العمى ، فأدرك أنّ العمى لا يدانيه ألم فقال:

ففؤادي قَرِحٌ من قَوْلِهـــا: ما مِنْ الأدواءِ داءٌ كالعمـــى

ويتفق أبو حيان الغرناطي مع أبي المخشى في هذا الإحساس ففؤاده هو الآخر قريح بعد أن عمي فقال في ذلك:

وَمُنْذُ عَيا بَصري ضَعْفُهُ قَعَدْتُ كأنِّي رهينُ الجَدَثْ

وإن كان قلبي قريحاً فلي لسانٌ بحمد إلهي نَفَـثْ[1]

ويشكو أبو المخشى في هذه الأبيات أيضاً من قيود الحركة وعدم قدرته على الاعتماد على نفسه في المشي والتنقل، وأنه مضطر لاستخدام العصا التي ترشده إلى الطريق، فيقول:

أبْصَرَتْ مُستَبْدلاً من طَرْفهِ مائلاً يَسْعَى به حَيثُ سَعَى

1. أبو حيّان الغرناطي، الديوان تحقيق، أحمد مطلوب وخديجة الحديثي مطبعة العاني، بغداد ط1، 1969، ص128.

بالعصا إن لم يَقُــدْه إنّــه بسُؤال النّاس يَمْشِي إن ْ مَشَى

فالشاعر يرى أنه حتى لو اعتمد على نفسه واستخدم العصا فإنه لا يــستطيع الاســتغناء عــن مساعدة الآخرين له ، فهم وسيلة الاتصال بينه وبين محيطه.

كما يرى الشاعر في العمى مصيبة مكافئة للموت يستحق عليها العزاء والمواساة، فيقول:

وإذا نالَ العمى ذا بصــرٍ كان حيّاً مِثْلَ مَيْتٍ قد ثوى

وكأنَّ النّاعمَ المسرورَ لَمْ يَكُ مسروراً إذا لاحَ الرّدى

ويشترك معه في هذا الإحساس أبو حيّان الغرّناطي في قوله:

أيُّ عيشٍ لشُيَيْــــخٍ هو حيٌّ مثــلُ مَيْــت

عادمُ الأُنسِ غريبٌ مفردٌ من أهْل بَيْــت

وله نفسٌ تُنــادي للمنايــا هيْت هَيْت[1]

ويعرض التطيلي الأصغر أمامنا صورة متحركة يصف من خلالها معاناته أثناء السير فيقول:

يَثْني إلى وطءِ ما يغتاله قَدَمــــاً يَهْوِي إلى لمسِ ما يعدو عليه يدا

يَمْشي فتحسبُه يقضي الصلاةَ خطاً إذا استوى راكعاً من ركعةٍ سجدا

تهوى به قدماه صولَجَيْ لَعــــبٍ تنزو السِّلامُ كراتٍ عنهما بـــــددا

مخالطٌ لبني الدنيــا مفارقُهُــــمْ قد غاب عنه من الاشياء ما شهدا[2]

وتجعلنا هذه الأبيات نستحضر صورة الشاعر في أثناء سيره ، وكيف يعاني من عدم قدرته على إبصار الأشياء من حوله ، وكيف يحرك يديه أمامه خشية التعثر والاصطدام بالأشياء والأشخاص من حوله فيصّور تعثّره أثناء المسير، ووقوعه على الأرض وقيامه بسجود المصلي وركوعه في الصلاة.

---

1. ديوان أبي حيان، ص 127.

2. ابن الأبّار، تحفة القادم ، ص 39.

ويكمل التطيلي الأصغر قصيدته في رثاء عينيه والشكوى من العمى بهذه الأبيات:

شَمْسُ الظّهيرةِ أَعْشَت كَوْكَبيْ بَصَرِي كذا سنا النجم في ضوءِ الضحى خَمَدا

إنْ نازَعَ الدَّهْرُ في ثِنْتَيْنِ من عَـدَدي فواحدٌ في ضلوعي يبهـرُ العَـــدَدا

يُغْني عن الشُّهْبِ في أجفانه مُقـــلاً من كانَتْ الشّمسُ في أضلاعه خلدا[1]

وعلى الرغم من شدة الألم الذي عبّر عنه الشاعر في القسم الأول من القصيدة، إلا أنه حاول في هذه الأبيات أن يعزي نفسه فيفخر بفؤاده النيِّر وبكرم أخلاقه، ولكن مـع ذلـك فـإن الحسرة الكامنة في نفس الشاعر على فقدان بصره لا تخفى، ولا سيّما حين قـال :" إن نـازع الدهر" فهذه العبارة تُلمِحُ بوجود صراع بين الشاعر وبين الدهر، كما تُلمِح بحقد الشّاعر علـى الدهر.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويتحسَّر يحيى بن فتحون المليلي على ذهاب بصرِه ويرثي نفسه فيقول:

كُلُّ حُسـنٍ عادَ فـي العـيـنِ وتسـاوى غَسَـقٌ وبَلَـج

خَفَيتْ أنـباءُ دُنيـا عـن عـمٍ بعدَ أن كان رأَى الدُّنيا حُجَـجْ

ما يرى الأكمَه من شـيءٍ سـوى ظُلمٍ غُودِرَ منها فـي لُجَـجْ

ليتَ شعري كيـف يسلـو قـلبـه من هَوَى غيْمٌ عليه قد نُسِـجْ

---

1 نفسه، ص39.

وإذَا اعتَلّـــتَ لحــاظٌ للفــتَـــى فقد اعتــلَّت جُسُومٌ وَ مُهَــجْ

فَكِــلـــُوا أمــري إلــى خالقِـــهِ فَلَعَــلَّ الله يأتــي بالفـــرجْ[1]

بَصُرَتْ سِتُّونَ عمـــري فانقضــى ومَضَى كُلّ زماني وانـــدرجْ

لقد عبَّر الشاعر في هذه الأبيات عن الآثار النفسيَّة التي عانى منها بعد فقدان بصرِه ولا سيّما إحساسه بشدة الظلام من حوله وعزلته بعد أن خفيت أنباء الدنيا عنه و بذلك يؤكد الشاعر صحة ما ذهب إليه علماء النفس عندما رأوا أنه: "من السطحية إن لم يكن من السذاجة أن ينظر الإنسان الى العمى وكأنه نازلة تنزل بالعين فحسب أو بالبصر ليس غير ، إنه ضربة مدمِّرة لصميم كيانه.[2] لقد بدا إحساس الشاعر بهذا الكلام واضحاً حين قال :

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وإذا اعتلَّت لحاظٌ للفتى فقد اعتلَّت جسومٌ ومُهَج

وتبدو معاناة الشاعر من الظلام واضحة من بداية قصيدته حين قال:

كلُّ حُسنٍ عــادَ فـــي العيــن وتســـاوى غَسَــقٌ وبَلَــجْ

ما يرى الأكمه من شيء سوى ظُلَمٍ غُودِرَ منها فــي لُجَــجْ

ليت شعري كيف يسلــو قــلبُه من هوى غيم عليه قد نُسِجْ

ويعبر الشاعر عن إحساسه بالعجز وقلَّة الحيلة بعدما فقد بصره فيلتجيء الى الله --عزَّ وجلّ- طالباً منه الفرج فيقول:

فَكِلوا أمري إلى خالقه فلعلَّ الله يأتي بالفرج

---

1. أدباء مالقه، ص395، صلة الصلة ج5، ص256، والبيت الأول ورد في المصدرين مكسوراً.

2. رعاية المكفوفين، ص17.

ونلمس الإذعان لله عز وجل – واللجوء إليه عند غيره من الشعراء ، فهذا محمد ابن المنذر قد فَوّضَ أمره الى الله ورَضِيَ بحُكمه فقال:

رضِيتُ بحكم الله فيمَا أصَابَني إذا لَم يكُن يُسرٌ فيَا حبَّذا العُسر[1]

ويقول أبو حيّان الغرناطي:

سأصبرُ للأمر الذي جاء ناظري وأعلمُ أنْ ما قدَّر الله واقِعُ

ومن مزَّقت أيدي النوائبُ حالهُ يكونُ لهُ من رحمة الله واقعُ[2]

ومن الطبيعي أن يذعن المكفوفون إلى الله–تعالى– ولا سيما بعد أن بشَّرهم النبي صلّى الله عليه وسلّم على لسان الله عز وجل –بالجنة حين قال " إذا سلبت من عبدي كريمتيه، وهو بهما ضنين، لم أرْضَ له بهما ثواباً دون الجنة إذا حمدني عليهما[3].

ونختم الأشعار التي اشتكى فيها المكفوفون من فقدان البصر بما قاله الشيخ الشاطبي بعد أن عمى:

بَكَى الناسُ قَبلي لا كَمِثلِ مصائبي بِدَمْعٍ مُطِيعٍ كالسَّحابِ الصَّوائبِ

وَكُنّا جميعاً ثُمَّ شَتَّتَ شَمْلَنَا تَفَرُّقُ أهْوا عِراصَ المواكِبِ[4]

يرى الشاعر أن مصيبته عظيمة وأنه لم يُبْتَلَ أحد بما ابتُلي به هو، وهذا الإحساس لمسناه عند معظم المكفوفين، فكلهم يشعر أن مصيبته عظيمة وأنه لا أحد يعاني مرارة ما يعانيه من ألم وحزن على فقدان بصره.

---

1. ابن الأبّار، الحلّة السيراء، ج 2، ص208.
2. ديوان أبي حيّان ص 265
3. فتح الباري، ابن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2000، ج10، ص144.
4. الوافي بالوفيات، ج،24، ص109.

وبعد أن نظرنا في مضامين الشكوى عند الشعراء المكفوفين في الأندلس سواء منهم من أصيب بالعمى صغيراً أو كبيراً يمكننا القول: إن الشكوى من العمى وأثره في نفسية الشعراء تعدُّ من أبرز ملامح شعر المكفوفين ، وذلك لأن قصائدهم على اختلاف أغراضها الشعرية لم تكد تخلو من هذا الملمح، وإذا دلَّ هذا الأمر على شيء إنما يدل على ديمومة معاناة المكفوفين من العمى وآثاره عليهم.

وتعد أشعار المكفوفين في مختلف الأغراض الشعرية ، وخاصة التي اشتكوا فيها من الحياة ومتاعبها وهمومها ومن العمى ومشاكله، من أهم الأبواب التي نستطيع من خلالها الولوج إلى نفسية الكفيف ودراستها من جوانبها المختلفة، فقد عبّر المكفوفون في هذه القصائد عن معاناة شخصية سبَّبها العمى لهم، فهم أقدر من غيرهم على وصف هذه المعاناة، وقد يقول قائل إنَّ هذه النماذج تمثل معاناة فردية لا تنطبق على كل المكفوفين فنقول: إن معظم الشعراء المكفوفين في الأندلس وغيرها من الأقاليم نظروا إلى العمى نظرة متقاربة ، فكان عندهم جميعاً مكافئاً للموت والظلام، وقد مثّلنا على هذا بنماذج شعرية متعددة، وكان العمى عندهم جميعاً كارثة حلَّت بهم وزلزلت كيانهم ، فجعلتهم يشتكون من كل شيءٍ حولهم، وقد وصف الشعراء المكفوفون كل هذه الآلام والآثار في بضعة قصائد وأشعار، في الوقت الذي أنفق علماء النفس في سبيل تحليل شخصية الكفيف والوقوف على آثار العمى عنده، جهداً ووقتاً كبيرين، كما أن دراساتهم كانت قد أُجريت على عيِّنات كبيرة من المكفوفين ربما لم تكن صادقة معهم في كثير من الأحيان، فعلماء النفس وصفوا شخصية الكفيف وصف المعاين عن بعد لا المعاني، ولهذا نجد أن وصف المكفوفين لأنفسهم ومعاناتهم أكثر دقة وتمثيلاً من وصف غيرهم وقد ظهر ذلك واضحاً من خلال أشعارهم.

الغزل

لم تترك أشعار المكفوفين في هذا الموضوع مجالاً للشك في قدرتهم على وصف النساء والتغزّل بجمالهن، فقد نظموا قصائد تغزّلوا فيها بجمال المرأة وعبّروا من خلالها عن حـــاجتهم إليها ؛ فهم وإن حرموا من " الأداة الأولى والكبرى للإحساس بالجمال والالتفات إليه والإحاطـــة بمعانيه "[1] فإنهم لم يُحرموا من بقية حواسهم ، فهذا بّشار بن برد يردُّ على من أنكـــرت عليـــه الغزل وهو ضرير فيقول:

وكاعبٍ قالـــــت لأترابهـــــا يا قوم ما أعجب هذا الضرير!

هل يعشق الإنسان ما لا يـــرى فقلتُ والدمعُ بعيني غزيـــــر:

إن تك عيني لا ترى وجههـــا فإنها قد صوّرت في الضميـــر [2]

ولنا أن نتساءل عن طبيعة علاقة الكفيف بالمرأة ونظرته إليها فهل يدرك الكفيف جمال المرأة ورقتها بالفعل؟ أو أنه يُقلّد في غزله غيره من الشعراء ، فيصف ما وصفوا ويتغزّل بمـــا تغزّلوا به ؟ أو أنه يعبرّ في غزله عن غرائز ومشاعر مكبوتة لم يستطع تحقيقها في واقع حياته العاطفية ؟ كما نتساءل عن موقف المرأة من الكفيف وتغزله بها، فهل تتقبل المرأة تغزّل الكفيف بها؟

إنّ وجود المرأة – جسداً وروحاً – في حياة الرجل ضرورة لا يستطيع أحد إنكارها أو تجاهلها ، وتتضاعف حاجة الكفيف لوجود المرأة في حياته وتزداد عن غيره من الرجال ؛ ذلك لأن "الكفيف يعاني من انعدام الأمن الداخلي وفقدان الحب، وتنهشه شكوك في أمر رجولته " [3] والفنان– والكفيف بشكل مخصوص– تتصف غرائزه بأنها غير قابلة للانطباق علـــى الحيـــاة

---

1. إبراهيم المازني، بشّار بن برد، ص60.
2. ديوان، بشار، ج4، ص51.
3. رعاية المكفوفين، ص110.

العملية انطباقاً كاملاً [1]، بسبب شبقيته وماديته التعويضية وشكه لوجود العاهة. [2] فالكفيف إذا شعر بأن رجولته ناقصة ومهزوزة، فإنه يحاول أن يفرّغ طاقته الجنّسية المكبوتة في داخله، فيسلك سلوكاً تعويضيّاً لإثبات ذاته وتحقيق رجولته الناقصة، فيتحدّث عن المرأة، ويصف جمالها الحسيّ ، وقد بدا هذا واضحاً في بعض أشعار المكفوفين التي وصفوا فيها جسد المرأة بكل ما فيه من فتنة وإثارة، فتغزّلوا بالعيون والقدود والنهود والأرداف والشَّعر وروائح النساء وأصواتهن ، وهذه المحاسن في مجملها إذا ما استثنينا عطر المرأة وصوتها صفات تعتمد بشكل أساسي عل حاسة البصر ولكنّ الشاعر الكفيف تغزّل بها ووصفها في شعره تعويضاً عن حرمانه من رؤيتها في الواقع.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الإلكترونية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

لقد وصف الشعراء المكفوفون قدود النساء، وتغزلوا بها، فشبهوها بقدود الغزلان والظباء وبالأغصان والبان، ومن ذلك قول ابن جابر:

لصبِّه منهُ امتدادُ النوى فلا يلامُ الدمعُ في صَبِّهِ

في قدِّه لينٌ فهلاّ قضى بقلبهِ منه إلى قلْبِهِ [3]

وقوله :

يا أيها الجائرُ في حكمه إنيَ فيما قد جرى حائرُ

قدُّكَ من أعدلِ شيءٍ يُرى وأنت في أهلِ الهوى جائرُ [4]

ويشبه ابن جابر المرأة بالغزال في قدودها وجمالها، فيقول :

1.سامي الدروبي، علم النفس والأدب، ص 230 .

2.عدنان عبيد العلي، شعر المكفوفين في العصر العباسي ، ص179.

3.المقّري، نفح الطيب، ج7، ص354.

4. المقّري، نفح الطيب، ج7، ص350.

سلبَ القلبَ غزالُ قدُّه قَدْ حكى البان لنا والسَّلما [1]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

1. المصدر نفسه ص351.

ويقول :

قَدْ سبا قَلْبي غزالٌ فاتنٌ سَلْ به كيفَ اعتدى في سَلْبه [1]

ويصف التُطيلى القدّ ويفضله في الحسن على البان والأغصان فيقول :

وقدُّكِ النّاعم الريّان أم غُصُنٌ يميسُ ليناً على كثبان يَبْرين[*]

إذا انثنى وهفا مرُّ النسيمِ به فأين منهُ قضيبُ البانِ في اللينِ [2]

ويشبه أبو الحسن الأندلسي الضرير القامة بالغصن فيقول :

قامتُها كالغصنِ ممشوقةٌ والخصرُ في إرهافه كالزِّمامْ[3]

وأما الخدود فكانت عندهم كالورد في نعومته ولونه، وكالياقوت وشقائق النعمان في حمرتهمـــا، وكالصباح في نوره وإشراقه، ومن ذلك قول ابن جابر:

خدٌّ ترى الوردَ بعضاً من محاسنه تبارك الله ما أبهى شمائلَهُ [4]

وقوله:

لها حُسْنٌ لها عن كلّ شيء به قلبي فما أنا أستفيقُ

علي وجناتها نعمانُ يبـــدو لنا وشفاهُها هنَّ العقيقُ [5]

وقوله:

صحّ أنّ الصباحَ من وَجَنَتَيْها وغصونَ الرياضِ من معطفيها [6]

---

1. المصدر نفسه ص355.

* يبرين بالفتح ثم السكون، وكسر الرّاء: رمل لا تدرك أطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة، انظر معجـــم البلـــدان، ج5، ص227.

2. ديوان الأعمى التطيلي ص211.

3. دمية القصر ج1، ص189.

4. نفح الطيب ج7، ص352.

5. نفح الطيب، ج7، ص356.

6. نفسه ص352.

ويقول ابن خلَصه في القدود والخدود:

تخدُّ بألْحاظِ العيونِ خدودها وترهبُ أن تنقدّ ليناً قُدودها [1]

ويشبه الحصري الخد بالياقوت فيقول:

حباني بياقوتٍ من الخدّ أحمرٍ ودرٍّ فمٍ منه سنا البرق يلمعُ [2]

ويقول:

لمى شَفَةِ المحبوبِ أوْ وَرْدُ خدِّه مدى أملي لو تمَّ لي ما أوَمّلُ[3]

ويتغزل ابن جابر بالخال الذي على الخدود فيقول:

مليحَةُ الخدِّ به شامةٌ كالوَردِ قد نُقِّطَ بالغاليهْ[4]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويقول:

في خدِّها شَبَهٌ للخـــالِ أو شيِـــةٌ بما حوى الحُسنُ من ألطاف أسرارِ

وشيٌ من الحُسنِ لم يحتجْ لِصنعِ يدٍ تبارك الله هذي صنعةُ البـــاري[5]

ويتغزل يحيى بن هُذَيل بالوجه وإشراقه قائلاً:

وجهٌ أغَرّ كأنهُ بدرُ الدّجـــى فعليهِ من نورِ السُّعودِ كمالُ

تتزاحمُ اللحظاتُ في إشراقهِ فكأنَّهُ فوْق العيونِ هِـــلالُ[6]

وفي الثغر يقول التطيلي:

أريقُ ثَغْرِكِ أمْ بنتُ الزَّراجين وَعَرْفُ نَشْرِكِ أم مِسْكٌ بداريـــنِ

---

1. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ص49، وفي بغية الملتمس "تذهب" بدلاً من "ترهب" انظر ص14.
2. ديوان المعشّرات، ص18.
3. المصدر نفسه ص35.
4. نفح الطيب، ج 7 ص 354.
5. المصدر نفسه، ص353 .
6- التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص 130.

وثغركِ الشَّنِبُ الوضَّاحُ أم بَرَدٌ أم بارقٌ من رِضَاكِ اليوم يثنينـــي

إذا بدا ليَ دُرٌّ منـــــه مُنْتَظِـمٌ نَثَرْتُ لؤلؤَ دمعي غيرَ مكنـــــونِ [1]

ويتغزّل الحصري بالأرداف والخصر فيقول:

ثقالةُ رِدْفَيْهَا ورقَّةُ خصرها وسحرُ العيونِ القاتلاتِ البواعِثْ[2]

ويقول:

رشا صام عُلْواً فادَّعتْ يثرب الحشا فأفطرَ سُفلاً فادَّعت رِدفه مصرُ [3]

ويقول أبو الحسين الضرير:

والرِّدفُ منها ككثيبٍ نـــدٍ يُقْعِدُها عند ابتداءِ القيامْ[4]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويقول ابن جابر:

رِدْفٌ أقامَ لنا بها فتنَ الهوى وإذا أتت لتقومَ قالَ لها اقعدي

أبصرتُها ما بينَ ذاك وبين ذا فوقعتُ منها في المُقيمِ المقعدِ[5]

ويقول في أردافها وزينتها:

تحلّتْ بما يحكي محاسنَ ثغرها وحَلّتْ عقودَ الصبرِ منّي عقودُها

ثقيلةُ أرْدافٍ فَصَعْبٌ قيامُهـــا بما حملتْ منها وسهلٌ قعودُهـــا[6]

ويصف الحصري رائحة المرأة ويتغزل بها فيقول:

1- ديوان الأعمى التطيلي، ص 211، بنت الزراجين الخمر والزرجون شجر العنب، دارين اسم موضع.

2- ديوان المعشرات، ص 16 .

3- المصدر نفسه، ص 22.

4. دمية القصر، ج1، ص190.

5 نفح الطيب، ج7، ص338.

6. نفح الطيب ج7، ص351.

عذَارُك إذْفَـرٌ فـــي أُتوفنـــا فشوقاً إلى مشمومك المتَضوّعِ

عميد الهوى يُشفى به من سقامه فأَهْدِ إلينا نشـــره نتمتّـــعِ [1]

وأما العيون فقد حظيت باهتمام خاصّ عند الشعراء المكفوفين في أشعارهم، فتغزّلوا بها ووصفوها وكانت عندهم من أبرز محاسن المرأة التي فتنتهم، فكانت نظراتهـــا الـــسهام التـــي أصابت قلوبهم بسحرها وجمالها، وليس بدعا أن يصف المكفوفون العيون ويتغزلوا بها فقد أكثر الأدباء من ذكرها[2] والتغزل بها فهي عندهم "تنوب عن الرسل ويُدرَك بها المـــراد، والحـــواس الأربع أبواب إلى القلب ومنافذ نحو النفس، والعين أبلغها وأوضحها دلالة وأوعاها عملا، وهي رائد النفس الصادق ودليلها الهادي ومرآتها المجلوة التي تقف بها على الحقائق وتميز الـــصفات وتفهم المحسوسات"[3] والمكفوفون محرومون من هذا كله، فأعينهم عن النظر معطلـــة وليـــست لديهم قدرة على معاينة الجمال وإدراكه، وهم يفتقدون جمال العين في وجوههم وإدراك جمالها عند الآخرين، ولهذا كان تغزلهم بها تعويضاً عن حرمانهم منها وهذا ملمح نجده عنـــد معظـــم المكفوفين، فأبو العلاء المعري –مثلاً– في رسالة الغفران لم يجعل للعمى وجوداً فكل من كـــان أعمى في الدنيا جاء في الآخرة مبصراً جميل العين [4].

لقد أُخذ الأعمى التطيلي بالأعين النُّجل[*] وأعجب بجمالها، وبها أقسم، ومن ذلك قوله:

لا وحياةِ الأعيُنِ النُّجْلِ وإن تَعَاوَنَّ على قَتْلي

أليّةً ما زالَ برّي بهـــا أكثرَ مِنْ برِّكَ بالعـــدلِ [1]

1.ديوان المعشرات، ص30.

2.انظر محمد عبدالرحيم، العيون في أشعار العرب وقصصهم، جمع المؤلف في هذا الكتاب أشهر ما قيـــل فـــي العيون شعراً ونثراً.

3.ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة، ضبطه وحرّره الطاهر مكي، دار المعارف، ط3 ، ص 43.

4. انظر رسالة الغفران ،تحقيق بنت الشاطئ،ص237، وانظر عناية الشعراء المكفوفين في العصر العباسي بـــالعيون والإكثـــار مـــن ذكرها في أشعارهم وخاصة بشار بن برد في: شعر المكفوفين في العصر العباسي، عدنان عبيد العلي، ص115-125.

وقوله:

تُزْهى به الطعنةُ النجلاءُ يطعنها كأنّما استعْملتها الأعينُ النُّجُلُ

وقوله:

وأُبْطِلَ سِحْرُ الأعينِ النُّجْلِ بعدما مَضَتْ بُرْهةٌ والسحرُ ما دونه بُطْلُ[2]

وقوله:

ما لي وما للأعْيُنِ النُّجْــلِ أجْمَعنَ عُدْواناً على قتلي

وما لقلبي يتصدَّى لهـــا بَيْنَ أليمِ الشّوق والخَبْــل

من لحظاتٍ لم يَزَلْ غُنْجُها يَحْكُمُ بالجوْرِ على العَــدْلِ[3]

وتغزّل الحصري الكفيف بعيون الرجال والنساء، فعملت فيه عمل السحر وكانت عنده هاورتيّة الــسحر وبــذلك وصفها ،ومن ذلك قوله في غلام يسمى هارون:

يا غــزالاً فَتَن النّا س بعَيْنَيْه فُتُــونا

أنت هاروتُ ولكــن صحّفوا تاءَك نُونا [4]

ويصف الحصري العيون بالبابليات :

سناهُمْ سِراجي والخدود شقائقي وتلك العيونُ البابليّاتُ نرجسي[5]

ويقول:

فُتِنْتُ بمهضوم الحشا ناعم الصبا له لحظُ سحارٍ ومشي نزيــف[1]

---

* .النجل: سعة شق العين مع حسن وعينين نجلاوين وعين نجلاء أي واسعة، انظر لسان العرب مادة نجل.

1. ديوان التطيلي، ص119.

2. المصدر نفسه، ص 110.

3. نفسه ،ص135 وانظر نماذج أخرى في ص، 151، 119.

4. الذخيرة :ج4،ص155.

5. ديوان المعشرات، ص24.

ويقول ابن جابر:

ساحرُ العينِ إذا أبصره كاتبٌ ألقى لديــه القَلَمـــا[2]

وتغزل المكفوفون بنظرات العيون وألحاظها التي قتلتهم بجمالها، ومن ذلك قول ابن جابر:

سَلَّتْ علينا سيوفاً من لواحظها وَمَنْ لنا من سيوفِ اللحظ من واقي

أضْحَتْ لسفكِ دمِ العشّاق هادرةً فما ترى ديـةً لقتلِ عُشـاق[3]

وقوله:

مَنْ سَنَّ تلك اللحاظَ فاتَّبعتْ من سُنَّة الحبِّ كـلَّ مُتَّبـعِ

تَقْتُلُ عشَّاقها بلا سبـــب وذاكَ في الحبِّ غيرُ مُبْتَدعِ[4]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويقول الحصري :

أصابت فؤادي أسْهُمُ اللحظِ إذ رَمَتْ فلله قتلى الأعين الشهداءُ[5]

ويصف محمد بن عمران القفصي الكفيف لواحظ غلام فيقول:

سقاكَ بلحظِ مُقْلتهِ مُداما وهزّ الغُصْنَ من خَنَثٍ قواما

بعينيه من المنصور سيفٌ يَقُدُّ بشفرتيه طلىً وهامـــا [1]

ويجني ابن الحنّاط من النظرات لذّة السكر فيقول:

تُدير علينا الرَّاحَ فيها جَـآذرٌ وَيُسْكِرُنا باللحظ منهنَّ غـــــزلان

ولم أر مثلي كيف صار بقلبه مِنْ الوَجْدِ بركانٌ وفي الجفن طوفان [2]

---

1. المصدر نفسه، ص32، النزيف: السكران.
2. نفح الطيب، ج7، ص351.
3. نفسه، ص353.
4. نفسه،357، وانظر ص375.
5. ديوان المعشرات، ص13.

وفي الألحاظ يقول الأعمى التطيلي:

ومُغرىً بقتلي لحظُهُ مشرفيّـــةٌ يقيه الردى مُشْتَاقُهُ وهــو قاتلـــهْ

غزالٌ سقاه خَمْرَهُ الحسنُ فانْتشـــى ومـــال دلالاً وازدهتـــه دلائلـــهْ

أحَلَّتْ دمي أحْكـامه فأسالَــهُ بلحظٍ ينالُ الشيء قبل يُحَاولُــهْ

رشا عطَّلتْ ما في الجفون جُفُونُهُ وألقتْ على ما في الشَّمولِ شمائلهْ [3]

ويقول:

ولَحْظُكِ الغَنِجُ السّحارُ أم قدَرٌ أم ذو الفقار قضى في يوم صفين[4]

ويقول يحيى بن هذيل:

وأحْورَ وَسْنَان الجُفُـون كأنَّــه قضيبٌ من الريحان لدْنٌ مُنَعّمُ

نظرت إلى أجْفانِــه وإلى الهـــوى فأيْقَنْتُ أنّي لسْتُ مِنْهُنّ أسلمُ[5]

ولم يكتف الشعراء المكفوفون بوصف محاسن المرأة الجسدية وإنما كشف بعضهم عن رغباتهم الجنسية ، ووصفوا خلواتهم بالنساء وما كان يدور فيها، ومن ذلك قول الحصري يـصف أحـد مجالسه بين الجواري:

ليالي بعــتُ العاذليـــنَ إمامتـــي بِفتكي ووَلّيْتُ الوشــاةَ أذانـــي

وإذ ليَ ندمانــان: ســاقٍ وقينـــةٌ رشيقانِ بالأرواحِ يمتــزجـــانِ

أمُدُّ إلى الطاووسِ في تارة يـــدي وفي تارةٍ آوي إلـــى الورشـــانِ

---

1. القفطي، المحمدون من الشعراء، ص115، نكت الهميان، ص235.
2. الذخيرة،ج1،ص278
3. ديوان الأعمى التطيلي،ص234.
4. نفسه، ص 211، ذو الفقار سيف علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.
5. نفح الطيب، ج3، ص154.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فكانا بما في الجسم من رقَّةِ الضنى يكادان عنـد الضـمِ يلتقيـان

ونفضي إلى نومِ فإن كنتَ جاهـلاً مكاني فَوُسْطى القدّ كان مكانـي

وما بي فخر بالفجـور وإنمـا نصيبُ فجوري الرّشفُ والشفتانِ[1]

ويقول في مقطوعةٍ أخرى:

قالت وهبتك مهجتي فخُذِ ودع الفراشَ ونم على فخذي

وثنت إلى مثل الكثيب يدي فأجبتُها نعـم الأريكـةُ ذي

وهممتُ لكن قال لي أدبي بالله من شيطانهـا استعـذِ [2]

تمثل هذه الأبيات وسابقتها النزعة الحسية لدى الحصري وميله إلى جسد المرأة، فوصف لقاءه بها وكيف حل منها وسط جسمها ونام على فخذها، فكأنه يباهي بتسليم المرأة جسدها له، وتمكنه منها يفعل بها كيف يشاء، وكأنه بذلك يحاول أن يؤكد رجولته التي يشعر بنقصها ويثبت أنه قادر على مواقعة النساء وقضاء حاجته منهن ولكن عفافه وأدبه يحجزه عن ذلك.

ويكشف ابن جابر عن غريزته تجاه جسد المرأة وتمنيه نواله فيقول:

تمنيت أن تُهدي إليّ نهُودَها فقالتْ رأيتَ البدرَ يهداه أو يهدي

فقلت أللرُّمّانِ بُدٌّ من الجنـى فتاهت وقالت : باللواحظ لا الأيدي[3]

ويصف أحد مجالسه الحسيّة فيقول:

سامحَ بالوَصْلِ على بُخْلهِ وقالَ لي أنت بوصلي حقيـقْ

فقلتُ ما رأيك في نزهـةٍ ما بينَ كاساتٍ وروض أنيـقْ

---

1. ابن بسّام، الذخيرة، ج2، ص85.
2. المصدر نفسه.
3. نفح الطيب ،ج7، ص303.

فقال يعني خدّه واللمـــى : هذا هو الروضُ وهذا الرحيقْ

فبتُّ من دمعي ومن خـــدّه ما بين نعمانٍ وبين العقيـــق[1]

إن مثل هذه الأشعار التي وُصِفَتْ فيها لحظات الوصل واللقاء بالمرأة ربمـــا لا تكـــون حقيقة ولا تتجاوز إطار مخيلاتهم وتمنيهم تحقيقها ، فالقارئ لغـــزل المكفـــوفين لا يجـــد أنهـــم يتغزّلون بامرأة محددة ملأت عليهم حياتهم، ولاعبت مشاعرهم بالفعل، وإنما كان غزلهم منصباً على جسد المرأة الذي هو واحد عند كل النساء، وهذا يؤكد أنهم يحاولون من خلال ذلك تعويض غرائزهم المكبوتة، وتأكيد رجولتهم المهزوزة، والمتأمل في محاســـن المـــرأة التـــي وصـــفها المكفوفون لا يلمس أنهم نالوا منها شيئا ، فهم يرددون ما وصفه غيرهم من الشعراء ، فلو كانوا بالفعل قد أدركوا هذه الصفات ونالوا منها شيئا فلثموا فاها واستعذبوا ريقـــه، ولمـــسوا خـــدها وشعروا بنعومته، فلو كانوا أحسوا بهذه المباهج وغيرها لما كثرت في أشعارهم الـــشكوى مـــن النوى والبعد ولما اشتكوا من صدود المرأة عنهم وقلة اهتمامها بهم ، فقد بدا من أشـــعارهم أنّ الغزل كان من طرف الكفيف وحده، ولم تبادله المرأة ذلك، ونظرت إلى تغزله بها باســـتخفاف، فكيف تستجيب له، والمحبون حولها كثر؟ بهذا الاستخفاف وبهذه النظرة قابلت المرأة ابن جـــابر فعبر عن ذلك بقوله:

فقلتُ أليس القلبُ عندك حاصـــــلاً فقالتْ قلوبُ الناسِ كُلُّهُمُ عندي

1. المقّري، نفح الطيب، ج7، ص338.

فقلتُ: اجعليني من عبيدك في الهوى فقالتْ كفاني كم لحسنيَ من عبدِ [1]

ويدرك ابن جابر أن وصل النساء أمر صعب وبعيد نواله، ويتمنىّ ذلك على صعوبته فيقول:

جمالُ هذا الغزال سحرٌ يا حبّذا ذلك الجمالُ

نباله قد رمت فــؤادي يا حبّذا تلكم النبــالُ

زُلالُ ذاك الحمى حياتي وأين لي ذلك الزلالُ؟!

قتالُهُ لا يطاقُ لكـــنْ يعجبني ذلك القتــالُ [2]

وأما الحصري الضرير الذي وصف مجالس لهوه وعبثه مع النساء وادعى أنه حل منهن وسـط القدود ونام على أفخاذهن فتبين أن الواقع غير ذلك ، فعانى من هجر الحبيب وصدوده واشتكى من ذلك فقال:

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

هجرتمْ وخنتمْ عَهْدَ من لم يَخُنْكُــمُ وقلتُمْ ملولٌ والملــولُ ســـواه

هدمتم بناءَ الحــبِ منّا بهجركـــم وفي مثلكم يُرْضي الحليمُ صباه[3]

ويقول:

وضقتُ بهذا الحب ذرعا وحيلة فحتّى متى أشكو ولا تنفع الشكوى

وهبتك حظي من سرور ولذة فجازيتني أن زدت بلوى على بلوى

ولو أنّني إذ كنتُ عندك مُذْنِبــاً وجدتُ سبيلاً حيث أسألك العفـــوا

وصالُك لي مُحْيي وهجرُك قاتلي وحبك شغلٌ كنت من قبله خِلْـــوا[4]

---

1. نفح الطيب، ج 7 ص303
2. نفسه، ص369.
3. ديوان المعشرات، ص38.
4. ديوان المعشرات، ص39.

ولو أن ما وصفه الحصري من تسليم المرأة له ونواله جسدها حق لما قنع برؤية خيالها وطيفها، فحرمانه من وصل المرأة ورؤيتها جعله يتمنى ذلك في المنام فيقول:

لأنتم وإن خنتم مواثيق عهدنـــا أحبةُ قلبي لا أريـــد بديـــــلا

لآخرُ عهدي مثل أوّلـــه لكـــــم وإن كنتمُ لا تحفظون خليـــلا

لأجْرُكُمُ بالوصل أفضلُ مغنـــــمٍ بعيشكُمُ رِفْقاً عليـــه قليـــــلا

لأن تُحسنوا أولى بكم من إِساءةٍ وما كان أولى بالجميل جميلا [1]

ويقول:

قنعتُ بوصل الطيف إن قاده الكرى وكيف رقادي والمدامع ما ترقى[2]

وأما المحاسن التي تغزل بها أبو الحسن الأندلسي الضرير فقد كانت لخيـــال طيـــف زاره فـــي المنام:

أهلاً بطيفٍ زارني في المنام من غادةٍ تفتِنُ كُلَّ الأنـــــام[3]

ثم يبدأ بعد هذا البيت بوصف محاسن هذا الطيف الذي زاره وهو نائم.

ويعبر التطيلي عن إعراض لذيذة وصدودها عنه قائلاً:

يا قلبُ ذُبْ من أسى أو لا فلا تذبِ ما من تحبُّ وإن تحْرِص بمقتربِ[4]

ويقول :

يا حبَّ لَذّةَ قد أدْنَفْتَ فاتئـــــدِ إن كنت تجهد في نقصي فلا تـــــزدِ

---

1. نفسه، ص40.
2. ديوان المعشرات، ص33، وانظر شواهد أخرى، ص14، 16.
3. خريدة القصر، ج1، ص189.
4. الذخيرة، ج2،ص434.

ويا لذيذةُ لا والله ما خَطَـرَتْ بالقلب ذكراكِ إلاَّ بتُّ فـي عضـــدِ

أتحسبين فؤادي عنكِ مُنْصَرِفاً وقد حللتِ مَحَلَّ الرّوح من جسِـــدي

بنتم فخلَّد عندي وَشْكُ بينكُـمُ شوقاً نفَى جلَدي لا بل سبى خلَـــدي[1]

ويشتكي من وجد النوى فيقول:

النومُ بعدكمُ علـيّ محـــرّمُ من ذا ينامُ وقلْبُـهُ يتضـــرّمُ

ماءُ الحياةِ وقد نأيتمْ آسِـنٌ رَنْقٌ ووجه الدهر جَهْمٌ مظلـمُ

قد بان عنّي الصبرُ لما بنتمُ والوَجْدُ يُنْجدُ في الفؤاد ويتهمُ

أجريتمُ دمعي دماً لفراقكـمْ ظلماً وقلتمْ ما لـه لا يكتـــم[2]

ويتمنى ابن هذيل أن يرى طيف الحبيب ليرى ما يعانيه من ألم فراقه فيقول:

ألا عَودةٌ من طَيْفِه فيرى حالـي ألا يا ادّكاري للكرى لي أتى تالـي

يكادُ يضيقُ الجوُّ من عِظمِ زَفْرتي وتهفو نجومُ الليل من فرط إعوالي

أبى غير تعذيبي ولو أمر الـرّدى أطاع ولكنْ فِعْلُـهُ هـو إنكالـــي [3]

ومن غير أن يعالج ابن هذيل الحب وألم الفراق نظم بديهة قصيدة عبر فيها عن ذلك فقال:

عرفتُ بعَرْفِ الريح أين تيمّمـوا وأين استقلّ الظاعِنونَ وخيّموا

خليليّ ردّاني إلى جانبِ الحمـى فلستُ إلى غير الحمى أتيمَّـمُ

أبيتُ سميرَ الفرقديـنِ كأنّمـا وِسَادي قتادٌ أو ضجيعيَ أرقـمُ

---

*لذيذة: اسم امرأة تغزل بها التطيلي ولم ترد هذه القصيدة في الديوان.

1. الذخيرة ،ج2،ص436.

2. نفسه، ص436.

3يتيمة الدهر، ج2،ص16.

وأحورَ وسنانِ الجفونِ كأنّـــــه قضيبٌ من الريحانِ لَدْنٌ منعــمُ[1]

وهذه الأبيات لم يقلها ابن هذيل شاعراً بما ضمّنها من معان وإنما قالها تحدّياً وإبرازاً لقدرة أهل المغرب على مجاراة المشرقين والتفوق عليهم[2].

ويقول ابن الفرّاء بديهة :

إذا كان وَرْدُكَ لا يُقْطَــفُ وثغرُ ثناياك لا يُرْشَــفُ

فأي اضطرارٍ بنا أن نقول: ألا بأبي شادن أوطــف[3]؟

يبدو من هذه الأبيات أن الشاعر قد يئس من تمنّع الحبيب وجفائه، ولكنّ مناسبة هذه الأبيات تنفي وجود ذلك الحبيب أصلاً.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

إن أشعار المكفوفين في هذا الغرض لا تمثل -في معظم الأحيـــان -مـــشاعر حقيقيـــة صادقة، وإنما جاءت تنفيساً عن غرائز مكبوتة حرموا من إشباعها فحاولوا تعويضها من خلال وصف جسد المرأة ومفاتنه ولحظات اللقاء الحسي التي حلموا بتحقيقها، فهم وإن وصفوا المرأة وتحدثوا عن جمالها لم يدركوا ذلك بالفعل "فاستحالة التحقق هذه تكبل الفنان كما يكبل الأســير، فكما تبقى الرغبة في الحرية مركز إبداعه وكما لا يحتاج الإنسان الحر إلى التغني بالحرية كذلك لا يحتاج الإنسان المرتوي جنسيّاً إلى التغني بالحب"[4].

---

1. نفح الطيب، ج3، ص154.

2. أورد الحميدي في مناسبة هذه الأبيات" أنه "انشد بحضرة ملوك الأندلس لبعض أهل المشرق، فافرط الحاضـــرون فـــي استحـــسانها وقال: هذا ما لا يقدر أندلسي على مثله، وبالحضرة كان يحيى بن هذيل فقال هذه الأبيات بديهاً" انظر جذوة المقتـــبس ، ج2، ص608، وفيات الأعيان، ج7، ص229.

3. نفح الطيب، ج3، ص382. وقال المقّري في مناسبة هذه الأبيات أن أحد تلامذة ابن الفرّاء قال شطر بيت هـــو " ألا بـــأبي شـــادن أوطف" ولم يستطع إكماله فطلب من أستاذه إكماله فقال هذين البيتين.

4. سامي الدروبي، علم النفس والأدب، ص230- 231.

الوصف

إنّ وصف المرئيات يرتبط ارتباطاً كبيراً بدقة الملاحظة وسلامة حاسة البصر،والشعراء المكفوفون مع افتقادهم لهذه الحاسة لا تخلو أشعارهم من هذا الغرض ، فقد أثار بشار بن برد انتباه الناس من حوله لا من قدرته على الوصف فحسب ، وإنما من إجادته فيه، ففي هذا يقول بشار بن برد :

عَجِبَت فَطمَةُ من نعتي لها أيجيدُ النَعتَ مكفوفُ البَصَر[1]

وكان بشار يُشبِّه الأشياء بعضها ببعض في شعره فيأتي بما لا يقدر البصراء أن يأتوا بمثله ،فَقيل يوماً وقد أنشد قوله :

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

كأن مثَارَ النَّقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تَهاوى كواكِبُهْ

ما قال أحدٌ أحسن من هذا التشبيه [1].وربما يجيد كثير من المكفوفين الوصف والتشبيه ولكن كيف يتَأتَّى لهم ذلك والحاسَّة الأساسية التي يقوم عليها هذا الغرض عندهم معطَّلة ؟

وفيما يتَّصل بقدرة المكفوفين في الأندلس على الوصف فقد تبَيَّن بعد الوقوف على أبرز ملامح حياتهم وشخصيَّاتهم أنهم لم يكونوا منغلقين على ذاتهم منعزلين عن غيرهم ، وإنما خاضوا غمار الحياة وانخرطوا مع الأفراد في مجتمعاتهم على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية، فشاركوهم الحياة العلمية والأدبية والدينية وحتى السياسية في بعض الأحيان ، ولم يعقهم العمى عن حضور المجالس العلمية و الأدبية كما وصل عدد منهم إلى بلاط الملوك والأمراء فجالسوهم، وتقرَّبوا إليهم بالشعر فمدحوهم ونالوا عندهم حظوة ومكانة ، ولقد ساعد حضور هذه

1. الأصفهاني، الأغاني، ج3، ص 142.

المجالس على تكوين شخصيَّتهم العلمية والأدبية والفكرية والثقافية، فهم وإن لم يشاهدوا الحياة من حولهم فإن صورتها انتقلت إليهم من خلال تعايشهم مع الآخرين ومشاركتهم في مختلف المناسبات .

ولم يكن كلُّ مكفوفي الأندلس- من الشعراء -مِمَّن أصيبوا بالعمى صغاراً فبعضهم عَمِي في أواخر حياته ، أي بعد أن شاهدوا الموجودات من حولهم وعاينوها مدَّة ، فاحتفظت ذاكرتهم بصور الأشياء وأشكالها .وحتى من عمي منهم صغيراً فقد تواصلوا مع محيطهم الخارجي بآذانهم ، ولا ننسى أن المجتمع الأندلسي عني بمساعدة المكفوفين وتعليمهم وكان من بين أفراده من يرشد المكفوفين ويرافقهم في تنقلاتهم في داخل الأندلس وخارجها ، فكان المكفوفون بذلك على اتصال مباشر مع الموجودات من حولهم حتى برز من بينهم أبرز وصَّافي الأندلس يحيى بن هُذيل [2]، وشاعر الطرد ابن الحنّاط.[3]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

عني يحيى بن هذيل بوصف الطبيعة من حوله ، فَغَلَبَ الوصف على معظم أشعاره ،ولا غرابة في ذلك فطبيعة الأندلس خلّابة وساحرة فهي جنّة الله في الأرض كما وصفها شاعر الطبيعة ابن خفاجة حين قال :

يا أهلَ أندلس لله دَرُّكُمُ ماءٌ وظلٌ وأنهارٌ وأشجارُ

ما جنَّةُ الخلدِ إلاّ في دياركمُ وهذه كنت لو خُيِّرتُ أختارُ

لا تتَّقوا بعدها أن تدخلوا سَقَراً فليس تدخلُ بعد الجنّة النار[4]

---

1. ديوان بشار، جمعه وشرحه محمد الطاهر بن عاشور ، ج 4 ،ص،82-

2. حمدي منصور ،بحث، بعنوان " يحيى بن هُذيل الأندلسي دراسة في حياته وشعره" نشر هذا البحث في مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية، عدد 47، سنة 1999، ص 113.

3. الشوادفي الباز، عظماء قهروا الظلام، ص 73.

4. ديوان ابن خفاجة، الديوان، تحقيق السيد مصطفى غازي، منشأة المعارف، الاسكندريّة، ص364.

لقد وصف ابن هذيل الطبيعة بكل ما فيها فلم يكد يدع شيئاً لم يصفْهُ فوصف الأشجار و الأزهار والورود بأنواعها المختلفة ووصف الرياض و البساتين والأنهار والليل ، ووصف الحيوانات والطيور ، كما تعرَّضَ إلى وصف بعض المظاهر الحضارية كالمباني والقصور ، وأدوات اللهو والطرب كالعود والربابة والطنبور ... إلى غير ذلك من الأشياء الكثيرة التي أحاطت به، ولكثرة أشعار ابن هُذَيلْ في هذا الغرض حاولنا أن نبيِّن أبرز ملامح الوصف عنده مدلّلين عليها بما يناسبها من أشعار توِّضحهَا .

ويرى محمد الشوابكة أن الوصف عند ابن هذيل في بعض مقطوعاته يأتي رسماَ مجرَّداً لصورة الشيء الموصوف دون أن تتأثَّر مشاعره بالأشياء التي يصفها فكان " يمعن بالرسم عن طريق الكلمة وبشكل خارجي يصعب من خلاله سماع صوت الشاعر ... غير أنه لا يمزج بين تجربته الشخصيَّة وما يقول"[1]، ويتخذ الشوابكة من الحمام أنموذجاً على ذلك ويرى أنه قلّما يوظف وصفه له في عرض مشاعره، فيمزج بين سجع الحمام وبين شجونه الخاصة خلافاً لكثير من الشعراء الذين مزجوا بين هُتاف الحمام وهمومهم،[2] ويعرض الشوابكة إلى مجموعة من الأشعار التي قالها ابن هذيل في وصف الحمام نورد منها قوله:

ترى قطرات الطلّ كالدرِّ فوْقها إذا انْتَفَضَتْ في الأيك تنثره نثرا

إذا فرّقته ألّفَ الغيمُ غيْرَهُ عليها فقد شبهتها قينةً سكرى

تزاحم أخرى مِثْلَهَا بعقودها ولم ترضَ باسترجاع منثورها كبرا[3]

إن هذه الأبيات وإن لم يعبّر فيها الشاعر عن أحاسيسه ومشاعره الذاتية فإن فيها صورة بديعة تعج بالحركة والحيوية.

---

1. محمد الشوابكة، شعر يحيى بن هذيل، ص54.

2. نفسه، ص55.

3. الكتّاني،التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص63.

وأما عندما يتصل الوصف بهموم الشاعر وآلامه الذاتية كمعاناته من الحب وفراق الحبيب وهجره، ومن الظلام وطول الليل، ومن التقدم في السن وظهور الشيب في الرأس فإن مشاعره وأحاسيسه الذاتية تبدو واضحة ، كما يبدو في وصفه لهذه الأشياء "انعكاساً لتجارب وتصويراً لمعاناة ومزجاً بين الذات والموضوع"[1] ومن ذلك قوله يصف الوداع والفراق مصوراً مشاعره في تلك اللحظة :

شاهَدْتُهمْ ولقد أخافُ عِنَاقَهُمُ شحّاً على أجسامِهِمْ أن تُحْرَقا

فَتَرَكْتُ حَظّي من دُنُوِّي منهمُ ومن الوفاءِ أن تُحِبَّ فَتَصْدُقا

وأقلُّ فعلي يوم بانوا أنّنـــي قبّلتُ آثار المطيِّ تشوّقـــا [2]

وأما الليل وشدة الظلام فقد بدت معاناة الشاعر من ذلك كبيرة، ففيه تثقل الهموم على الشاعر وتزداد ساعاته طولاً ،ويصبح الليل لطول معاناة الشاعر فيه شريكاً له في الهم ومنافساً له في الحب ، فيقول:

كأنّ ليلي شريكي في الهوى فإذا ذكرتُ فكّرَ والبَلْوى لمن خابا

كأن ليلي وَصُبْحِي فيه مُحْتجبٌ غيرانُ سدَّ على معشوقتي بابا[3]

ويصف ابن هذيل أثر ظهور الشيب في رأسه على نفسه فيقول:

ورأى بقيّة مفْرقي قد فُرِّقت ليُرى بها ريشُ الغراب غريبا

كالطير لمّا فاجأتها هجمْـــةٌ للصّقرِ فرّت في الجهات هُرُوبا

---

1. شعر يحيى بن هذيل ص55

2. جذوة المقتبس ج2 ص609 ،وبغية الملتمس ص510.

3. التشبيهات ،ص 155، لقد عرضنا نماذج أخرى من أشعار ابن هذيل في الشكوى من الليل أثناء دراستنا لغرض الشكوى عند الشاعر الكفيف.

أو كافتراق السّفرِ في ديْمومةٍ لم يخرجوا من قفْرهــا تأويبــا[1]

ويقوم الوصف عند ابن هذيل على التصوير والتشبيه، فأكثر من تجسيد الجمادات وأنسنتها، واتكأ في ذلك على التشبيه بشكل أساسي، وأكثر من استخدام أدواته حتى لا تكاد تخلو مقطوعة من المقطوعات الوصفية عنده من استخدام "كأن" أو "كاف التشبيه" ومن ذلك قوله يصف الحرب والطعان والجيوش :

كأنَّما الخيْلُ آرامٌ فوارسُهَــا أسْدٌ وبَيْنَهُمَا صُلْحٌ قد انعقــدا

كأنّما قِمَمُ الفرسانِ قَدْ تَرَكَتْ فيها النَّعام تريكاً عَمَّهَا عددا

كأنَّها وسيوفُ الهند تَقْرعها طيرٌ تُجَاوبُ طيْراً صيّتا غَرَدا [2]

ويقول في وصف الرايات :

وكأنَّ البُودَ أجنحةُ الطّيــ ــرِ يُرَفْرِفْنَ إذ حوَتْهــا القيــــودُ

وكأنَّ المحْمرَّةَ اللونِ في الأُفـ ـقِ خدودٌ يزِينُهــا التَّوريــــدُ

وكأنَّ العُقابَ والريــح إلفــا نِ فَمِن ذا وصلٌ ومن ذي صُدودُ [3]

لقد استطاع يحيى بن هذيل أن يصف الموجودات من حوله وصفا دقيقا لا يخفى وضوحه وجمال تصويره على أحد، مما يجعلنا نشك في أن قائل هذه المقطوعات والقصائد الوصفية أعمى، ويجعلنا نرجح ما ذهب إليه الشوابكة عندما رأى أن ابن هذيل قد أصيب بالعمى في فترة متأخرة من حياته[4] أوربما يكون ابن هذيل نظم هذه الأشعار قبل إصابته بالعمى أو بعد أن شاهدها وعاينها زمناً طويلاً فبقيت صورتها مختزنة في ذاكرته فأعاد استرجاعها ووصفها كما خزنتها ذاكرته أيام كان مبصراً.

---

1. التشبيهات، ص256.
2. التشبيهات، ص257.
3. المصدر نفسه، ص201.
4. عرضنا لرأي الشوابكة هذا في معرض ترجمتنا لحياة ابن هذيل في الفصل الأول من هذه الدراسة.

جميع الحقوق محفوظة
مركز الجامعة الإلكترونية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وأما " شاعر الطرد" ابن الحنّاط الكفيف، فإنه من الغريب أن ينعت الكفيف بهـذا، إذ إنـه مـن الصعب على الكفيف أن يمارس الصيد، وذلك لافتقاده المهارات الأساسية التـي ينبغـي علـى الطارد أن يتقنها من دقة ملاحظة، وسرعة حركة ،وقدرة على التربص بالحيوانـات والطيـور وقنصها إلى آخر تلك المهارات[1] .

إن النظر في رسالة ابن الحنّاط التي وصف فيها الطرد يزيل العجب، فقد خرج فيها ابن الحناط عن المألوف في هذا الموضوع إذ" أَلِفَ الشعراء أن ينظموا قصائد الطرديـات يـصفون فيهـا الوحوش والغزلان والطيور وأدوات الصيد وكلاب الصيد والصقور ،وابن الحنّاط نقل الطرديات من الشعر إلى النثر المطرز بالشعر"[2].

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وحتى الأشعار التي أوردها ابن الحنّاط في هذه الطردية لا علاقة لها بالطرد وليس لها منـه إلا النسبة إليه،و أما الجزء النثري في هذه الرسالة فيتفق مع موضوعها الطردي خلافـا للأشـعار التي أوردها فلا نلمح فيها انفعال الشاعر بمشاهد الصيد من حوله فشاعر الطرد" ينفعل بمـشهد الصيد فيحاول تصويره ويبذل قصارى ما يستطيع ليجمع أطراف الحوادث[3]"، وإنما قامت هذه الأشعار على غرضي المديح والوصف،فوصف ابن الحنّاط الصبح والخيل والحمام والسحاب ، ومعرسِ القوم وما دار فيه من طهي للطعام وشرب للخمر. وفي وصف الخمر يقول:

إذا دعا الندمان طيباً سَقّتي فَضَلَةَ الكاس فقد طال العطشْ

مِنْ سُلافٍ سلَفتْ في دَنِّها قبْلَ عاد وهي صِرفٌ لم تُغَشْ

من يَدَيْ ساقٍ تُحاكي خدُّه قَهْوَةً فيها حَبَابٌ كالنمـــشْ

---

1. انظر تفصيل هذه المهارات في كتاب: الطرد في الشعر العربي، عبدالقادر أمين، ص136-147.

2. المطرب من أشعار أهل المغرب ، انظر حاشية هذه الرسالة، ص223.

4. الطرد في الشعر العربي ، ص 289 .

خلع الياقوتُ ثوباً فوقهـــا وكساها وَشْيُهُ جِلْدَ الحنـــش[1]

ويصف ابن الحنّاط إشراقه صبح ليلة نديّة فيقول :

بتنـــا وبـــاتَ البـــــرْدُ يضربه الندى من كُلِّ أخضرَ باردِ الأنداءِ

والليل يُخفي نفســـــه في نفســـــه والصُّبحُ كشّافٌ لكل غِطاءِ

وكأنما الإصباح ينشـــــرُ مُهْرَقـــــاً أثر المدادِ به من الإمْساءِ[2]

وتظهر براعة ابن الحناط في وصف ليلة ماطرة كثيفة السحاب حين قال:

وكأنَّ صوت الرّعدِ خلْف سحابهِ حادٍ إذا ونت السحائب صاحـا

مرتجة الأرجاء يحبس سيرهـــا ثقل فتعطيه الرياح سراحـــــا

أخْفَى مسالكهَا الظلام فأوْقَدت من برقها كي تهتدي مصباحا[3]

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويصف ابن الحنّاط حمامة تشدو على الأغصان فيقول:

تشدو بعيدان الأراك حمامةٌ شدو القيانِ عَزَفْنَ بالأعوادِ

مال النسيمُ بغصنه فتمايلتْ مهتزةَ الأعطافِ والأجيـــادِ [4]

لقد تمكن ابن الحنّاط في هذه المقطوعة وغيرها من مقطوعاته الوصفية من وصـــف الأشـــياء المحيطة به فلم يمنعه العمى من الإحساس بلذة الخمر ونشوته ،ومن سماع صـــوت الحمـــام ، واهتزاز أغصان الأشجار ومداعبة النسيم لها ، فقد وظّف ابن الحنّاط في رسمه للموصـــوفات التي عرضها في هذه المقطوعات حواسه الأخرى كما لاحظنا، ولكن هذه الأشعار وإن وصف بعضها الطبيعة من حوله إلا أنها جاءت مقحمة في هذه الرسالة إقحاما ولا ســـيما المقطوعـــة

---

1. المطرب من أشعار أهل المغرب، ص 225 .
2. المطرب، ص 233.
3. المصدر نفسه، ص 227.
4. نفسه ص228.

الأخيرة فهي مقدمة قصيدة مديح قالها الشاعر في مدح علي بن حمود [1] ،وأورد ابن الحنّــاط في الرسالة موضوعات لا علاقة لها بالطرد ولا حتى الوصف، فكانت مديحا خالصا نظمها في بعض الأشخاص الذين خطروا على باله وهو يكتب هذه الرسالة ومنها قوله : وتخيلت –أبقــاه الله – صفاته وتأملت مكرماته فأخذت أنسخ ما تملي:

يقولون هذا أبلغُ الناسِ كلهمْ فقلــت: المعالي علمتنـــي المعانيـــا

وما لِيَ في قولٍ تضمن لَفْظُــهُ مناقِبَ قومٍ غير ما كنتُ راويا [2]

ويمدح بعد هذا الحاجب أشخاصاً آخرين من بينهم أحد الفقهاء قال فيه :–

فتى واحدٌ في عصره غير أنّه يقومُ لراجيهِ مقامَ ألـــوفِ

وما هو إلا رحمةُ الله مدّها على كل ملهوفٍ وكلِّ ضعيفِ

وأنفذ في الأحكام آراء فيصلٍ لها في قضاياهُ مَضَاء سيوفِ[3]

وهكذا ينهي ابن الحناط رسالته الطردية على هذا النمط من قصائد المديح. وأما الجزء النثري من هذه الرسالة فقد اتكأ فيه ابن الحنّاط على الجمل القصيرة المسجوعة ، فاقتربت بهذا الأسلوب من المقامات في أسلوبها الفني القائم على السجع، وعلى الرغم من أن الأشعار التي وردت في هذه الرسالة لا علاقة لها بموضوع الطرد إلا أن ابن الحنّاط الكفيف عرض فيها للموجودات من حوله صورة دقيقة وظف فيها حواسه الأخرى، وربما يكون قد استفاد من خبرات الآخرين من حوله فيما نقله في هذه الأشعار من أوصاف للموجودات.

وفي ديوان التطيلي نجد قصيدة وصف فيها التطيلي المطر وحاجة الأرض إليه فيقول:

طَلَبَتْ غِرّةَ الزمان الجمــاد نعمَ حبُّ الربى وريُّ الوهادِ

وأصاخت إلى الجنوب تَقَصَّى أثرَ الجدب في أقاصي البلادِ

كلما عرجت بوادٍ مــن الأر ض حدا حدّها ذكــرى وادِ

ديمةٌ سمحةُ القيــاد تناهـــى ريقُها المحلَ وهو شوك القتادِ

لو أطافــت لأطفــأت حرقـــات الوجد بينَ القلوب والأكباد [1]

1. وردت هذه القصيدة كاملة في الذخيرة ج1 ص 278ومطلعها:
راحتي تذكر الندى والجوادا وطريقي يسير للجنوح جناحا
2. المطرب ،ص234
3. المصدر نفسه، ص 236–237، وورد في الحاشية أن الفقيه المعني هو الحسين بن عيسى الكلبي قاضي مالقة.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وكظيمٍ قد نفّس الكربَ عنه ضَحِكٌ في بكائِهِ المُتَمــادي

حملت صَوْبها التهائمُ غَوْرا فكفينَ البلاد حَمْلَ المـــزادِ

فبعينيكَ هل ترى غيــر داعٍ أو مجيبٍ أو رائح أوغـــاد

أو مُنَاخٍ أو مسْرحٍ أو مَقِيلٍ أو خبيبٍ أو مَلْعَبٍ أو نــادي[1]

لقد استطاع التطيلي أن يرسم للناس أثناء سقوط المطر صورة نفسية وحركية، فوصف فرحة الناس وبهجتهم بنزول المطر وما ينتابهم في اللحظة نفسها من فزع عند ســماع صــوت

1. ديوان الأعمى التطيلي، ص، 37، الخبيب: بطن الوادي.

الرعد ورؤية البرق" فمثل هذه النظرة للعلاقة بين الطبيعة والإنسان لم ينتبه إليها إلا قلّة من شعراء الطبيعة، إذ كان جلهم يتجهون إلى معالم جمالها الخارجي،[3] ولكن التطيلي على الرغم من عماه استطاع أن يشعر بها فوصفها وعرضها في لوحة وصفية جميلة، تشعر أن راسمها شخص أعمى.

لقد أجاد كل من يحيى بن هذيل وابن الحنّاط والتطيلي في رسم صورة الأشياء التي وصفوها في أشعارهم حتى إن القارئ ليستحضر في مخيلته صورتها بدقة ووضوح كأنه يراها أمامه.ونماذج شعر الوصف التي عرضناها لهؤلاء الشعراء لا تعني أن بقية الشعراء المكفوفين لم ينظموا في هذا الغرض، وإنما جاء الوصف عندهم مرتبطاً ببقية الموضوعات الشعرية: المديح والهجاء والرثاء والغزل، فلم ينظموا في الوصف قصائد مستقلة كما وجدنا عند ابن هذيل وابن الحنّاط والتطيلي في نماذجهم التي أوردناها سابقاً.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

[2]- عبد الحميد الهرّامة ، الأعمى التطيلي حياته وأدبه، ص229.

الهجاء والسخرية

اشتهر عدد من الشعراء المكفوفين في الأندلس بالهجاء وسلاطة اللسان وكان من بينهم: أبو بكر المخزومي، والحصري، وابن الصفّار، وأبو المخشى. ولم يصل إلينا من هجاء هــؤلاء الشعراء خلا مجموعة من المقطوعات المتفرقة لأبي بكر المخزومي وبعض الأبيات للحصري. المبصرين وقد تبين ان المخزومي.

كان أبو بكر المخزومي في مقدمة هجائي الأندلس[1]، وكان لا يسلم من هجائه أحد ولا يزال يخبط الآفاق بعصاه ويقع فيمن أطاعه وعصاه[2] ،وَوُصِف المخزومـــي بإجـــادة الهجـــاء والإغارة على الأعراض[3].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

لقد أشرنا سابقا إلى أن سلوك المكفوفين تجاه الآخرين ومن حولهم يتباين من كفيف الى آخر كل بحسب طبيعة شخصيته، فقد يضيق بعضهم بإعاقته ويلجأ إلى الهروب من الواقــع والعزلة عن الآخرين، وقد يتخذ بعضهم موقفا هجوميا حادّاً يعلن فيه العداء لمجتمع المبصرين، وقد تبيّن أن المخزومي كان من الفئة الثانية، إذ تعامل مع الآخرين بطريقة عدوانية وساخرة في بعض الأحيان، فالشعور بالعجز والنقص يشكل لدى الكفيف أوهاماً تجعله يتخيَّل بأن ثمة احتمالاً للاعتداء قد يقع عليه ولا يستطيع ردَّه لعجزه ، وقد لا يكون الاعتداء بالضرب بل بالسخرية منه – وهو الأغلب – أو إهانته أو اغتصاب حقوقه[4].

إن مخاوف الكفيف هذه من سوء معاملة الآخرين وشعوره بعدم الأمن على نفسه من

1.ذكر ابن سعيد أن أشهر هجائي الأندلس هم : المخزومي ، واليكي ،والأبيض،انظر المغرب /ج1/ص 230

2. ابن سعيد،المغرب ،ج1 ،ص228.

3. العماد الأصفهاني،خريدة القصر قسم شعراء الأندلس ، ص 154.

4- سيد خير الله، سيكولوجية الطفل الكفيف، ص47.

سخريتهم واعتدائهم عليه يولد في نفسه شعوراً بالحقد والحنق على المجتمع من حولـــه، ولهذا يحاول الدفاع عن نفسه وتأمينها من هذه المخاوف فيفرّغ هذه الأحقاد على الآخرين مـــن حوله في صورة هجاء ونقد لهم .

وانطلاقا مما تقدم يظهر أن من أبرز دوافع الهجاء والسخرية عند المخزومي أنه اتخـــذ منهما وسيلة لحماية نفسه من سخرية الآخرين وسوء معاملتهم له، فكان الهجوم على الآخـــرين والانتقاص منهم أفضل وسيلة للدفاع عن نفسه. سُئِلَ المخزومي عن كثرة هجائه للناس فأجاب : أنا أعمى وهم لا يبرحون حفراً[1].

وقد اتفق المخزومي في تبريره لهجائه مع بشار بن برد الذي لقب باسمه فسمي بّشار الأندلس[2]. لاتفاقهما في هذا الغرض عندما عاتبه والده على كثرة هجائه للناس فقال له : أليس الله _عز وجل _ يقول : " ليس على الأعمى حرج [3] " . فقد برّر كلاهما هجاءه للناس بأنه أعمى ولا حرج عليه ، والتبرير في هذا المقام من الحيل الدفاعية التي يلجـــأ إليهـــا الكفيـــف " لمواجهة أنواع الصراع والمخاوف فهو إذا يخطئ يبرِّر أخطاءه بأنه عاجز وكفيف ، وهو يلجأ إلى هذا الأسلوب حينما ينفر من قبول التفسير الصحيح عمَّا يفعل[4] .

ويشكل شعراء الهجاء في الأندلس سلطة ضاغطة على الناس من حولهم خشية هجائهم وسلاطة لسانهم ، فقد ذكر المقّري في معرض حديثه عن المخزومي ونزهون أن أهل الأندلس " كان لهم في الترف والنعيم والمجون ومداراة الشعراء خوف الهجاء محل وثير المهاد[5] " .

1- ابن سعيد،المغرب ج 1/ ص 230.

2- نفسه، ص228.

3- الأصفهاني،الأغاني ج 3، ص.

4- سيد خير الله، سيكولوجية الطفل الكفيف، ص 47.

5- المقّري،نفح الطيب ، ج1، ص190.

ولهذا السبب كان المخزومي " مهيب الصولة مرهوب الجولــة ،مخــصوصاً بــالتحف والهدايا والطرف[1] " وكان يُستقبل بالاحترام والإحسان والمديح ، ومما يذكر في هذا المقــام قصيدة قالها فيه أبو بكر بن سعيد استدعاه بها ومدحه فقال :

يا ثانيــاً لــلمعــــرِّي في حسن نظمٍ ونــثرِ

وفَرط ظــرفٍ ونُبــلٍ وغوْصِ فَهْــمٍ وفِكــرِ

صل ثم واصل حفيَّــاً بــكــلِّ شكــرٍ وبِــــرِّ

وليــس إلا حــديــثٌ كمــا زهــا عقــــدُ درِّ

وبيننا عَقــدُ حِلــــفٍ لبانُ شلــــركٍ وكــفــرِ

فقُم نجــــدِّده عهــداً بطيب شكــــرُ وسُكــرِ [2]

لا يخفى ما في هذه الأبيات من مداراة ومسايرة للمخزومي اتقاء هجائه وسلاطة لسانه .

لم يترك المخزومي أحداً يسلم من هجائه ، فهجا الرجال والنساء من العامة والخاصــة، هجا حتى أقرب الناس إليه، فبدأ بنفسه وسخر منها في قصيدة نظمها متغزلاً في إحدى النــساء فقال:

رُبَّ حسناءَ كالغزالةِ جيــــداً والتفاتاً تُزْري بحُور الخلودِ

كلمتني فطــار قلبــي إليهــا وتَرَجَّيْتُ للظــمــاء وُرُودي

فتجافت عن منظري ثم قالت أترى الحورَ واصلاتِ القرود

لم ألمها عن الصُّدود لأنِّــي كنت أهلاً من مثلها للصُّدود [1]

1- العماد الأصفهاني،خريدة القصر، قسم شعراء الأندلس، ص154.

2- لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص424-425.

يسخر المخزومي في هذه الأبيات من قبح منظره وبشاعة خلقته، فهو لا يريد أن يترك لهذه المرأة أو غيرها فرصة للسخرية منه، فبادر هو بذلك فسخر من نفسه بنفسه، "فالشاعر الكفيف يلجأ إلى السخرية ليخفف بها عن حرمانه وعذابه، ويتوسّل بها بوصفها وسيلة تفريج وترويج يعلو بها ويتسامى مستخفاً هازئاً [2] وتبعث السخرية في نفس الساخر شعوراً بالتفوق والانتصار والاستعلاء، فالسخرية من الآلام تهون حملها [3] ". ومن هنا فإن سخرية المخزومي من نفسه لم تترك لديه نقطة ضعف يخشى على نفسه منها ،فإذا كان هو نفسه لا يعبأُ بعيوبه ويسخر منها فلا يعود لسخرية الآخرين منها أي معنى فلو كانت تزعجه لحاول سترها عن الناس ولما صرّح بها أمامهم .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويهجو المخزومي ولده هجاءً لاذعاً فيصفه بجلافة الطبع وقلّة العقل وسوء الخلق فيقول:

الحقُّ أبلجُ ليس أنت وحقِّ مَنْ أحيا بك الأجلاف ممّن يفلْح

لا تهتدي بفضيلةٍ لا ترْعوي بملامةٍ لا أنت ممّن يصلُحُ

يزدادُ عَقْلُكَ ما كبرتَ تناقُصاً وتلجُّ في صممٍ إذا ما تُنصَحُ

أكلٌ وسلحٌ كُلَّ حينٍ لا تُرى لسواهما ما دُمتَ حيّاً تطمحُ [4]

يظهر من هذه الأبيات أن المخزومي كان شديد الوطأة حتى على أقرب الناس إليه فهجا ولده وشهّر به فلم تمنعه عاطفة الأبوة من القسوة على ولده ، مما يدلُّ على أن العمى حوّل عواطف الإنسان النبيلة ومشاعره في داخله إلى تحاملٍ على كل من حوله حتى ولو كان ولده الذي هو قطعة منه.

1- ابن سعيد،المغرب، ج1، ص231.

2- عدنان عبيد العلي، شعر المكفوفين في العصر العباسي ، ،ص217.

3- عدنان عبيد العلي، المعري في فكره وسخريته، دار اسامه للنشر، ط1، ص245.

4- المغرب ،ج1، ص 229.

ومن أشهر المعارك الهجائية التي جمعت بين المخزومي وبين شعراء عصره ،المهاجاة التي دارت بينه وبين نزهون الغرناطية في مجلس أبي بكر بن سعيد [1] إذ تعرض المخزومي لنزهون وهجاها فقال:

ألا قُلْ لنزهونةٍ ما لها تجرُّ من التيه أذيالها

كما عوّدتنيَ سربالها[2] ولو أبصرتْ **شمّرت

لم يراعِ المخزومي في هجائه لها أنها امرأة وينبغي عليه المحافظة على عفتها وصون كرامتها وإنما وصفها بقلة الحياء كما أشار في البيت الثاني ، ولم تعجز نزهون عن الرد عليه فقالت:

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يُتلى إلى حين يُحْشَرْ قُلْ للوضيع مقالاً

ت **منه أعطر من المدوّر أُنْشِ

في أهلها تَتَبخْتَرْ حيث البداوة أمستْ

بكل شيء مدوّر لذاك أمسيتَ صبّاً

تهيمُ في كلّ أعور خُلقْتَ أعمى ولكن

إن كنتُ في الخلق أنثى فإنّ شعري مذكّر[3]

وقد كانت نزهون هذه كالمخزومي سليطة اللسان، فرّدت عليه وعيرته بالعمى وجردت نفسها من حياء الأنثى وخجلها في هجائها له، مما جعله يتجرأ عليها أكثر فيجعلها امرأة مبتذلة ، يقصدها الرجال من كل صوب فيقول :-

---

1- انظر تفاصيل ما حدث في ذلك المجلس في : الإحاطة في أخبار غرناطة ج 1 / ص 225 -227.

2- المغرب ج 1 / ص 228.

** كلمة قبيحة.

3- المغرب ج 1 / ص 228.

وإن كان قد أمسى من الضوءِ عارياً على وجه نزهون من الحُسْن مسْحة

قواصــد نزهــون تــوارك غيرهــا ومن قَصَد البحر استقــلّ السّواقيــا[1]

ويغلب على هجاء المخزومي الفحش والإقذاع والبذاءة ، ،ويكثر فيه من رمي الناس بارتكــاب الرذائل والأفعال القبيحة التي تشين بهم وتخرم مروءتهم ، ومن ذلك قوله يعرّض بأحــد أبنــاء الوزراء:

زنجيّكم بالفسوق داري يُدْلي من الحِرْص كالحمارِ

يخلو بِنَجْلِ الوزيرِ سرّاً فيولج اللّيلَ في النهــــار[2]

ولا يسلم رجال الدين من مثل هذا الهجاء الفاحش ، فيتهم أحد الفقهاء باللواط فيقول:

طبنيّكم هذا الفقيهُ محقــــقٌ باق على عهد الصديق مقيمُ

شهدتْ عليه باللواط جماعةٌ والله يعلــم أنّــهُ مظلــومُ

ساء الفقيه بأنّني متخلّــعٌ ويسرني أنّ الفقيه قطيــم[3]

ويهجو ابن القصير ويرميه بالفسوق فيقول :

لابن القصير مع ابنه وصغيره حجج بها سوق الفسوق تقوم

ألقاه يوماً تحت أسودَ حالــك فبدا يعاتبــــه لــذا ويلــــوم[4]

وأعجب الشقندي بهجاء المخزومي فجعله ممن تفتخر به جزيرة الأندلس في فن الهجاء على العدوة المغربية فقال يحاجج المغاربة :" وهل منكم من هجا من غير النطق بإقذاع فبلغ ما لم يبلغه المقذع وهو المخزومي في قوله:

1- الإحاطة في أخبار غرناطة ج 1 / ص 426.

2- ابن سعيد، المغرب ، ج1 /ص231.

3- صفوان بن إدريس، زاد المسافر، ص 118. القطم شهوة اللحم والنكاح، وقَطِمٌ شديد الاغتلام.

4- المصدر نفسه .

يودُّ عيسى نزولَ عيسى عساه من دائه يُريـــحُ

وَمَوْضِعُ الدّاءِ مِنْه عُضْوٌ لا يرتضي مَسّهُ المسيحُ

ثم قال : ولمّا أقذع أتى أيضا بأبدع فقال :

يا فارسَ الخيل ولا فارسٌ إلاّ على متنِ جوادِ الخِصَى

زدت على موسى وآياتـــه تُفَجِّرُ الماءَ وَتُخفي العصـــا[1]

يتبيّن من هذه الأبيات وغيرها من هجاء المخزومي أنه يركز في هجائه على ما يهـزّ الرجولة وينتقصها ،فهو في نفسه يعاني من شكوك تنهشه وتشكك في رجولته " فعلمـــاء نفـس الأعماق يقررّون أن أي فقدان لجزء من أجزاء البدن يعيشه الشخص في مستوى اللاشعور على أنه ضربة تنال من التمايز ما بين الجنسين ، ويشير هؤلاء العلماء إلى أن العين لأسباب خاصة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بأكثر مما يرتبط أي عضو من أعضاء الحس الأخـرى بهـذه المـشاعر المتصلة بالرجولة والأنوثة، وبناء عليه ففقدان عين أو فقدان إبصارها إنما يعدّ على نحـو مـا ضربة تنال من التمايز الذي يجعلنا رجالاً أو نساءً، وبالتالي فإنه يعد ضربة فاصلة لمـشاعر الأمن المتعلقة بصميم كياننا" [2]. وبسبب ارتباط النظر من الناحية الجنسية عند الرجال خاصة ، عُدَّ فقدان البصر مساوياً للخصاء الجزئي ، وأما الأشخاص الذين تعوّدوا الاعتماد في تقـديرهم الجمال الجنسي على النظر فلا مفر لهم من الاعتقاد أنَّ فقدان البصر خصاء كامل "[3].

وتنطبق رؤية علماء النفس السابقة إلى حد كبير على المخزومي الأعمى ، فقد تبين من هجائه أنه يعاني من هذه العقدة ــالخصاء ــ معاناة مريرة جعلته يسقط إحـساسه بهـا علـى

1- المقّري، نفح الطيب ، ج3 ، ص 205.

2- توماس كارول،رعاية المكفوفين ،ص25.

3- هكتور تسيفيني، تكيف الكفيف ، ص235، عن شعر المكفوفين في العصر العباسي، ص176.

الآخرين فيرميهم بالنقص الذي يعاني منه ، وقد حاول المخزومي أن يعوض ذلك النقص فأكثر من ذكر الأعضاء التناسلية ووصفها[*] في هجائه للآخرين.

ويتخذ المخزومي من الهجاء سلاحاً يشهره في وجه الآخرين لينال عطاءهم ، فإن أعطوه صمت عنهم غضبه ، وإن ردّوه خائباً لا يجد أمامه، إلا الشتم والإغارة على أعراضهم وأخلاقهم بأقبح الألفاظ والعبارات ، ومن ذلك قوله يهجو أحد من ابتلي وقومه بسلاطة لسانه ، فيقول:-

ألا فاعلموا أني لكم غيرُ صابرِ على لَوْمكم أخرى الليالي الغوا برِ

فعوجوا بني اللَّخناء نحو هجائكم إلى لعنةٍ تُزري بمن فـي المقابرِ

فأنتم سنَنتُم كلَّ مُحْدَثِ سُبَّةٍ ولم تتركوا فيها لَحَاقاً لآخر

رأيتكم لا تتَّقونَ مذمَّةً ولا عندكم من هزَّةٍ نحو شاكرِ

فأينَ الألى كانوا إذا جاء ناظمٌ تلقَّتهُ منهمْ بالنَّدى كفٌّ ناثِرِ

أُعَيِّرُكُم جهدي بكل قبيحةٍ وما لكم من يَقْظَةٍ بالمعايرِ[1]

لم يترك المخزومي في هجائه لهذا الشخص وقبيلته فضيلة يفخرون بها ، فذمَّهم ووصفهم بالبخل وعيّرهم بكل قبيحة كما قال.

وفي هذا المقام نذكر تعريض الحصري بالمعتمد بن عبَّاد عندما أرسل إليه غلامه فأبطأ عنه ، وبلغه أن المعتمد لم يحفل به فقال:

نبِّه الرَّكب الهجوعا ولُمِ الدهرَ الفجوعا

---

* - النماذج على ذلك كثيرة نعتذر عن إيراد أمثلة منها لما فيها من فحش وإقذاع تنفر الأذن من سماعه ، انظر بعض الأمثلة على ذلك في المغرب ، ج 1/ ص 229 ، زاد المسافر ، ص 117 -118.

1- المغرب ج 1 /ص 229.

حمصٌ الجنَّةُ قالــتْ لغلامي لا رجوعـــا

رَحِمَ الله غُلامـــــي ماتَ في الجنَّةِ جوعا[1]

ويهجو المخزومي أحدهم بالبخل واللؤم ، ويطعن في عرضه فيقول :

ألا لا تَرْ كَنَنَّ إلى فــلان فتسري منه في لَيْلِ السَّليمِ

لئيمٌ ليس ينفع فيه لؤمٌ يروم وراثة العِرْق اللئيــمِ

إذا جرَّبته يوماً تـــــراهُ مضاعَ الجار مَمْطولَ الغَريمِ

وإنْ كشَّفتهُ لاقيْتَ منهُ مَصُونَ المالِ مَبْذولَ الحريمِ[2]

إن هذه الأبيات كفيلة بتخويف سامعها مهما كان منصبه ، فلا أحد يقبــل بــأن تُطعَــن كرامته ، وتُقْدَح مروءته بهذه الصورة المشينة ، فلا يجد أحد منفذاً من هجاء المخزومي واتقاء شرِّه إلا بإعطائه ما يريد، وإلا يفعل فقد رمى نفسه بكل قبيحة .

وبعد الاطلاع على مقطوعات متفرقة من أشعار الهجاء عند المخزومـــي يتبــيَّن أنـــه استطاع أن يتخذ من الهجاء سلاحاً يحمي به نفسه من الشعور بالعجز والنقص اللــذين يعــاني منهما معظم المكفوفين ، فصبَّ جامَ غضبه على الآخرين فجمع أقبح العيوب وأشين الرذائــل التي تهابها الأنفس وتزري بصاحبها ، فرمى بها من حوله دون مراعاة لأيــةِ قيمــة دينيــة أو أخلاقية أو اجتماعية، كما استطاع المخزومي بهجائه القبيح اللاذع أن يكون "زعيم شعراء الطبقة المتكسِّبة بالهجاء ليس في عصره فحسب ، وإنما في الأندلس عامَّة"[1]، فضمن له الهجاء بابــاً يُدِرُّ عليه الرزق بإرهاب الآخرين وتخويفهم من سلاطة لسانه وقبح هجائه وبذاءته .

1- ابن خلكان،وفيات الأعيان ج 3 / ص 333.

2- ابن سعيد،المغرب ،ج 1 /ص 229.

الشعر الديني

ساعدت العلوم والمعارف الدينية التي برع فيها عدد من الشعراء المكفوفين في الأندلس على النظم في هذا الغرض،وكان ابن جابر الضرير الذي حفظ القرآن الكريم وقرأه على عدد من شيوخ عصره من أكثر المكفوفين نظما في هذا الموضوع ،فقد نظم قصيدة طويلة في سور القرآن الكريم أشاد بها المقّري وقال "ومن محاسنه أيضا البديعية المشهورة وهي المعروفة ببديعية العميان ،ولو لم يكن من محاسنه إلا قصيدته في التورية بسور القرآن ومدح النبي –صلى الله عليه وسلم لكفى وهي من غرر القصائد "[2] ومن أبيات قصيدته التي ورّى بها بسور القرآن قوله :

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

في كلِّ فاتحةٍ للقول معتبره حق الثناء على المبعوث بالبقره

في آل عمران قدماً شاع مبعثه رجالهم والنساء استوضحوا خبره

من مدّ للناس من نعماه مائدة عمّت فليسَ على الأنعام مقتصره

أعرافُ نعماه ما حلَّ الرّجاء بها إلاّ وأنفالُ ذاك الجود مبتدره[3]

وهي قصيدة طويلة عارضها عدد من الشعراء في قصائد نظموها على غرارها ولكن لم يشقوا لها غباراً ولم يبلغوا حسنها[4].

ولابن جابر مقطوعات وقصائد نظمها في مدح النبيّ صلى الله عليه وسلم أشاد فيها بمكانته بين الأنبياء وفضله على الناس،ومن ذلك قوله:

خابَ امرؤٌ لَمْ يَرَ أرضا حلَّها من اصطفى ربّ السماءِ وانتصى

1- فوزي سعد عيسى، الهجاء في الأدب الأندلسي ، دار المعارف، القاهرة ، ص22 .

2- نفح الطيب ،ج3،ص314.

3- المصدر نفسه،ص324.

4- انظر نماذج من هذه المعارضات في المصدر نفسه ،ص331-341،333-343.

أرسلــه الــله هــدى ورحمــةً أوصى ووالى الخير فينا ووصــى

وخلّص الأنفُس من أسر الهوى في يوم هولٍ فاز فيه مــنْ فصــى

ذو رأفةٍ تلقاهُ يومَ العَرْضِ قــد مالَ بنــا عــن الجحيــم ومصــى

صلّى عليك الله يا مَــنْ جاهُــهُ يومَ الحسابِ مَلْجــأ لمــن عصــى

يا مَنْ جرى مِنْ كفّه الماءُ ومَنْ حَنَّ له الجــذعُ وسبّــحَ الحصــى[1]

ونظم ابن جابر قصيدة طويلة في مديح الصحابة – رضي الله عنهم – وآل بيت النبي – عليه السلام –أورد المقَّري بعض المقطوعات التي تتصل بأبي بكر الصدِّيق،وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفّان ،وعلي بن أبي طالب، وسبطيْ النبي عليه السلام والعبّــاس و حمــزة بــن المطلب، رضوان الله عليهم جميعاً ، وتحدَّث ابن جابر في هذه القصيدة عن فــضائل هــؤلاء الصحابة – رضي الله عنهم– وأشاد بهم وأشار إلى منزلة كل واحد منهم عند النبي عليه السلام وأخبارهم معه ، ومواقفهم في خدمة الدين ودورهم في حمايته ، ومن القصيدة التي مدح بها أبا بكر الصديق قوله:

فمنهم أبــو بكــر خليفتــه الــذي له الفضلُ والتقديمُ في كل مشهدِ

وصدِّيقُ هادي الخلق والمؤثر الذي لإنفاقه للمالِ في الله قَدْ هُـــدِي

وصهر رسول الله وابنتــه التـــي يُبَرَّئها نصٌّ الكتــاب المُمَجَّـــدِ

وصاحبه في الغار إذ قال لا تخــفْ فثالثنا ذو العرشِ أوثقُ مُنجِـــدِ

وسدَّ على المختــار مخْــرَج حيَّــةٍ هناك برجلٍ منه فازت بأسعَـــدِ[2]

وفي عمر بن الخطاب يقول:–

1- المصدر نفسه،ص314. وفصى في البيت الثالث من فصى الشيء أي فصله ولعله يعني هنا: ميّز الخير من الشر.

2- نفح الطيب، ص 359.

رمى عن قسيِّ الصدق قَوْسَ مُسَدِّدِ ويتبعهُ في فضلِهِ عمــرُ الـــذي

هو المرء لم يترك له الحق صاحباً ولا قعد الشيطانُ منـــه بمَقْعــدِ

ولا سلك الشيطانُ فجّاً قد اغتــدى له سالكاً من خوفـــه المتزيَّـــدِ

وقد جاء عنهم :ما برحنــاً أعــزَّةً بإسلامه فانكفَّ مَنْ كــان يعتـــدي

وإمرتهُ كانت على الناسِ رحمـــةً فآبوا إلى فتــحٍ وعـــزٍّ مُمَهَّـــدِ[1]

إن مثل هذه القصائد تحتاج إلى ثقافة ومعرفة واسعة بالقرآن الكريم والحديث الـشريف وسيرة النبي عليه الصلاة والسلام ، وأخبار الصحابة، وابن جابر لو لم تكن لديه الثقافة الواسعة بهذه الامور كلها لما تمكن من نظم هذه القصائد التي وظّف فيها المعارف والعلوم الدينية فيهـا بصورة جلية.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويتبيَّن من أشعار ابن جابر الدينية أنه كان يذعن إلى- الله عز وجل – ويلتجـئ إليـه ويتوسل بالنبي- عليه الصلاة والسلام – ويطلب منه الشفاعة في الآخرة عسى أن يعوِّضه الله – عز وجل – عن حرمانه وقلَّة حيلته في الدنيا ،ويلتجئ إلى النبي عليه السلام فيقول:

هي الليالي ليس يرعى صرفهـــا لا خاملاً فيها ولا مَنْ قَد سمَا

ولا رسول الله فينـــا لَـمْ يـــزل كهف حمىً فهو لنا نعم الحمـــى

يا من غَدا للخلق كهـفاً وحمـــى فأكرم المثـــوى وآوى وحمـــى

وإنني مـــن قبـــح مـــا أسلَفْتُـــه ذو كبد رُضَّت ودمعٍ قـــد هَمـــى

فـــلا تُخيِّبْنِـــيَ ممـــا لكَ مـــن شفاعةٍ تُرجَى وفضلٍ قـــد نَمـــا

إنَّك من قومٍ بهم يشفـــى العنـــا ويُدرَكُ الشَّأوُ البعيـــدُ المُرتمَـــى[2]

1- المصدر نفسه ،ج7 ،ص360.

2- نفح الطيب، ص320.

يلوم ابن جابر الأيَّام وتقلُّبها على الإنسان ، فلا أحد يأمن جانبها ولا سبيل لاتقاء هذه المخاوف والنجاة منها إلا الالتجاء إلى الله – عزَّ وجلّ– والتوسّل بالنبي عليه الصلاة والسلام، ويقول ابن جابر في هذا المعنى :

ولَن تَمرَّ ساعةٌ إلا هفـــا بذكركم مُفصِحُ نظمي وَشَـــدا

فليس عندي للنجاة مخلَصٌ إن لم يكنْ منكم نوالٌ أَو جَـــدَا

بكم ملاذي وحِماكم ملجئي ليسَ سِوى ذاك السماح المجتدى

وما ذخرنا عُدَّةً سواكـــمُ مثلُكُمُ من يُرْتَجـــى ويُجتـــدى[1]

هذا الملمح واضحٌ عند أبي القاسم السهيليّ في إحدى قصائده ،فقد بدا فيها مُلتجئاً إلى الله – عز وجل – متوسلاً إليه.في كل أمر من أمور حياته ، وبدا السهيلي في هذه القصيدة وكأنـــه يناجي الله عز وجل فيقول :

يا من يَرَى ما في الضمير ويسَمعُ أنت المُعَدُّ لكـــل مـــا يُتَوَقّـــعُ

يا من يُرجَّـــى للشـــدائد كُلّهـــا يا من إليه المشتكى والمَفْزَعُ

ما لي سوى فقرى إليك وسيلـــةٌ فبالافتقارِ إليك فَقْري أدفـــعُ

ما لي سوى قرعي لبابك حـــيلةٌ فلئن رَدَدْت فأيَّ بابٍ أقـــرعُ

ومن الذي أدعو وأهْتفُ باسمـــه إن كان فَضْلُكَ عن فقيرٍ يُمنَـــعُ

حاشا لمجدك أن تُقَنِّطَ عاصـــيـــاً الفضْلُ أجْزَلُ والمواهبُ أوسعُ[2]

1- المصدر نفسه، ج 7 ص 323.

2- وردت في هذه الأبيات في المطرب ص234، الوافي بالوفيات ج18 ، ص102 نكت الهميان ص188.

إن أبواب الناس قد أوصدت أمام الشاعر فلم يجد أمامه إلاّ باب الله تعالى فتوسل إليه وطلب منه، وقال السهيلي عن هذه القصيدة إنه ما سأل_ الله عزّ وجل_ بها حاجة إلا أعطاهُ أيّاها[1].

وأمّا الحصري الكفيف فبعد أن ضاقَ ذرعَاً بمصائبهِ وهمومه في الحياة لم يجد ملجأً إلا الله ورسوله ، فأخذ يتضرّع إليهما راضياً بقضاء الله وقدره راجياً أن يعوض الله عّما عاناه من مصائب وهموم في حياته ، ومن ذلك قوله:

تَمَّ أمر الله والحمدُ لله أخذَ النُّعمى التي كان رزق

لستُ ألقى الدهر إلّا بالرِّضا ما جنى الدهرُ فألقى بالحنقْ[2]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقوله:

ولا حول إلا بالإله وقوّة به من كلام طيب حُمل العرشُ

رضيتُ بحكم الله واسمك والأسى ثَبُوتان في قلبي كما ثبت النقشُ[3]

وقوله:

أنا راضٍ بما قضى الله عدلاً لستٌ مما يشاء بالمشمئزّ[4]

ويعزّي الحصري نفسه بما وعد به النبي_ عليه السلام _من خير وأجر لمن أصابتهُ مصيبة في حياته أو فقد عزيز عليه فيقول :

رجوتُ بموت أربعةٍ مُنَى نَفْسِي ومأْمَنَها

1- المطرب. ص 434.

2 ديوان اقتراح القريح ص 203.

3 المصدر نفسه ص 217.

4 المصدر نفسه ص133.

رسول الله سوف يفي بموعدةٍ تضمّنهـــا[1]

ويقول :

لي موعدٌ فيك على المصطفى فاسأله للمفجوعِ إنجازَه

وجز صراط الله ثمّ انتظـــرْ أباك في الجنةِ إن جازه[2]

ويتأمل أن ينفعه موت ولده في الآخرة فيخاطبه قائلاً :

وفّقني الله كمـــا وُفِّقت حين اختبـرك

أبوك يدعوكَ غـداً فابْرُزْ مِن الخلد يَرَكْ

واشفع له لعلّـــهُ يجْبُرهُ من جبـــرك[3]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويقول :

أسعد أباك برحمةٍ واشفع له يرحمهِ ربُّ العزّةِ القدوس[4]

وتبدو العاطفة الدينية عند ابن جابر والسهيلي و الحصري متأججة في أشعارهم السابقة، ولعلّ ذلك مرتبط بفقدان البصر وما يسببه من شعور الضعف والعجز في كثير من الأحيان تجاه ما يواجههم من صعوبات ومشاكل في حياتهم تضعف حيلتهم عن مواجهتها فلا يجـدون ملجـأً يشعرون في كنفه بالعون والأمان إلا الاستعانة بالله عزّ وجل فهو الملاذ الوحيد أمامهم.

---

1 ديوان اقتراح القريح ، ص 167.

2- نفسه، ص135.

3- نفسه ص 130.

4- نفسه ، ص 212 ، والنماذج على نحو هذه الأشعار كثيرة في الديوان.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الفصل الثالث

الدّراسة الفنيّة

يتناول هذا الفصل دراسة القصائد والمقطوعات الشعرية التي نظمها الشعراء المكفوفون من حيث: الألفاظ ، والأساليب، والتأثّر والتأثير، والصورة الشعريّة ، والمحسّنات البديعيّة ، والإيقاع.ويناقش من خلالها الملامح والسّمات العامة التي امتاز بها أداؤهم الشعري وأثر كف البصر فيه.

أولاً: الألفاظ

إن الألفاظ التي يكثر الشاعر من استخدامها في شعره تشكّل مفتاحاً لشخصيته، وتعبّر عن جوانبها المختلفة، النفسيّة ، والاجتماعيّة، والعلميّة، والسلوكيّة. وتؤكد الأسلوبية الحديثة هذا الأمر إذ" تتجه للألفاظ باعتبارها ممثّلة لجوهر المعنى، فاختيار المبدع لألفاظه يتم في ضوء إدراكه لطبيعة اللفظة وتأثير ذلك على الفكرة ، كما يتم في ضوء تجاور ألفاظ بعينها تستدعيها هذه المجاورة أو تستدعيها طبيعة الفكرة"[1] . وتنعكس هذه النظرة الأسلوبيّة على طبيعة الألفاظ التي وظّفها المكفوفون في شعرهم، إذ تكشف عن جانبين مهمّين من شخصياتهم هما: الجانب النفسي والجانب المعرفي.

أما الجانب النفسي من شخصية الشعراء المكفوفين، ودور الألفاظ في التعبير عنه، فقد تكوّن المعجم الشعري للمكفوفين من مجموعة من الألفاظ التي كثر دورانها في شعرهم، وكان لشيوعها وتكرارها ارتباط كبير بفقدان البصر، وما سبّبه لهم من متاعب ومعوّقات في حياتهم، وجاءت هذه الألفاظ منسجمة مع الشكوى، الغرض الأبرز في شعرهم، فعبرت عنها بوضوح ودقة. ومن أبرز المفردات التي تكوّن منها معجمهم الشعري" المنايا، الدهر، الليالي، الأيام ،

---

1. محمد عبدالمطلب ، البلاغة والأسلوبيّة ، ص145.

المصائب، الزمان، صروف[1] ، الموت، القبر، الليل، الظلام، الدّجى، السّهر، والسّهد، الحـــزن، الأسى ، الوجد، الألم، السقم، الشكوى، العين، الدموع، البكاء، الضياء، النور" ويظهر شيوع هذه الألفاظ بشكل واضح في شعر أصحاب الدواوين وشعر المكثرين منهم ، إذ توظّف أكثرها فـــي قصيدة واحدة، وتتكرّر كلمة منها كالدهر-مثلاً- أكثر من مرة في القصيدة ذاتها[1] ولقد حاولنـــا رصد تكرار بعض هذه المفردات، ورصدنا تكرارها في شعر الحـــصري والتطيلـــي وجـــاءت النتيجة على النحو الآتي:

تكرار المفردات					
الشاعر	العين	الموت	الدهر	الزمان	الأيام
الحصري	122	100	83	53	44
التطيلي	45	66	108	55	59

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومن هذا الجدول يتبيّن أنه إذا كانت مجموعة قليلة من المفردات التي كثر دورانها فـــي شعرهم قد تكررت على هذا النحو، فإن نسبة شيوع بقية المفردات لن تقل عن ذلك، فما ينطبـــق على الجزء ينطبق على الكل إن لم يزد عليه في بعض الأحيان، ومن هنا يبدو أن هذه المفردات هي الأكثر دوراناً في شعرهم.

وأما عن توظيف المكفوفين لهذه المفردات فقد كان لاستحواذ العمى على تفكيرهم وما سبّبه لهم من معاناة، تأثير كبير في لغتهم وألفاظهم التي وظفوها في شعرهم، إذ جاءت في عمومها معبّرة عن الشكوى المريرة التي يعانون منها، فالعمى في نفسية الكفيف- كما تبيّن سابقاً- هو الموت،

---

1 وردت هذه الكلمة في شعرهم مضافة إلى الكلمات التي سبقتها، فيقولون- مثلاً- صروف الـــدهر، وصـــرف الزمان، وصروف المصائب.

لذا كثرت في شعرهم الألفاظ الدالة عليه كالموت، والقبر، والمنايا، والمصائب وما إليها من الألفاظ المعبرة عن ذلك. وبما أن العمى هو انطفاء نور العين وعدم قدرتها على الرؤية، فقد كثر في شعرهم الحديث عن الظلام، والليل، والضياء، والنور الذي خبا بعد إصابتهم بالعمى.

ولمّا كانت العين هي المبتلاة بآفة العمى فقد أكثروا من الحديث عنها، فوردت في شعرهم ألفاظ تتصل بها نحو: الألحاظ، والطرف، والمقل، والدموع، وأكثروا أيضاً من توظيف الألفاظ التي تدل على معاناتها من السهر والسهد والأرق.

وبذا يبدو من الألفاظ التي أوردناها أن للعمى تأثيراً كبيراً في نفسية المكفوفين، عبّروا عنه بصورة جلية من خلال توظيفهم لتلك الألفاظ التي مكّنتنا من الولوج إلى نفسيتهم والتعرّف على عمق الأثر النفسي الذي تركه العمى فيها.وأما فيما يتصل بدور الألفاظ في الكشف عن الجانب الثقافي والمعرفي من شخصيّة الشعراء المكفوفين، فقد تبين أن من أبرز ما يميز شخصيتهم العلمية تعدد العلوم والمعارف التي درسوها فكان منهم: المفسّر، والمقرئ، والمحدّث، واللغوي، والنحوي، والشاعر، والأديب، وقد جمع بعضهم بين أكثر هذه العلوم فأتقنها ودرّسها لطلاب العلم، وقد انعكس أثر هذا التنوع المعرفي على شعرهم، إذ استخدموا في شعرهم ألفاظ العلوم التي درسوها ومصطلحاتها ، وهي متعدّدة بتعدّد معارفهم وعلومهم، فقد بدت معرفتهم –مثلاً – بالعربية وعلومها جليّة من خلال ما ورد في شعرهم من ألفاظ ومصطلحات وقواعد تتصل بالنحو والصرف والبلاغة والعروض . فمن تأثّرهم بعلم النحو إشارة عدد منهم إلى حالات إعرابية وظّفوا فيها ألفاظاً ومصطلحات نحوية تدلّ عليها: كالنصب، والرفع، والجر، والحال، والبدل وما إليها من ألفاظ ومصطلحات النحاة الأخرى .ومن ذلك قول ابن الحنّاط:

---

1 تكرّرت كلمة الدهر في ديوان التطيلي في قصيدة واحدة أكثر من خمس مرّات، انظر ص224– 231. وقد اجتمعت أكثر هذه الألفاظ إن لم تكن كلّها في قصيدة واحدة من ديوان الحصري، وتكرّرت في القصيدة ذاتها ألفاظ بعينها نحو، الدموع، البكاء، العين ....الخ من المفرادت الأخرى. انظر ص 201–206 .

أيا ناصرَ الدين لم أنْتَصِرْ بِغَيْرِكَ من زَمَــنٍ ظَالمِ

إذا ما تحــرّكَ أسْكَــنْتَهُ كما أُسْكِنَ الفِعْلُ بالجازِمِ[1]

يشير الشاعر إلى وجوب تسكين الفعل إذا دخل عليه أحد الجوازم ، فاستخدم ألفاظاً مألوفة لدى النحويين كالفعل ،وتحرّك ، وأسكن، ليصوّر من خلالها بأس الممدوح وقدرته على نصرة الدين وتسكين الظلم ورفعه عن الناس.

ويشير ابن خلصة إلى مصطلحي الحال والبدل في قوله :

إنْ لَمْ تَكُنْ بكمُ حالي مُبدّلةً فما انتفاعي بعلمِ الحالِ والبدل[2]

ومن الإشارات الصرفيّة في شعرهم قول ابن خلصة :

يرى عينَ تبجيلي ووجه تحيّتــي ملاحــظتي غــمزاً وتَكْلمــتي رمــزا

كما اجْتُلِبَتْ في البدء للوصل همزة فإن وجدوا عنها غنى أسْقطوا الهمزا[3]

وفي مجال العروض وردت في أشعارهم بعض مصطلحات ذلك الفن "ولا يستغرب ذلك من الشعراء لصلته بمجال إبداعهم .والملاحظ أن أغلب ما جاء في هذا الصدد كان في غرض التورية "[4]

ومن ذلك قول ابن جابر :

عالمٌ بالعروضِ يخبِنُ قلبي في مديد الهوى بلحظٍ سريعِ

عنده وافرٌ من الرّدف يبدو وخفيفٌ من خَصْرِهِ المقْطُوعِ[5]

---

1 ابن دحية ،المطرب،ص 235

2 ابن بسّام ،الذخيرة ،ج3 ،ص 207.

3 المصد ،نفسة،ص 208.

4 المقّري ،نفح الطبيب ،ج2 ،ص679.

5 عبد الحميد الهرّامة ،القصيدة الأندلسية ،ج2 ،ص309 .

ورّى الشاعر في الأبيات عن أسماء بعض الأبحر الشعرية كالمديد والسريع، واستخدم بعض المصطلحات العروضية كالخبن والردف والمقطوع[1] .

وفي مضمار الخط والكتابة استخدم ابن جابر ألفاظاً تشير إلى معرفته بهذا الفن، أورد له المقّري في ذلك أبياتاً متنوعة، نورد منها قوله: [2]

خدٌّ عليه رقاع الرّوض قد جُعِلت وفي حَواشيه للصدغين ريحانُ

خَطَّ الشباب بطُومار العذار به سطراً ففضّاحُهُ للنّاس فتّانُ

يا حسن ما قلمُ الأشعارِ خطّ على ذاك الجبين فلا يَسْلوه إنسانُ

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يتجلى في هذه الأبيات وغيرها من شعر ابن جابر معرفته بالخط والكتابة، إذ وظّف ألفاظاً توحي بذلك نحو: الرقاع، والقلم، والحواشي، والطومار، والسطر وغيرها. وقد يخطر بالبال تساؤل عن حقيقة هذه المعرفة، لاعتمادها المباشر على حاسة البصر، فأدوات الكتابة وأنواع الخطوط تدرك بالنظر إليها، ولعلنا نجد من العلاقة الوثيقة التي جمعت بين ابن جابر ورفيقة (البصير) أبي جعفر الإلبيري تفسيراً لذلك- فكما أسلفنا – أنهما رحلا إلى المشرق معاً وكان الأعمى ينظم والبصير يكتب، فقد يكون أبو جعفر قد وصف لابن جابر الكتابة وحدثه عن أدواتها المختلفة فوظف ابن جابر هذه المعلومات في شعره اعتماداً على حديث أبي جعفر ووصفه لها.

ويوظّف الحصري الكفيف معرفته بالعلوم الدينية وعلم التجويد على وجه مخصوص ،فيذكر ألفاظاً ومصطلحات تتصل بهذا العلم ورد بعضها في قوله:

---

1 الخبن: من الزّحافات وهو حذف الثاني السّاكن، فمستفعلن مثلاً تصير بعد الخبن متفعلن، والردف هو: حرف المد الذي يكون قبل الروي سواء أكان هذا الروي ساكناً أم متحركاً. والقطع أحد علل النقص، وهو حذف ساكن الوتد المجموع وإسكان ما قبله، ففاعلن بعض القطع تصبح فاعل، انظر علم العروض والقافية، عبدالعزيز عتيق، ص172، 155، 183.

2انظر شواهد منها في نفح الطيب ،ج 2 ، ص681 ،682.

ولا قراءتك السّوراتِ بــينهمُ مرتّلاتٍ بإظــهار وإدغــام

يا ربَّ معنى قد استنبْطتَهُ فَهِماً فقيل يحفظُ تفسير ابن سلاّمِ[1]

يستفيد الشاعر في هذه الأبيات من معرفته بعلوم القرآن، فيوظف ألفاظاً تتصل بمعرفة ولده بعلم التجويد فيشير إلى تطبيقه لأحكام الإدغام والإظهار، وإلى معرفته أيضاً بمعاني القرآن وقدرته على استنباطها من التفاسير .

ومن ألفاظ علوم العربية والعلوم الشرعية ومصطلحاتها إلى مصطلحات الرياضيات والهندســة التي ظهرت في شعر ابن جابر، إذ يقول في علم الحساب :

قَسَمَ القَلْبَ في الغرامِ بلحظٍ يضربُ القلب حينَ يُرْسِلُ سَهْمَهْ

هذه في هواهُ يا قومُ حالــي ضاع قلبي ما بَيْنَ ضربٍ وقِسْمَه[2]

يصف الشاعر في هذه الأبيات أثر نظرات المحبوب فيه ويستعين بعلم الحساب للتعبيرعن ذلك، فيوظّف الدلالة اللفظيّة التي تشير إليها عمليتي الضرب والقسمة، وهما من العمليات العقلية التي لا يصعب على الكفيف معرفتها وإجادتها أيضاً.

ويضمّن ابن جابر بعض أشعاره ألفاظاً هندسية نحو: إقليدس، ومثلّث، وخط استواء، وتتجلّى هذه الألفاظ في قوله:

محيطٌ بأشكالِ الملاحةِ وجهُهُ كأنَّ به إقْليدساً يتحدّثُ

فَعَارِضُهُ خطٌّ استواءٍ وخالهُ به نقطةٌ والشكلُ شكلٌ مثلّثُ[3]

ولعلّ ابن جابر قد تحسّس مجسّمات هذه الأشكال بيديه، أو ربما وصفها له آخرون فوظفها فــي شعره اعتماداً على ذلك.

---

1 ديوان الحصري،ص 164.

2 المقّري ،نفح الطيب ،ج2 ،ص 681.

3 المصدر نفسه

و أما الألفاظ الدخيلة فقليلة في شعرهم ومنها: الطيلسان ، الزرجون،الجلّنار، الطنبور، الجوالق ، الصولجان وما إليها، وهي في عمومها ألفاظ كثر دورانها في الشعر العربي على اختلاف عصوره وارتبط استخدامها بالمظاهر الحضارية التي انتقلت إلى العرب من الأعاجم ومن الفرس خاصة . ومن الشواهد على بعض هذه الألفاظ قول يحيى بن هذيل في الطيلسان:

طَيْلَسَاني طائرٌ من نَفَسي هُوَ فَوْقي غَبَش في غَلَسِ[1]

ويقول التطيلي في الزرجون:

أريقُ ثَغْرِكِ أمْ بنتُ الزّراجين وعَرْفُ نَشْرِكِ أم مِسْكٌ بدارينِ [2]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الملك فهد الوطنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

التأثّر و التأثير

نحاول في دراستنا للتأثّر أو التناص، كما يشار إليه في الدّراسات النقديّة الحديثة، الاطّلاع على توظيف المكفوفين للمورث الديني، والأدبي ، والتاريخي ، في أشعارهم. وأما التأثير فندرس فيه أثر أشعار المكفوفين في غيرهم من الشعراء الأندلسيين وغير الأندلسيين.

أولا: التأثّر

أشار كثير من الدارسين إلى أن النص الأدبي هو نتاج تفاعل عدد من النصوص السابقة المتشابكة، وقد رأت جوليا كرستيفا أن " كل نص يتألف من لوحة فسيفسائية من الاقتباسات والتضمينات"[3] . والنص الشعري الذي أنتجه الشعراء المكفوفون هو أحد النصوص التي قامت

---

1 الكتاني ، التشبيهات ،ص 107 والطيلسان ضرب من الأكسية يلبس على الكتف ، فارسي معرّب انظر الجواليقي : المعرّب من الكلام الأعجمي ، ص 227

2 ديوان التطيلي ، ص 211 بنت الزراجين الزرجون الخمر ، فارسي معّرب ،انظر الجواليقي ، المعرب من الكلام الأعجمي ، ص 165 .

3 جوليا كريستفا، علم النّص ، ترجمة فؤاد زاهي ، ط1 ، دار طوبقال، المغرب، 1991، ص79.

على استحضار نصوص غائبة وبناء نصوص جديدة ، وقد بدت فيه آثــار ثقافــة المكفــوفين ومعرفتهم الدينيّة والأدبيّة والتاريخيّة واضحة جليّة في شعرهم ، إذ أخذوا ينهلون من ثقافتهم في هذه المجالات ويوظفون في شعرهم ما وصل إليهم من الموروث الديني والأدبي والتاريخي بما فيه من أحداث وشخصيات تاريخية اشتهرت في ميادين مختلفة.

ومن أبرز المصادر الدينيّة التي اعتمد عليها المكفوفون في شعرهم القــرآن الكــريم إذ تأثّروا بما ورد فيه من ألفاظ و معانٍ وقصص قرآنية وظفوها في شعرهم بما يتناسب مع الأفكار التي أرادوا التعبير عنها. ومن ذلك تأثر ابن خلصة بقوله عزّ وجل **﴿سُنّةُ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَــوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنّةِ اللهِ تَبْدِيلا﴾**[1] وتوظيفه في قوله:

سنة الله في العباد وما في سُنّةِ الله للورى تبديلُ[2]

يبدو تأثر ابن خلصة في هذا البيت بالآية التي أوردناها واضحاً بيّناً، إذ وظف معناها واقتــبس بعض ألفاظها، فقوله سنة الله في العباد يقابل قوله تعالى "سنة الله في الذين خلوا".

وقد اتخذ ابن جابر من المعاني القرآنية الرفيعة التي بّينها الله عزّ وجل في التعامل مع الآخرين مصدراً استقى منه توجيهاته ونصائحه التي كان يُسْديها للناس ، فمن الآيات التي تأثر بمعناهــا قوله تعالى **﴿وَلاَ تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَه عَدَاوَةٌ كَأَنّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾**[3]

لقد اقتبس الشاعر معنى هذه الآية ووظّفه في قوله:

ادفع الشرّ بحسنى فإذا بِهْ أَخُوْ صِدْق وإنْ كانَ سَطا[4]

---

1 سورة الأحزاب، آية 62.

2 الذخيرة ، جــ209،3.

3 سورة فصلت، آية 34.

4 نفح الطيب، جــ7، ص315.

يتجلّى في هذا البيت حضور النص القرآني بصورة واضحة، فالشاعر يوظف المنهج الذي وجّه الله تعالى إليه العباد في الآية السابقة، فأمرهم بمقابلة السيئة بالحسنة، لما في هذا السلوك الرفيع من دور في تحقيق التآلف والمحبة بين المتخاصمين.

واستخدم الأعمى التطيلي في شعره بعض التعابير القرآنية ووظّفها بما يتناسب مع معانيه التي ضمّنها شعره ،ومن ذلك قوله:

فالأرضُ مَلساءُ لا أمْتٌ ولاعِوَجٌ كنقطةٍ مِنْ سراب القاع لم تَمُرِ [1]

فقول الشاعر" لا أمت ولا عوج " مقتبس من قوله تعالى **﴿لاَ تَرَى فِيهَا عِوَجَاً وَلاَ أَمْتاً﴾** [2]

وتأثَّر الحصري في رثائه لولده بالقرآن الكريم واستحضر كثيراً من ألفاظه ومعانيه في التعبير عن أفكاره التي عرضها في قصائده، ففي إيمانه بحتميّة الموت ويقينه بعدم نجاة أحد منه يقول:

وانتظرْ من ليس يَسْتأذِنُ في رفع أستارٍ ولا فتحِ غلقْ

هل وقى من في بروجٍ شُيّدت أو منيفٍ مشمخرٍّ أو نفقْ[3]

يبدو تأثر الشاعر في البيت الثاني واضحاً بالقرآن الكريم، إذ وظّف قوله تعالى **﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُّم المَوْتُ وَلَوْ كُنْتُم في بُرُوجٍ مُشَيّدَةٍ﴾** [4] وحاول من خلال المعنى الذي أشارت إليه هذه الآية أن يعزّي نفسه ويواسيها، فالله عز وجل جعل الموت مقدّراً على كل نفس فلا يستطيع أحد أن ينجو منه، وقد وظّف الشاعر الاستفهام لإيصال هذا المعنى وتأكيده لدى المتلقي.

ويظهر الأثر القرآني واضحاً في شعره حتى لا تكاد تخلو منه قصيدة واحدة في ديوانه.

---

1 ديوان التطيلي، ص52.

2 سورة طه ، آية 107.

3 ديوان اقتراح القريح، ص 204 وانظر شواهد أخرى، ص 79، 84، 93، 107،108، 163،167، 168،173،188،192،197،.

4 سورة النساء، آية 78.

ويوظّف الشعراء المكفوفون في شعرهم قصص الأنبياء ومعجزاتهم التي وردت في القرآن الكريم، ومن ذلك قول يحيى بن هذيل:

وتشفق الدّرعُ أن تنسابَ خائفةً منهُ عليهِ فَقدْ حارتْ من الحذرِ

كأنّما نارُ إبراهيمَ باقيةٌ فيها فإنْ صَالَ لمْ تَحْرِقْ ولم تَضِرِ[1]

يبدو التناص في البيت الثاني جلياً من خلال استحضار الشاعر لقوله تعالى **﴿قُلْنا يا نارُ كُونِي بَرْدَاً وَسَلَاَماً على إِبْرَاهيم﴾**[2] فاستثمر الشاعر دلالات هذه الآية بما يغني المعنى الذي يسعى إليه، وقد جاء توظيفه لهذه الآية توظيفاً مباشراً دون تعقيد وغموض.

وفي ديوان الأعمى التطيلي وردت عدّة إشارات إلى عصا سيدنا موسى- عليه السلام -" اتخذ التطيلي منها رمزاً لحصحصة الحق وإزهاق الباطل"[3] ومن تلك الإشارات ما ورد في قوله:

فيا سحرَ فرعونَ ماذا تقول إذا جاءَ موسى وألقى العصا[4]

وفي هجاء المخزومي أيضاً نجد إشارة إلى عصا موسى عليه السلام وذلك في قوله:

يا فارسَ الخيلِ ولا فارسٌ إلاّ على متنِ جوادِ الخِصَى

زدت على موسى وآياته تُفجّرُ الماءَ وتُخْفِي العصا[5]

ومن غير اللائق أن توظّف معاني القرآن الكريم وقصص الأنبياء في مثل هذه المعاني القبيحة تأدّبا مع كلام اللهَ عزّ وجل إلا أن الشاعر فعل ذلك دون مراعاة لألفاظ القرآن الكريم السامية ومعانيه التي نزل عليها .

---

1 الكتّاني ، التشبيهات ، ص206، 207.

2 سورة الأنبياء ، آية 69.

3 عبد الحميد الهرّامة ، الأعمى التطيلي حياته وأدبه، ص 62.

4 ديوان التطيلي،ص2.

5 المقّري، نفح الطيب، ج3، ص205.

ويستحضر الحصري الكفيف في رثائه لولده قصّة سيدنا يوسف عليه السلام وبعده عن أبيه وحزن سيدنا يعقوب عليه، فيصوّر حزنه على ولده بحزن يعقوب على يوسف، وقد أكثر من الإشارة إلى ذلك. فيقول مسوّغاً كثرة بكائه على ولده:

لا تلُمْني في البكا لو كان من صخرةٍ صمّاء قلبي لانفلقْ

قد بكى يعقوبُ حتىّ ابيضتا حزناً عيناه بالدّمع الغـدِقْ[1]

ولم يكتفِ الحصري بالإشارة إلى قصّة يوسف وحزن يعقوب عليه وإنما اقتبس قوله تعالى **﴿وقَالَ يأسَفَى عَلَى يُوسُفَ وابْيَضّتْ عَيْنَاهُ مِنْ الحُزْنِ﴾** [2]، إن تألم الشاعر الدائم من العمى جعله يشير إلى أثر البكاء على عيني سيدنا يعقوب-عليه السلام- ، وكأنه يريد أن يقول إنه هو الآخر قد عمي من كثرة البكاء على ولده .

ويشير ابن جابر في معرض حديثه عن فضائل أبي بكر الصديق إلى بعض الأحداث التي حدثت له وللنبي- صلى الله عليه وسلم- وهما في طريقهما إلى مكة مهاجرين، ويشير إلى حادثة الإفك التي برّأ الله عزّ وجل منها أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها[3].

وأما عن تأثّر المكفوفين بالحديث النبوي فيأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم، ويبدو ذلك جلياً في شعر ابن جابر الهوّاري الضرير على وجه مخصوص، فقد كانت أحاديث النبي- عليه السلام- مصدراً من المصادر التي وظّفها في مدحه للصحابة الأجلاء ، رضي الله عنهم، وحديثه عن فضائلهم ،ومن ذلك قوله في فضل عمر بن الخطاب:

هو المرءُ لم يتركْ له الحقُّ صاحباً ولا قعد الشيطان منه بمَقْعدِ

1ديوان اقتراح القريح، ص201، وانظر ص 148.

2سورة يوسف آية 84.

3 انظر شواهد ذلك في نفح الطيب، ج7، ص259.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولا سلك الشيطانُ فجّاً قد اغتدى له سالكاً من خوفه المتزيِّدِ[1]

يضمن ابن جابر الأبيات السابقة قول النبي- صلى الله عليه وسلم- في فضل عمر " **والذي نفسي بيده يا عمر ما لقيك الشيطان سالكاً فجّاً قطّ إلا سلك فجّاً غير فجك**"[2].

ويقول ابن جابر في فضل عليّ كرّم الله وجهه:

وإنّك منّي خالياً من نبوّةٍ كهارون من موسى وحسبك فاحمدِ[3]

يبدو الشاعر في البيت السابق متأثراً بقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي" **أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى**"[4].

ويقول ابن الفراء:

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

شكوتُ إليه بفرط الهوى فأنكر من قصّتي ما عرف

وقال الشهودُ على المُدّعي وأمّا أنا فعليّ الحَلِفْ[5]

يستحضر الشاعر في هذا البيت قول النبي – عليه السلام- "**البيّنة على المدعي واليمين على المدّعى عليه**"[6] فيشتكي لمحبوبه ما أصابه من فرط حبه له فضمن شكواه مضمون هذا الحديث وبعض ألفاظه ، فهو المدّعي ومحبوبه (المدّعى عليه) وعليه الحلف.

وتأثّر الشعراء المكفوفون بالموروث الأدبي المشرقي ، واستحضروا في شعرهم أشعاراً لأعلام الشعر العربي وتأثروا بألفاظهم وصورهم ومعانيهم وضمّنوها أشعارهم .

إن تقليد الأندلسيين للمشارقة ظاهرة بارزة أشار إليها ابن بسّام وقال" إلا أنّ أهل هذا الأفق أبوا إلاّ متابعة أهل المشرق يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث إلى قتادة،

1المقّري، نفح الطيب، ج7، ص360.

2 صحيح البخاري، ج7، 71.

3 نفح الطيب، ج7، ص363.

4 صحيح البخاري، ج7، ص81.

5صفوان بن إدريس ، زاد المسافر، ص 142.

صحيح البخاري ، ج2، 293-294. 6

وحتى لو نعق بتلك الآفاق غراب أوطنّ بأقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا صنماً وتلوا ذلك كتاباً معلماً "[1].

ولا يرى حمدي منصور في اتكاء الأندلسيين على التراث المشرقي واستلهامه عيباً، بل العيب من وجهة نظره " أن لا يتأثّر الأندلسيون بالمشارقة الذين تجمعهم بهم وحدة اللغة والتراث والعقيدة من ناحية، وكثرة الرحلة والنقلة من الغرب إلى الشرق ومن الشرق إلى الغرب ، ودخول بعض مصنّفات المشارقة إلى الأندلس في وقت مبكر، بل أحياناً قبل أن تنتشر في الشرق من ناحية أخرى"[2]. فالبعد الجغرافي للأندلس عن المشرق لم يكن عائقاً عن الاتصال الديني والثقافي، وإنما بقيت هذه الروابط قوية متصلة بين أهل الأندلس وبين إخوانهم في المشرق، فنظروا إلى تراثهم الفكري والأدبي وتأثّروا به.

ومن الشواهد على تأثّر الشعراء الأندلسيين المكفوفين بشعراء جاهليين قول ابن خلصة:

جللٌ دقّ فيه كلُّ جليلٍ وتساوى التكثيرُ والتقليلُ[3]

يتأثّر الشاعر في صدر هذا البيت بقول الشنفرى:

خبرٌ ما جاءنا مُصْمَئِلُّ جلَّ حتّى دقَّ فيه الأجلُّ[4]

يبدو تأثّر الشاعر الواضح بعجز البيت السابق ،إذ وظّف معناه وبعض ألفاظه للتعبير عن عمق الألم الذي أصابه لفقدان المرثي.

وتأثّر التطيلي بشعر زهير بن أبى سلمى فضمّن قوله:

---

1 ابن بسّام، الذخيرة، جـ1 ص3

2 منصور، حمدي، الطبيعة في الشعر الأندلسي، دار الجوهرة للنشر والتوزيع، ط1 2003، ص264.

3 الذخيرة، ج3،ص208.

4 شرح حماسة أبي تمام، باب المراثي، ج1، ص 239 ونسب هذا البيت إلى خلف الأحمر

وكنتُ ومنْ أهْوى وأنت جنيتها "على صيْرِ أمْرٍ ما يُمِرُّ ولا يُحلي"[1]

شطر البيت الثاني من قول زهير:

وقدْ كنتُ من سَلمى سِنيناً ثمانيا على صيرِ أمرٍ ما يُمِرُّ وما يحلو[2]

وتأثّر ابن جابر الهوّاري الضرير بشعر الحطيئة فضمّن قوله:

كريمٌ متى ما أوقد النّار للقِرى تجد خيرَ نارٍ عندها خيرُ موقدِ [3]

عجز بيت للحطيئة دون أن يغير فيه شيئاً فقال:

متى تأتِهِ تعشو إلى ضوءِ نارهِ تجد خير نارِ عندها خيرُ موقد[4]

وتأثّر التطيلي أيضا بشعر الحطيئة ويظهر هذا في قوله:

هبّتْ تُعاتِبُني زَهْرٌ وقد عَلِمَتْ أنّ العتابَ شجىً في القلبِ أو شجبُ[5]

لقد تأثّر الشاعر في هذا البيت بقول الحطيئة:

ألا هبّتْ أمامةُ بَعْدَ هدءٍ تُعاتِبُني وتَجْبَهُني بظلمٍ[6]

فوظّف فكرة هذا البيت القائمة على العتاب ، ووظّف بعض ألفاظه نحو : هبت وتعاتبني.

وتأثّر عدد من المكفوفين بشعر الفحول من الشعراء العبّاسيين: كبشار بن برد، وأبي تمّام، وأبي الطيّب المتنبي، وضمّنوا أشعارهم أبياتاً ومعانيَ نظروا فيها إلى شعر هؤلاء الفحول،ومن ذلك قول أبي القاسم السهيلي:

---

1 ديوان التطيلي، ص124.

2شرح ديوان زهير، ص96.

3 نفح الطيب، ج7، ص 366

4 ديوان الحطيئة، تحقيق نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي القاهرة، 1987 ص 81 .

5 ديوان التطيلي، ص16.

6 ديوان الحطيئة، ص 173.

قاسوا الحبيبَ إلى الحبيبِ الأوّلِ بحنينِ مغــترب لأوّلِ مــنزلِ[1]

يستحضر الشاعر في هذا البيت معنى بيتين مشهورين لأبي تمام ويوظّف ما فيهما من دعوة للوفاء للتجربة الأولى والحبيب الأول ، إذ يقول أبو تمام :

نــقّل فؤادك حيثُ شئتَ من الهوى ما الحبُّ إلاّ للحبيب الأوّل

كم منــزلٍ في الأرْضِ يألَفُهُ الفتى وحنينُه أبداً لأوّل منــزل[2]

ويتأثّر يحيى بن هذيل ببشار بن برد ، فيوظّف على عادة المكفوفين حاســة الــسمع ويــصف الحديث وجمال الصوت فيقول :

وحديثاً كأنّهُ قِطَعُ الرّو ض إذا ما همى عليه الغمامُ[3]

تأثّر ابن هذيل في البيت السابق بقول بشار بن برد:

وحديثٌ كأنّهُ قِطَعُ الرّو ض ففيه الصّفراءُ والحمراءُ[4]

يتناص قول يحيى بن هذيل السابق مع هذا البيت في الوزن والمعنى، ويوظّف بعــض ألفاظــه بصورة مباشرة دون تغيير كما يبدو في الشطر الأول.

ومن تأثّرهم بشعر أبي الطيّب المتنبي وتوظيفه في شعرهم قول أبي بكر المخزومي في هجــاء نزهون:

قواصدُ نزهونٍ توارثُ غيرها ومن قَصَدَ البَحْرَ استقلّ السّواقيا[5]

لا يخفى ما في هذا البيت من تناص مع قول المتنبي في كافور:

قواصدَ كافورٍ توارثَ غيره ومن قَصَدَ البحرَ اسْتَقلّ السّواقيا[1]

1ابن خميس، أدباء مالقة، ص 258.

2 ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، ج4، ص253.

3 الكتّاني، التشبيهات، ص145.

4 ديوان بشار، ج1، ص 144.

5 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص 426.

يبدو تأثّر التطيلي بهذا البيت واضحاً إذ لم يخالفه سوى في الحركات الإعرابية واستبدال اسم نزهون بكافور، مع اختلاف الغرض فالأول هجاءً والثاني مدحاً.
ويقول الأعمى التطيلي :

أشاءُ من الأيَّامِ مالا تشاؤُهُ وأطْمَعُ في ما ليس لي فيه مَطْمَعُ[2]

لا يخفى تناص البيت السابق مع قول المتنبي :

أودُّ من الأيّام مالا توَدُّهُ وأشكو إليها بينها وهي جُنْدُه[3]

يبدو التقارب الواضح بين مضمون البيتين وألفاظهما ، إلا أن الواقع غير ذلك فآمال المتنبي وطموحاته أكبر بكثير من طموحات التطيلي ومطالبه من ممدوحيه، فهو لا يطلب المناصب والجاه وإنما يسعى لأن يعتاش من عطائهم.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد كان لاشتراك المكفوفين في المعاناة من العمى وما سببه لهم من عوائق ومتاعب في حياتهم أثر في أشعارهم التي اشتكوا فيها من العمى، إذ نلمس في بعض معانيها وألفاظها تقارباً بينها وبين أشعار لمكفوفين مشارقة في الغرض ذاته، ومن ذلك قول أبي حيّان الغرناطيّ:

أيُّ عيش لشُيَيْخٍ هو حيٌّ مِثْلُ مَيْتِ
عادمُ الأُنْسِ غريبٌ مفردٌ من أهل بَيْتِ
وله نفسٌ تنادِي للمنايا هَيْتَ هَيْتِ[4]

إن معاني هذه الأبيات وبعض ألفاظها تبدو جليّة في قول الكفيف صالح بن عبد القدوس[5]:

---

1 ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري، ج4، ص 287.
2 ديوان التطيلي، ص79.
3 ديوان المتنبي بشرح العكبري، ج2، ص19.
4 ديوان أبي حيّان، ص127.
5 صالح بن عبد القدوس كفيف من البصرة، كان يعظ الناس ويقصّ عليهم كلاماً في الحكمة، انظر ترجمته في نكت الهميان، ص171.

على الدُّنيا السّلام فما لشيخٍ ضريرِ العَيْنِ في الدُّنيا نصيبُ

يموتُ المرءُ وهو يُعَدُّ حـيّاً وَيُخلِفُهُ ظنّه الأملُ الكـذوبُ

إذا ما مات بَعْضُكَ فابْكِ بَعْضاً فإنّ البعضَ من بعضٍ قريبُ[1]

لقد نظر كلا الشاعرين للحياة بعد أن أُصيبا بالعمى نظرة متشائمة، وأصبحت ظـلال المـوت مخيّمة عليها حتى صار الموت مكافئاً لها.

وثمة تشابه يجمع بين الصورة التي رسمها التطيلي الأصغر لنفسه أثناء المشي وبين الـصورة التي عرضها بّشار بن برد لنفسه أثناء أدائه لصلاة الجماعة، إذ يقول التطيلي الأصغر واصـفاً معاناته أثناء الحركة:

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يثني إلـى وطء ما يغتالُه قـدَماً يهْوِي إلى لمسِ ما يعدو عليه يدا

يمشي فتحْسَبُه يقضي الصلاة خطا إذا استوى راكعاً من ركعةٍ سجدا

تهْوي به قـدماه صَوْلجيْ لعـبٍ تنزو السّلامُ كراتٍ عـنهما بـددا

مخالطٌ لبني الـدنيا مفارِقـُهُـم قد غاب عنه من الأشياء ما شهدا[2]

ويصف بشار معاناته في الصلاة فيقول:

وإنّني في الصّلاةِ أحضُرُهَا ضُحْكَةُ أهل الصّلاة إن شهدوا

أقعدُ في سجدة إذا ركعوا وأرفعُ الرّأسَ إن هُمُ سجدوا

أسجدُ والقومُ راكعونَ معاً وأسْرِعُ الوَثبَ إن هُمُ قعدوا

ولست أدْري إذا إمامُهُمُ سلَّمَ كم كان ذلـك العـدد [3]

---

1 الصفدي، نكت الهميان، ص72.

2 ابن الأبار، تحفة القادم، ص39.

3 ديوان بشار، ج4، ص56.

عرض الشاعران لنفسيهما صورة تبدو متقاربة في المضمون ،إذ صوّرا المعاناة التي يجدها الكفيف أثناء الحركة وكيف يبدو كأنّه أرعن أهوج لا يستطيع السيطرة على حركاته وضبطها أثناء تحركه، مما يسبب له في كثير من الأحيان التعثر والاصطدام بالأشياء من حوله، ولا يخفى ما يسببه ذلك من ألم نفسي للكفيف، إذ يشعر أنه محطّ سخرية الآخرين وأضحوكة لهم.

وتأثّر الشعراء المكفوفون بما أبدعته قرائح الشعراء الأندلسيين من قصائد وأشعار مشهورة، فتأثر بعضهم بقصيدة ابن عبدون التي قال عنها المراكشي " قلّ مثيلها لا بل عُدِم وعزّ نظيرها".[1]ومن أبيات هذه القصيدة التي نسج على منوالها عدد منهم قول ابن عبدون:

كَمْ دولةٍ ولِيَتْ بالنّصْرِ خِدْمَتَها لم تُبْقِ منها وسَلْ ذِكْراك من خَبَرِ

هوت بدارا وَفَلّتْ غَرْبَ قاتِلِه وكان عضباً على الأملاك ذا أثرِ

واسْتَرْجَعَتْ من بني ساسان ما وهَبتْ ولم تَدع لبني يُونانَ منْ أثرِ

وأتبعتْ أُختَها طسماً وعادَ على عادٍ وجُرْهُمَ منها ناقِضُ المِرَرِ[2]

وهذه القصيدة طويلة اتبع فيها ابن عبدون سُنن القدماء في المراثي، فقد أشار ابن رشيق أن " من عادة القدماء أن يضربوا الأمثال في المراثي بالملوك والأعزّة والأمم السالفة" [3]، لاتخاذ العبرة والعظة من زوالهم.

وعلى نهج ابن عبدون سار ابن جابر الهوّاري الضرير فأخذ يسرد نهاية عدد من المشهورين الذين تبدّلت أحوالهم من النعيم إلى الشقاء فقال:

---

1 المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص57.

2 المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص57.

3 ابن رشيق، العمدة، ج2، ص167.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

لم يأمنِ المأمونُ من صولتها ولا ابنُ هندٍ من عواديها خــلا

وأتبعتْ جعفراً الفضلَ وكــم باتَ الطلا يسقيهما صِرْف الطلا

وغالتِ الزبّاء في منعــتها فأظــْفَرتْ عَمْراً بــها فــما ألا

وأنفذتْ في آل بكرٍ حكمها وجَرّعتْ مهلهلاً كأس البلى[1]

وأشار إحسان عبّاس إلى أن التطيلي تأثرّ أيضاً بقصيدة ابن عبدون وجاراهــا بقــصيدة مماثلة [2] وأورد من أبيات هذه القصيدة قول التطيلي:

وأعْلنَ صَرْفُ الدّهْرِ لا بنيْ نُويْرة[3] بيوم ثــناء غالَ كــلَّ تــدانِ

وكانا كَنَدْ ماني جــذيمة[4] حِقــْبَةً من الدهَّرِ لو لم تنصرم لأوان

ومالَ على عبسٍ وذبيــانَ ميْلــة فأودى بِمَجْنيٍّ عليه وجــاني

فعوجا على جفرِ الهباءة عوجة لضيعةِ أعلاق هناك ثمانــي[5]

اتفقتْ قصيدتا التطيلي وابن جابر الهوّاري مع قصيدة ابن عبدون في الدعوة إلى اتخــاذ العبرة من الموت، وقد أكد الشاعران ذلك بضرب أمثلةٍ مشهورة من التاريخ الإنساني تتجلّى فيها عظمة الموت وتبدلّ الأيامِ على الناس من حال إلى حال.

---

1 المقرّي، نفح الطيب، ج7 ،ص319.الطلا:الغلام،شبهه بولد الظبية. ألا يألو: قصّر

2 إحسان عبّاس، الأدب الأندلسي في عصر الطوائف، دار الثقافة، بيروت ، ط3 ،1974.والبيت الثاني مكسور الشطر الأول فلعل الصواب" جعفر والفضل " بدلاً من جعفراً"

3 ابنا نويرة هما: متمّم بن نويرة ويكنى أبا نهشل وأبا تميم وأبا إبراهيم، كان أعور، أدرك الإسلام فحسن إسلامه .وأما أخوه فهو مالك بن نويرة، كان فارساً شاعراً ، قتله ضرار بن الأسود الأزدي ، ورثاه أخوه متمّم في شعره وقال فيه قصيدة تعد من القصائد المعدودة في الرثاء. انظر المرزباني ، معجم الشعراء، ص384.

4 جذيمة المقصود في هذا البيت هو جذيمة الأبرش ملك الحيرة، وسمي بجذيمة الوضاح لأنه كان أبرص . وأما نديماه فاسمهما مالك وعقتل ،رجلان من بلقين وجدا ابن أخت جذيمة وردّاه إليه ،وسألاه منادمته جزاء ذلك.انظر ،مجمع الأمثال،ج2،ص15-16

5 ديوان التطيلي، ص225، 226 . جفر الهباءة: مستنقع ببلاد غطفان قتل فيه عدد من فزارة وهو يوم من أيام داحس والغبراء.

ولعل بعض الشعراء المكفوفين قد نظروا في أشعار بعضهم الآخر فتأثّروا بها وضمّنوها أشعارهم ،فقد تأثّر ابن جابر بشعر نظيره الأندلسي الحصري الكفيف، ويبدو هذا في قوله:

يا دارَ ليلى لا صَمَتْكِ يدُ البلى وسقاكِ دَرَّ الغيثِ كلُّ سحابِ [1]

يبدو تأثّر ابن جابر في هذا البيت واضحاً بقول الحصري:

ديارُهُمُ لا غيرّتكِ يدُ البِلى ولا زال يسقيكِ الحيا ويجودُ[2]

فاشترك معه في المعنى وبعض الألفاظ، إذ دعا كلا الشاعرين لديار المحبوبة بالسقيا والنجاة من البلاء.

ويقول يحيى بن هذيل الكفيف:

إذا استقلّ ومسَّ الأرْضَ تحْسَبُهُ مصلّياً إنْ تلقّى سَجْدةً سَجَدا [3]

يظهر أثر البيت السابق في قول التطيلي الأصغر:

يمشي فتحْسَبُه يقضي الصّلاة خطاً إذا استوى راكعاً من ركعة سجدا[4]

تأثّر الشاعر في هذا البيت بوصف يحيى بن هذيل للحمام، ووظّف بعض الألفاظ التي استخدمها نحو :تحسبه، الركوع، السجود. وتظهر في كلا البيتين قدرة الشاعرين على التخيل والوصف الدقيق للحركة والتعبير عنها بألفاظ دالة، ولا غرابة في ذلك فمعاناة كلا الشاعرين من صعوبة الحركةأثناء المشي واحدة.

ويضمّن الشعراء المكفوفون شعرهم بعض الأمثال التي تخدم الأفكار والمعاني التي أرادو أن يعبّروا عنها،ومن الأمثلة على هذا قول السهيلي:

---

1 المقّري، نفح الطيب، ج7،349.

2 الحصري، المعشرات،20

3 الكتّاني، التشبيهات، 63

4 ابن الأبّار، تحفة القادم، 39.

العوْدُ أَحْمَدُ منْ بدءٍ خلا فَعُدِ إلى المدائحِ في قربٍ وفي بُعُدِ[1]

استهلّ الشاعر البيت السابق بقوله" العوْدُ أحْمدُ "وهذا مثل مشهورٌ قيل إنّ أوّل من قالــه وأخذه الناس عنه هو مالك ابن نويرة في قوله:

جَزَيْنَا بني شَيْبَانَ أمس بِقَرْضِهم وعدنا بمثل البَدْءِ والعودُ أحمد[2]

ويضمن أبو عبدالله بن الفرّاء الضرير عجز بيته مثلاً مشهوراً فيقول :

وكانَ بصيراً بــحكُمِ الــهوى ويعلمُ من أينَ أكــلِ الكــتفْ[3]

فقول الشاعر " يعلم من أين أكل الكتف" مثل مشهور يضرب ويشار به إلــى الرّجــل الدّاهية[4]،وقد أشار الشاعر بهذا المثل إلى القاضي الذي حكم بينه وبين محبوبــه فــي إحــدى قصائده التي أقامها على الحوار[5].

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويوظّف الأعمى التطيلي المثل المشهور" عند جهينة الخبر اليقين"[6] في قوله :

وَمَضْرِبُهُ جهينةُ كُلِّ مَجْدٍ وسَلْهُ فعندُه الخبرُ اليقينُ[1]

يمدح التطيلي في البيت السابق علي بن تاشفين ويقول إن المجد عنده الخبر اليقين بقوته وشدة بأسه.

واتخذ الشعراء المكفوفون من أسماء القبائل المعروفة والأحداث والوقائع والشخــصيات التي اشتهرت في مجال اللغة، والشعر، والأدب، والسياسة، وغيرها من الميادين رموزاً تاريخية

---

1 ابن خميس، أدباء مالقه، ص254.

2 الميداني، مجمع الأمثال، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، 1961، ج1،ص34- 36 .

3 صفوان ابن إدريس، زاد المسافر، ص142

4 الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص52.

انظر هذه القصيدة في زاد المسافر ، ص142. 5

6 الميداني، مجمع الأمثال ، ج1 ،ص623.

استحضروها في شعرهم، ومن الأمثلة على بعض الشخصيات المشهورة التي استدعاها المكفوفون في شعرهم " الأحنف بن قيس، كليب بن وائل، يزيد بن الطثرية، جميل بن معمر، قطريّ بن الفجاءة ، إبراهيم الموصلي المغني المشهور " ومن الشواهد التي وردت فيها أسماء بعض هؤلاء الأعلام قول الحصري مشيراً إلى الأحنف بن قيس أحد مشاهير حلماء العرب:

ألمْ تكُ طِفْلاً دُونَكَ الكَهْلُ وَالفَتَى ودُونَك في حِلْم نهاية أحنف[2]

ويشير الأعمى التطيلي إلى زعيم الخوارج المشهور قطريّ بن الفجاءة في قوله:

قطرىٌّ أحقُّ بالفَلْجِ مِنْ عِمْرانَ في مَنْ يقولُ بالتَحْكيمِ[3]

ونجد في شعرهم إشارات عدّة إلى قبائل مشهورة مثل : عبس، ذبيان، عذرة، مدين، قوم شعيب- عليه السلام-، وغيرها من القبائل المشهورة.

إن تأثّر الشعراء المكفوفين بالموروث الديني والتاريخي والأدبي، وتأثرهم بشعر الشعراء المشارقة والأندلسيين لا يعني أنهم ظلّوا في دائرة التقليد لهم ، وأنهم عاشوا عيالا على ما خلّفه غيرهم من إنتاج أدبي، وإنما يدلّ ذلك على تعدّد مصادر ثقافتهم وسعة اطّلاعهم على الأدب العربي على اختلاف عصوره وبيئاته،فلو لم تكن لديهم درجة كبيرة من الثقافة والمعرفة الدينيّة والأدبيّة والتاريخيّة لما تمكّنوا من توظيفها في شعرهم، ولا عجب من سعة مخزونهم في هذه المجالات فقديماً قيل " أحفظ من العميان "[4] للدلالة على القدرة العالية لدى المكفوفين على الحفظ والتذكّر.

---

1 ديوان التطيلي ، ص208.

2 ديوان اقتراح القريح، ص198.

3 ديوان التطيلي ،ص164.

4 الصفدي، نكت الهميان، ص83، وانظر مجمع الأمثال، ج1 ص318.

ثانياً: التأثير

لقد أثبت الشعراء المكفوفون أن لديهم قدرة كبيرة على التفوق والإبداع، إذ تركت أشعار عدد منهم بصمة واضحة عند غيرهم من الشعراء فاتخذوا منها نموذجاً نسجوا على منواله، فقصيدة ابن جابر التي نظمها في التورية بسور القرآن الكريم كانت نموذجاً احتذاه عدد من الشعراء، ونظموا على غراره قصائد لم تصل إلى درجتها.ومن الذين سلكوا نهج ابن جابر في هذه القصيدة الشيخ القلقشندي في قصيدته التي افتتحها بقوله :

عوّذتُ حبّي برب الناس والفلق المُصْطفى المُجْتبى الممدوح بالخُلُق

إخلاص وجدي له والعذرُ يقلقني تبّتْ يدا عاذلٍ قد جاءَ بالملق[1]

وقد أورد المقّري معارضات أخرى لبديعيّة ابن جابر ورأى أنها لم تشق لها غباراً [2]

وتأثّر أبو عبدالله الكتّاني صاحب كتاب التشبيهات بقول يحيى بن هذيل:

إذا حبستُ على قلبي يدي بيدي وصحت في الليلة الظلماء واكبدي[3]

وعارضه بقوله :

نأيتُ عنكم بلا صَبْر ولا جَلَدِ وَصحْتُ واكبدي حتّى مضت كبدي

أضحى الفراقُ رفيقاً لي يواصلني بالبعد والشجوِ والأحزانِ والكمد[4]

وأمّا قصيدة الحصري " ياليل الصّب" فأشهر من أن نعرّف بها، إذ بلغت من الشهرةِ مبلغاً كبيراً ، وقد عارضها – كما مثلنا سابقاً – عدد من الشعراء في القديم والحديث، فنظم أمير الشعراء أحمد شوقي قصيدة عارضها بها فقال:

---

1 المقّري، نفح الطيب، ،ص328.

2 المصدر نفسه، ج 7، ص ،326.

3 ابن بسام، الذخيرة، ج3، ص221

4 الظبي، بغية الملتمس، ص68.

مــضْناكَ جــفــاهُ مَرْقَدُهُ وَبَــكَاهُ وَرَحّــمَ عــوّدُهُ

حــيرانُ القلبِ مُعــذّبُــهُ مقْروحُ الجفنِ مُسَــهــّده[1]

وعارض قصيدة الحصري شعراء آخرون [2] .

ولعل أبا البقاء الرّندي قد نظر في قول التطيلي:

تناصُرُ الشيبِ في فوْديهِ خِذْلانُ إنَّ الزيادة في النُّقْصانِ نُقْصانُ[3]

وتأثر به فنظم على وزن هذه الأبيات وقافيتها قصيدته المشهورة التي قالها في رثــاء الأندلس،ومطلعها:

لكلِّ شيءٍ إذا ما تمَّ نقصانُ فلا يُغرَّ بطيبِ العيْشِ إنسان

هيَ الأمورُ كما شاهدتها دُوَلٌ مَنْ سرّهُ زمنٌ ساءتهُ أزْمانُ[4]

مركز ايداع الرسائل الجامعية

الحوار

نوّع المكفوفون في الأساليب التي استخدموها في شعرهم فوظّفوا فيها الحوار ممّا أكسبها حيويّة وإشراقاً، وساعد على جذب انتباه المتلقي والتأثير فيه، لما تضمّنه من تنوّع في الأفكــار وتبادل للآراء، وقد تفاوتت المساحة الحواريّة في شعر المكفوفين فقد يستغرق الحوار قصيدة أو مقطوعة بأكملها، وقد يقصر فيوجز الشاعر في حواره فلا يتجاوز ثلاثة أبيــات فــي بعــض الأحيان. واتسم الحوار في شعر المكفوفين بالوضوح والسهولة وابتعد في عمومه عــن التعقيــد واستخدام الفلسفة والمنطق.

---

1 ديوان أحمد شوقي، مداخلة وتحقيق إميل أ. كبا، دار الجيل، بيروت ط1، 1995، ج2، ص82.

2 انظر نماذج من هذه المعارضات في، علي الحصري، المرزوقي ،ص181.

3 ديوان التطيلي، ص218.

4 المقّري، أزهار الرياض، جــ1، ص47.

ومن القصائد التي قامت على الحوار في شعرهم قصيدة نظمها ابن الفــرّاء الــضرير وافتتحها بوصف امرأة أحبها ومن ثمّ أدار الحوار بينه وبينها فقال:

وَغادةٍ كالشّمسِ عنّتْ لــنا يَعْنو لها بَدْرُ الدَّجى مــذْعنِا

قلتُ وأومأتُ بكــفّي إلــى صَدْري مُشيراً: أنتِ منّي هُنا

قالت: لقد أشمتَّ بي حسّدي إذ بُحْتَ بالّسـر لهُمْ مُعْـلنا

قلت لها: أنت التي صيّرتْ أجفاتُها قَلْبِيَ حِـلْفَ الضَّـنَا

قالت: فلُمْ طرْفَك فهو الذي جنى على قلبك ما قــدْ جــنى

قلت لها: قدْ كان ما كان من طرْفي فكوني مثل منْ أحسنا

قالت: وما الإحسان؟قلتُ اللّقا قالت:لقاني قــلّ ما أمــكنــا

قــلتُ فــمنّيــني بتــقبيــلةٍ قالــت: أُمنّيك بطــول العَـنَا

قلتُ: فإنــي ميّــتٌ عاجــلاً قالت فــمُتْ ذاك لقلبي المُنــا

قلتُ حرامٌ قــتْلُ نفْسٍ بــلا ذنْبٍ فــقالتْ: ذا حــلالٌ لــنا

من يَعْشق الأجفانَ مكحولــةً بالسّحْرِ لا يأمــنُ أن يُفــتنا[1]

أشاع الحوار في الأبيات جوّا من الحيويّة والحركة، وذلك لما تضمّنه من تبــاين فــي الموقف العاطفي بين المتحاورين: الشاعر المحب المقبل والمرأة الصادّة له، واعتمد الشاعر في حواره على الالتفات لتلوين أسلوبه وإكسابه حيويّة وتشويقاً، فاستخدم الالتفات بين صيغ الخطاب والغيبة والمتكلم، ولم يكتف الشاعر بالحوار الصوتي للتعبير عن مشاعره وإنّما أكد حبّــه لهــا مستعيناً بالإيماء والإشارة في قوله "وأومأتُ" و"مشيراً" ، ولم يكن الشاعر وحده مجيداً للحــوار

1 صفوان بن إدريس: زاد المسافر، ص 143. وانظر نماذج أخرى من الحوار في شعر ابن الفرّاء في: نفح الطيب ،ج3، ص382، ص 383.

وإنما أجادت المرأة في حوارها معه فكانت تردّ عليه جملة بجملة بذكاء ونباهة حتى تمكنت من إسكاته وإنهاء الحوار بما يعزّز موقفها تجاهه، فهو من فتن بها وعليه أن يتحمّل تبعة عشقه للأجفان المكحولة بالسّحر.

وأما الأعمى التُطيلي فقد عُدّ من القلائل الذين عنوا بالحوار والقصّة الحواريّة في عصر المرابطين باعتبارها من وسائل الأداء الشعري [1]. ومن النّماذج الحواريّة في شعره:

هَبَّتْ تُعَاتبني زَهْرٌ وقد عَلِمَتْ أنّ العتابَ شجىً في القلب أو شجب

قالتْ: قعدتَ وقامَ الناسُ كُلُّهُمُ ألا يُعَلِّلَكَ الإثراء والرّتبُ

فقلتُ: كُفّي فما تُغْني مُقارعتي في أزمةٍ ضاعَ في أثنائها الأدبُ

فاستضحكت ثم قالت: أنت في سعةٍ من أنْ تُسيمَ، وهذا الماءُ والعُشبُ

أما رأيت ندى حوّاء كيف دنا بالغيثِ إذْ كاد يأتي دونه العطب[2]

اتخذ الشاعر من الحوار وسيلة يصف من خلالها حالته ومعاناته المادية في ظل ضياع الأدب وسيلته التي يعتاش من خلالها، فافتتح الحوار بمعاتبة زوجته له على قعوده عن العمل، وأخذ يُمهّد بهذه المعاتبة لِتُوصِلَه زوجته وتوجّهه إلى الحرّة حوّاء صاحبة الكرم التي لا يعاني الفقر في ظلّ نداها أحد.

ومن النماذج الحواريّة القصيرة في شعرهم قول السّهيلي:

شكوتُ له الهوى وبكيتُ شوقاً فأعْقَبَ عبرتي منه ابتسا مُ

فقلتُ: أضاحكٌ منّي وهذي دُمُوعِي عن لظى كبدي سجام؟

---

1 محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين، ص169

2 ديوان التطيلي، ص16.أسام: طلب المرعى.

فقالَ: الروضُ تضحكُ كلَّ حينٍ أزاهِـرُهُ إذا دمــعَ الغــمــام[1]

عبّر الشاعر في حواره هذا عن الانفعالات النفسية وردود الأفعال التي بدت منه ومــن محاوره مستخدماً التصوير الفني في عرضها، فهو يشكو من هواه باكياً ومحبوبه يقابل بكــاءه بابتسام كأنه الروّض إذا همى عليه الغمام.

الأساليب الإنشائية

وظّف الشعراء المكفوفون في شعرهم الأساليب الإنشائية لا سيما الطلبيّة منها: كــالأمر والنهي، والنداء والاستفهام. إن استخدام هذه الأساليب مألوف فــي الــشعر العربــي، ولكــن استخدامها في شعر المكفوفين له بعد نفسي يرتبط بفقدان البصر، فالأعمى بحاجة دائمــاً إلــى الإحساس بوجود المتلقي، لذا يكثر من ندائه لينبهه ويبقيه على تواصل معه، ويكثر أيــضاً مــن طرح الأسئلة عليه بغية سماع صوته، وليشعر أنه لا يتحدث لنفسه وأن ثمة طرف آخر يجلــس معه ويستمع إليه ويشاركه الحوار.

وقد استخدم المكفوفون هذه الأساليب بما يتناسب مع المضامين والمعاني التي تناولوها فــي شعرهم فأكثروا – مثلا- من الأمر والنهــي فــي الأشــعار التــي اتخــذت طــابع النــصح والإرشاد،وسنعرض لطبيعة توظيفهم لبقيّة الأساليب مع عرض الشواهد المدلّلة على ذلك لاحقاً.

و أكثر المكفوفون من استخدام أسلوب النداء في شعرهم، وكان أكثر توظيفهم لــه فــي غرضيْ: المدح والرثاء، ففي الرثاء يساعد النداء على إخراج زفرات الألم والأسى التي تنتــاب الإنسان عند فراق عزيز أو تعزية غالٍ بفقدان قريب له، وفي المديح وظّف النداء لتعداد مناقب الممدوح والتماس عطائه.

---

1 ابن خميس، أدباء مالقة، ص255.

ولم تكن كُلّ أدوات النداء تتردّد في شعر المكفوفين بمستوى واحد، فقد غلبت أداة النداء "يا" على بقيّة الأدوات الأخرى وإن لم تلغ استخدامها في بعض الأحيان. ومن توظيفهم للنداء في موضوع الرثاء قول ابن خلصة الضرير:

يا أبا عامرٍ عزاءً جميلاً فإليكمْ يُعْزى العزاءُ الجميلُ[1]

وقول الحصري في رثاء ولده:

يا قــمري مَــنْ قَمــَرَكْ حُسْنُكَ حــتى غــيّرَكْ

يا غصني الغضَّ الجــنى ما كان أشْهى ثــمَرَكْ

يا روضتي ذاتَ الحــيــا ما كان أزهَى زهــَرَكْ [2]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وشواهد النداء في شعر الحصري كثيرة جدّاً.

ومن شواهده في شعر التطيلي قوله:

أبا الحسين ولا أدعو سوى وَزَرٍ قد طال ما غاث أحباباً وغاظَ عِدا

ويا أبا الحكمِ السّامي بهمّتــهِ إلى المكارمِ لا نِكــْساً ولا جــَمِدا

ويا أبا القاسمِ الميُمونُ طائــرهُ في كُلّ ما ذمّ منه الدهرُ أو حمدا[3]

ويتوسّل ابن جابر الهوّاري في مديحه للنبي– صلى الله عليه وسلم– بالنداء فيقول:

يا مَنْ سما في يوم بدْرٍ بدْرُهُ عزّاً ليشقى كلُّ من شقّ العصا

يا مُجْتَبَىً من خيرِ قوم حَسَباً في ما أتى من زمــنٍ وما مضى

---

1 ابن بسّام، الذخيرة ، ج3، ص208.

2 ديوان اقتراح القريح، 128. شواهد النداء في القصيدة الواحدة عند الحصري تتكرّر كما في الشاهد السابق وانظر شواهد أخرى ص.89، 193،149،123،91، وغيرها

3 ديوان التطيلي، ص26. النكس : الدنيء الجبان.الجمد : البخيل.

يا من تدانى قاب قوسين ومن قيل له سَلْ تُعْطَ قد نلتَ المضا [1]

لقد اتبع ابن جابر في مخاطبته للنبي- عليه السلام – أسلوب القرآن الكريم ولم يناده باسمه احتراماً وتوقيراً له- صلى الله عليه وسلم- فناداه ذاكراً صفاته ومناقبه عليه السلام.

أما الأمر والنهي فقد استخدم المكفوفون هذين الأسلوبين في النصح والإرشاد ،فكانوا يأمرون المتلقي بالأعمال الخيّرة واتباع سبلها،وينهونه عن القيام بكل عمل لا خير فيه ولا طائل من ورائه، وفي توظّيف هذين الأسلوبين يجد الكفيف الفرصة مناسبة لتحقيق ذاته وتعزيز وجودها بين المبصرين، إذ يحاول أن يثبت لهم أنه موجود بينهم وقادر على توجيههم وإرشادهم، وأن العمى لم يمنعه من القيام بهذا الدور القيادي الذي يدل على سعة الخبرة والقدرة على التأثير في الآخرين وتوجيههم ، فيقلّ بهذا الأسلوب عمق الألم النفسي والإحساس بالنقص الذي يسببه العمى لهم. فمن الأوامر التي يبدو فيها النصح والإرشاد واضحاً قول الحصري:

شمِّرِ الذّيولَ فلا فَخْرَ في مُجرَّرِها

واسبقْ الرّفاقَ فما رائحٌ كَمُبْكِرِها

واَقْتنِعْ فموسِعُها راحلٌ كَمُقْتِرِها [2]

وقول ابن جابر الهوّاري الضرير:

وبتْ من الدنيا مباتَ خائفٍ فللّيالي عدواتٌ وسَطا

وخلّهَا عنكَ ولا تعبأ بما تبوّأ المكثرُ منها وعَطا

وجنّب الحرصَ تعِشْ ذا عزةٍ أفلحَ منْ إن شدّه الحرصُ نطا[3]

---

1 المقّري، نفح الطيب، ج7، ص315 وفي الصفحة ذاتها شواهد متعدّدة على النداء.

2 ديوان اقتراح القريح،ص120

3 المقّري،نفح الطيب،ج7، ص315، 316،نطا:بَعُدَ أو امتدّ

والشواهد في شعر ابن جابر على هذا النحو كثيرة.

ومن النواهي التي وردت في شعرهم قول ابن جابر:

لا تيأسنّ إن تناءى أملٌ وكلّما عثا زمانٌ قد عسا[1]

وقوله:

ولا تَلُمْ ذا سَفَــهٍ فإنّه إنْ لُمْتَه لم يتَّئد ولا ارعوى[2]

وقول عبودٍ الأعمى:

لاتَغْتَرر باعتدالِ حالٍ فَــعــنْ قــلــيل يُرَى زوالهُ[3]

وقوله:

لا تأْسَفنَّ أبا العاصي لفائتةٍ فكل ما ليس من رزق الفتى فاتا[4]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الإلكترونية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد استخدم الشعراء المكفوفون الاستفهام كثيراً في شعرهم،وقد تعدّدت أدواته ومعانيه التي خرج إليها. وربما يكون للعمى دورٌ كبير في شيوع الاستفهام في شعرهم،فالكفيف يعيش في عزلة عن محيطه الخارجي ويجهل كثيراً من الأشياء المحيطة به،ويعتمد الكفيف في كثير من الأحيان على الأسئلة والاستفهامات ليحاول من خلالها استكشاف مغاليق الأشياء من حوله والتعرّف على ما يحيط به من الأشياء المحجوبه عنه. وربما تكون الاسئلة أكثر عمقاً فيسأل عن سر مصيبته وعن الوجود وعن الحياة...

ويشكّل الاستفهام في شعر الحصري ظاهرة أسلوبيّة بارزة،إذ أكثر من توظيفها للتعبير عن معانٍ متعدّدة،نورد منها قوله متحسِّراً على وفاة ولده:

---

1 نفح الطيب،ج7،ص313.

2 نفسه،ص320 وانظر ص312.

3 الحميدي ، جذوة المقبّس في ذكر ولاة الأندلس،ص235.

4 المصدر نفسه،ص236.

أينَ ابتكارُكَ للــكتّاب مجــتهداً والنّاس ما بين أيقاظٍ ونوّامِ

وأينَ تجريرُكَ الثّوب المصون إذا راحوا لتجرير أثوابٍ وأكمام

وأينَ آياتــُك اللاّتي ملأن دمــاً عيني وآلمْنَ قلبي أيّ إيلامِ[1]

ويتساءل الأعمى التطيلي مستنكراً ما يعانيه في حياته من ضيق ومتاعب شــتى علــى رأسها العمى،وكأنه يريد بهذا الاستفهام الاستنكاري أن يلوم الزمان والأيام على ما في نفسه من ضيق فيقول:

أما يَشْتَفِي منّي الزّمانُ يَرُوعُني وتُقــْعِــدني أرْزاؤهُ وتُقيمُ[2]

ويقول:

ماذا أقولُ وقد أخنى على جدَتي رَيْبُ الزمانِ وخطبٌ كُلُّه ضَرَرُ [3]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويقول:

متى أشْتَفِي من لوعتي وأطيقُها إذا كان يجنيها فؤادي على جسمي[4]

ومن الاستفهام في شعر محمد بن محمد النُّمري الضّرير قوله:

تُرَى قلْبُها هلْ هامَ منّي بمثل ما بِقَلْبي من الحُبِّ المُلازِمِ والوَجْدِ

وهل ترْعى ذِمَّتي ومودَّتي كما أنا أرْعاها على القُربِ والبُعْدِ[5]

---

1 ديوان اقتراح القريح ،ص164،وانظر نماذج أخرى ص204،134،118،121. وغيرها كثير.

2 ديوان التطيلي،ص161.

3 نفسه،ص63.

4 نفسه،ص175،وانظر شواهد أخرى ص،25،14،12،11،9 ،46وغيرها كثير.

5 لسان الدين من الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج3،ص33. والبيت الثاني ورد في المصدر مكسوراً بهذه الصورة،ولعل الصواب:

وهل هي ترْعى ذِمَّتي ومودَّتي كما أنا أرْعاها على القُربِ والبُعْدِ

يبدو من استفهام الشاعر في الأبيات السابقة أن المكفوفين يتساءلون عَن كل شـــيء ولا يثقـــون بكثير من الأمور لعدم رؤيتهم لها،فيستفهمون عن كل شيء بما في ذلك حقيقية مشاعر أقـــرب الناس إليهم كما في استفهام الشاعر في الأبيات السابقة .

أما المبالغة فقد برزت في شعر المكفوفين في صورة التكثير باستخدام كم الخبرية، لتفيد التكثير من المعاني التي تناولها عدد منهم في شعرهم ،فالتطيلي –مثلاً– في مدحه بالغ في حديثه عـــن كرم الممدوح وجوده وحاول أن يبّين له أنه صاحب الأيادي البيضاء عليه، وأنه طالما أعطـــاه وكفاه، ومن ذلك قوله:

وكم لك عندي من يدٍ مَلأَتْ يدي ومن نعمةٍ أولى بشعريَ من نُعمِ [1]

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقوله:

كمْ من يدٍ بيضاءَ مشكورةٍ أوْلَيْتَ بين الأزْمِ والأزْلِ [2]

وأمّا الحصري الضرير فقد بالغ في إظهار حزنه على وفاة ولده وعبّر عنه في كثير من الأحيان مستخدماً "كم" لإظهار كثرته وشدّته، ومن ذلك قوله:

كمْ ردّ قبرُكَ ألحاني بمْوعظةٍ وهاجني طيفك السّاري بإلمامِ [3]

وقوله:

وكـــمْ نـــضَحـــتُ بدمْعِي حرَّ الحـــشا لوْ بَرَدْتـــُه [4]

---

1 ديوان التطيلي ،ص178.

2 المصدر نفسه، ص121.الأزم،جمع أزمة وهي الشدة والقحط ، والأزل شدة الزمان وانظر نماذج اخرى ص101،84،64،49،45،6،5 وغيرها كثير

3 ديوان اقتراح القريح،ص161.

4 المصدر نفسه،ص90، وبردته من برده أي صيّره بارداً، وشواهد المبالغة في شعره كثيرة انظر بعضها ص151،110،90،86،84،164.

ويستخدم ابن جابر الهوّاري التكثير في مدحه للنبيّ- عليه السلام – ليدلّل به على كثرة فضله- عليه السلام – على الناس، وعلى الخير الكثير الذي جاء على يديه -صلى الله عليه وسلم- ومن ذلك قوله:

فكمْ كسا من ثوبِ نُعْمى قد ضفا وكم هَدَى بعلمه وكم غدا [1]

وقوله:

فكمْ حَمَى بـــهديه وكم وقـــى وكم أفـــادَ آملاً وكم نخـــا [2]

التكرار

اعتمد الشعراء المكفوفون على التكرار في شعرهم كثيراً، حتى شكّل لدى عـــدد مـــنهم ظاهرة أسلوبيّة بارزة، ولفقدان البصر صلة وثيقة بذلك، فالأعمى يعتمد في إيصال خطابه إلـــى المتلقين على الإملاء والكلام المنطوق، ومن جهة أخرى فهو مفتقر إلى الحاسة الأساسية التـــي تمكنه من التثبت من إيصال رسائله إلى المتلقين، فيتكئ على التكرار باعتباره الوســـيلة التـــي يحاول من خلالها إيصال خطابه بصورة تضمن له استيعاب المتلقين له ووصوله إليهم بـــشكل مترابط يفضي بعضه إلى بعض.

وقد جاء التكرار في شعرهم للألفاظ والضمائر والأحرف وصيغ الأساليب المتنوعـــة: كالاستفهام، والنداء، والتمنّي وما إليها من الأساليب المختلفة، فمن صور التكرار للأحرف فـــي شعرهم تكرار الحصري لحرف التمنّي "لو" في قوله[3]:

فلو كان في صفِّين إذ هوَ يافع تراضى به الخصمانِ والحكمانِ

---

1 المقّري ،نفح الطيب،ج7،ص311.

2 نفـــــــــسه ص310،وانظـــــــــر شـــــــــواهد أخـــــــــرى ص،319،316،306،308.

3.171-170 ديوان اقتراح القريح، ص

ولو كانت النيرانُ مثــلَ ذكائِه تلظَّت لموريها بغــير دخــانِ

ولو أطلعَ اللهُ الهــلالَ طــلوعه لقالوا لسبعٍ تــمَّ أو لــثــمانِ

ولوأنبتَ اللهُ الغصونَ نــباتــهُ دنا مِنْ جناها ما تخــيّرَ جانِ

حاول الشاعر من خلال تكراره لحرف التمنّي "لو" أن يعبّر عن آمال تمنّى لو أنها تحقّقت ولــو أن ولده لم يمت، ومثل هذا التكرار على اختلاف أنواعه مألوف وشائع في موضوع الرثاء، وقد فسّر ابن رشيق السبب في ذلك ورأى أنه "أولى ما تكرّر فيه الكلام باب الرثاء، لمكان الفجيعــة وشدّة القرحة التي يجدها المتفجّع، وهو كثير حيث التُمس من الشعر وجد"[1].

ومن الشواهد على تكرار الضمائر تكرار التطيلي لضمير المتكلّم "أنا" في قوله:

أنا مِمَّنْ أهلّ من جود نَعما كَ إلى الغيثِ مستهلَّ العزالي

أنا مِمَّنْ أفضى به فرْحُ لُقْيا كَ إلــى فــرجَةٍ كَحَلِّ العقــالِ

أنا ممّنْ أَهْدى إليكَ القوافي غَيْرَ وَحْشيّةٍ ولا إهمالِ[2]

لقد كرّر الشّاعر في الأبيات ضمير الأنا الذي يدل على الذّات، وهو ضمير بارز منفصل يُستخدم عادة "عندما يقدّم الإنسان ذاته لمن يجهلها أو...عندما يؤكد الإنسان ذاته لمن يتجاهلها"[3]، ولكن استخدام الشاعر لهذا الضمير وتكراره له غير مرّة لم يأتِ لتقديم نفسه أو الفخر والاعتزاز بها كما هو مألوف، وإنما جاء تكراره لأناه تعبيراً عن حاجتها للآخرين واعترافاً بفضلهم عليها، وهذا أمر اعتدنا عليه كثيراً في شعر التطيلي المتكسّب.

ويكثر في شعرهم تكرار تراكيب النداء والاســتفهام لا ســيما فــي شــعر التطيلــي والحصري، فمن ذلك على سبيل المثال تكرار التطيلي لاسم المنادى "أبا حسن" سبع مرّات نورد منها قوله:

أبا حسنٍ ألْقِ السّلاحَ فــإنّــها منايا وإن قال الجهولُ أماني

أبا حسنٍ هلْ يدفعُ المرءُ حَيْنَهُ بأيدِ شجاعٍ أو بكيدِ جــبــانِ

---

1 ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج2، ص94.

2 ديوان التطيلي، ص105.

3 أحمد درويش، دراسة الأسلوبية بين المعاصرة والتراث، ص158، 159، دار غريب، القاهرة، 1998.

أبا حسنٍ إنّ المنايا وُقِـيتَهـا إذا أبْلغتْ لم تتبعْ بضمانِ[1]

ألحّ الشاعر في الأبيات على تكرار المنادى "أبا حسن" كثيرا، ولعلّ للعمى دوراً في ذلك، فالشاعر أعمى لا يرى من يخاطبه ويريد أن يبقيه على تواصل معه في كل عبارة يوجهها إليه، لذا أكثر من ندائه باسمه، في مطلع كل عبارة خاطبه بها، فلو كان الشاعر يبصر من يخاطبه لكفاه أن يفتتح خطابه له بذكر اسمه ومن ثمّ يواصل كلامه معتمداً على مشاهدته ومتابعة تواصله معه مستعيناً بالنظر إليه، وملاحظة ردود أفعاله على ما يوجهه إليه من كلام.

ومن الشواهد على تكرار الألفاظ تكرار محمد بن محمد النّمري للسلام في قوله:

سلامٌ كرشفِ الطَّلِّ في مَبْسَمِ الورْدِ وسَـليلُ نسيمِ الرّيحِ بالقُضبِ المُلَـدْ

سلامٌ كما ارتاحَ المَشـوقُ مـبشِّراً برؤيا من يهـواه من دونِ ما وَعْدِ

سلامٌ كما يُرضي المُحبُّ حبيبه من الجدِّ في الإخلاصِ والصّدق في الوعدِ

سلامٌ وتـكريـمٌ وبـرٌّ ورحـمةٌ بقدرِ مزيد الشوق أو منتهى الوُدِّ[2]

يكشفُ تكرار الشاعر للفظة السلام في الأبيات عن الحالة الوجدانية التي يعاني منها، فبعده عن زوجته جعله في شوق ملحّ إليها، فأراد الشاعر أن يصف إحساسه ذلك، ويؤكد عمق شوقه إليها فكرّر لفظة" السلام" التي كان الغرض المقصود من ترديدها التعبير عن الحنين والشوق لها وهما العاطفة العامة المرافقة لهذه الأبيات.

ويبدو من النماذج التي عرضت لبعض صور التكرار اللفظي في شعر المكفوفين أن وراء بروز هذه الظاهرة باعثاً نفسياً ساعد الشعراء المكفوفين على التخفيف من عبء الضغوط النفسيّة التي يعاني منها أكثرهم "فالنفس تعبّر عن حاجاتها أو ما يُصيبها من اختلال التوازن

---

1 ديوان الأعمى التطيلي، ص228.

2 لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3،ص32.والبيت الثاني مكسور في العجز ولعل الصواب وضع " الذي " بدلاً من "مَنْ"

الداخلي بطريقة واعية ولا إراديّة، وقد يكون التكرار أحد صورها أو أحد المنافذ التي تفرّغ هذه المشاعر المكبوتة لأنها أقرب إلى الذهن من غيرها مما يجعلها على تماس مباشر واندماج سريع مع أحداث القصيدة"[1]، وبالإضافة إلى هذه الوظيفة النفسية يساهم التكرار في التأكيد على المشاعر والأفكار التي يحاول الشاعر التعبير عنها.

الصور الفنيّة

للصورة الفنيّة حضور بارز في الشعر العربي على اختلاف عصوره وبيئاته، وعدّها النقّاد من العناصر التي ينبني عليها الشعر، فأشار الجاحظ إلى أن الشعر" صباغة وضرب من النسج وجنس من التصوير"[2].واهتم النقاد من الصورة بأشكالها البلاغيّة: المجاز والاستعارة والتشبيه على وجه مخصوص، فهو "جار كثير في كلام العرب حتى لو قال قائل: إنه أكثر كلامهم لم يبعد"[3].

جامعة مؤتة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وتتعدّد تعريفات الصورة الفنيّة وتتنّوع غير أنها في إطارها العام "تستمد طبيعتها من النظرة التحقيقية، فهي تنبني على أساس المشابهة الشكليّة أو المقاربة بين طرفيها سواء أكان ذلك في التشبيه أم في الاستعارة أم في أي شكل آخر من أشكال الصورة"[4].

وتؤدي الصورة في الشعر دوراً مهماً فهي"وسيلة الشاعر للتجديد الشعري والتفرّد، يقاس بها نجاح الشاعر في إقامة العلائق المتفرّدة التي تتجاوز المألوف بتقديم غير المعروف من الصلات والترابطات التي تضيف إلى التجربة الإنسانية المطلقة وعياً جديداً، وما ينبغي للصورة

---

1 عمران الكبيسي، لغة الشعر العراقي المعاصر، ص182، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1982.

2 الجاحظ، الحيوان، ج1، ص131، تحقيق عبدالسلام هارون، ط1، 1938.

3 المبرّد، الكامل في اللغة والأدب، ج1، 818، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1، 19،37

4 عبدالقادر الرباعي، الصورة الفنيّة في النقد الشعري، ص61، ط2، مكتبة الكتّاني، 1995.

أن تحققه من التوازن بين ما ترصده من مظاهر حسيّة وما تعبّر عنه هذه المظاهر أو العناصر من أثر ذوقي مباشر أو تداع أو ارتباط لا شعوري مبهم لدى الشاعر تكشف عنه الصورة"[1].

إن الحديث عن الصورة الفنيّة في الشعر: مفهومها، وأنواعها، ودورها، ورأي النقّاد بها واسع ومتشعّب، وما يهمنا في هذه الدراسة هو طبيعة الصورة التي تشكّلت منها أشعار المكفوفين، فهل اختلفت الصورة في شعرهم عن صور غيرهم من الشعراء؟ أو أنها جاءت محاكية لها؟ وكيف عوّض المكفوفون النقص الذي أحدثه العمى في تشكيل الصور المرئية؟ وكيف وظّف المكفوفون الألوان في تصويرهم الفني ؟

ترد في أشعار المكفوفين الصور البلاغيّة على اختلاف أنواعها من، استعارات ومجازات، وتشبيهات، وكنايات متنوعة، وقد جاء توظيفهم لهذه الألوان البلاغيّة في الأعم الأغلب تقليداً لما درج عليه الشعراء من معان وتعبيرات مألوفة، فشبّهوا الكريم بالبحر والغمام والندى، والشجاع بالسيف والأسد، والدموع باللؤلؤ والجمان، والحسن بالشمس والقمر والضياء إلى آخر ذلك من التشبيهات التي اعتادت العرب تناولها في كلامها[2].

وفي شعرهم شواهد كثيرة على هذه الصور التقليدية، نورد منها بعض الشواهد التي شبّهوا فيها الدموع باللؤلؤ والجمان ، ومن ذلك قول الحصري:

يا هلالاً متى ذكرتُ سَنَاهُ يتناثرْ من لؤلؤ الدّمعِ سِلْكُ[1]

وقول يحيى بن هذيل:

بَكَتْ لُؤلُؤاً يَنْهَلُّ من كُلِّ مَدْمعٍ فَعَادَ عليها كالجُمانِ المنَّضدِ[2]

بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية، ص12، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1.1994

ذكر أبو هلال العسكري أن الطريقة المسلوكة في التشبيه والنهج القاصد في التمثيل عند القدماء والمحدثين 2 تشبيه الجواد بالبحر والمطر، والشجاع بالأسد والحسن بالشمس والقمر...." انظر الصناعتين، ص243.

ومن الشواهد على تصويرهم الحسن بالشمس والقمر قول ابن الحنّاط يصف حسن من بالهوادج بالشمس:

ما في الهوادجِ إلاّ الشمسُ طالعةٌ وما بقلبي إلاّ البثُّ والأرقُ[3]

ومن تشبيهات التطيلي الكثيرة لممدوحيه بالبحر والغمام قوله:

وأنتَ الغمامُ الجَوْدُ يُرْجى وَيُتّقَى على بَدرٍ من صَوْبه وبَوَادِرِ[4]

ويحاول المكفوفون التعويض عن فقدان حاسة البصر، عندما يوظّفون في تصويرهم الفني الحواس الأخرى، كالسمع، واللمس، والشم، والذوق، علّها تعوّضهم عن فقدان البصر.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

1 ديوان الحصري، ص147.

2 الكتّاني، التشبيهات، ص236.

3 القفطي، المحمّدون من الشعراء، ج1، ص337.

4 ديوان التطيلي، ص55.

ولا تقلّ أهميّة هذه الحواس عن حاسة البصر، ولها دورٌ تؤديه "فما تعجب به العينان هو ما تعجب به في الغالب حواسنا الأخرى المتّصلة بالوظائف الحيويّة اتصالاً مباشـــراً، فكمـــا أن اللمس علّم العين كيف تقدّر المسافات في المكان فقد علّمها كذلك مستعينا بالذوق والشم وســـائر الحواس الحيويّة ما ينبغي أن تعجب به وتحبه وتسعى إليه"[1].

ومن شعر المكفوفين ذاته ندرك أهمية هذه الحواس في تشكيل الصورة الفنيّة فيه، إذ نجد فيه اهتماماً بالأصوات والمسموعات، فالشاعر الكفيف حريص على "بنـــاء الـــصورة الـــسمعيّة ليعوّض عن الصورة البصرية الأصل، فيبرز جمال الأصوات وقيمة المسموعات"[2] ويبدو هذا جليّا في قول التطيلي الذي أُخذ فيه بغناء محبوبته وجمال منطوقها، فصوّر أثر ذلك في نفسه إذ قال:

غَنّتْ فلوْ أنّ مَيْتاً كانَ يَسْمَعُها لعَادَ حيّاً كأنْ لم يَرْدَ يومَ رَدِي

لَمْ تَنْطقي قطُّ إلاّ ظَلْتُ أفْرَقُ من أنْ أُسْتَطَارَ فلم أُبْدِئْ ولم أُعِدِ[3]

يرى التطيلي أن جمال غناء هذه المرأة يحيي الموتى وهذا ما وجده علي بن جامع المرسي الكفيف حين قال:

غناؤك يجلبُ الأُنسا وَيُحْيي حُسنُه النّفـــسا

ولو أسْمَعْتهِ مـــَيْتاً لعاشَ وفارقَ الرَّمْسَا[4]

ويوظّف المخزومي الأعمى الصور السمعيّة في هجائه إذ يقول:

ولـــشدَّ ما عرَّضتموني لِلْعنا فـــَرَسٌ عتيقٌ عاشرته حمـــيرُ

جان ماري جويو، مسائل فلسفة الفن المعاصرة، ص1.42

عدنان عبيد العلي، شعر المكفوفين، في العصر العبّاسي، ص 2.383

ديوان التطيلي، ص3.248

ابن خميس المالقي، أدباء مالقة، ص334، وفي الصفحة ذاتها شواهد متعدّدة على اهتمام الشاعر بالـــصور 4 السمعيّة.

فإذا صَهَلْتُ غدا النُّهاقُ مجاوبي يا ربِّ أنت على الخلاصِ قديرُ[1]

اعتمد الشاعر في الأبيات على حاسة السمع فشبه صوته بصهيل الخيل العتاق وصوت من هجاهم بنهاق الحمير.

يتضحُ من الشواهد السابقة الدور الكبير الذي تقوم به حاسة السمع في تشكيل الصورة الفنية في شعر المكفوفين فهي "أكثر الحواس إدراكاً للأشياء إذا فقد البصر"[2].

ويستعين المكفوفون بالشم، والذوق، واللمس، فيتحدثون عن النعومة والخشونة في تصويرهم لما يلمس، ويكثرون من وصف المشمومات بالمسك والعنبر والكافور وغيرها من الروائح، ويوظّفون أيضاً ألوان الطعوم المختلفة كالحلاوة والمرارة في تعبيراتهم وصورهم الفنية، فمن الشواهد على التعويض بحاسة الشم قول أبي القاسم السهيلي وقد أُهدي إليه مسكُ:

أهدي له شِبهاً بأنفاسه من عذّب القلّبَ بوسواسهِ

يا مُرْسِلَ المسكِ لنا نَفْحَةً وكلُّ مِسْكٍ دون أنفاسِهِ[3]

إن رائحه من أرسل المسك إليه أذكى وأجمل في نظره من المسك ذاته.

ويقول الأعمى التطيلي متغنيّاً بقوافيه:

قَوَافيَ كالشُّهبِ لكنّ تلك تُصَانُ فَهَبْ هذه أن تُصَانا

---

1 ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص231.

2 عبدالفتاح صالح نافع، الصورة في شعر بشار، ص172.

3 ابن خميس المالقي، أدباء مالقة، ص255.

تشَمّمُكَ الــوردَ والياسمينَ وإن كانتِ الشيحَ والأيْهُقانا[1]

يظهر في الأبيات السابقة اعتماد الشاعر الملحوظ على توظيف حاسة الشم ، إذ شــبّه الــشاعر قوافيه بأنواع من الورود والنباتات التي تُتَنسّم منها الروائح الزكيّة كالورد، والياسمين والشيح.

ومن التعويض بحاسة الذوق في تصويرهم قول الحصري :

ما بالُ صِهْرِكَ صَدّني وإلى سَنَاك أتاقني

وأنا الرّحيقُ سُقيتَهُ فاسْألهُ كيف أراقني

ولقد حَلَوْتُ وليتني أمْرَرْتُ لمّا ذاقني[2]

استعان الحصري بحاسة الذوق ليعبّر عن شكواه من سوء معاملة أحدهم لــه ،فوصــف حــسن معاملته له بحلاوة الرّحيق وطيب مذاقه، وعندما رأى صدود ذلك الصديق عنه تمنّى لو أنه كان مرّ المذاق في معاملته.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويقول ابن جابر مشبهاً ريق محبوبته بالعسل :

ظبيةٌ في ثغرها لَعَــسٌ يُجْتَنى مــن رشــفه عَســلُ[3]

ويشتكي التطيلي مــن الأيام ويصفها بالمرارة فيقول:

وأسفي من زمنٍ باخلٍ يــُمِرُّ للــمرء ولا يحــلــي[4]

ويقول مستشعراً طعم اللذّة والحلاوة عند ذكر ممدوحه:

---

1 ديوان التطيلي، ص 196، الشيح والأيهقان من نباتات البادية وذكر محقّق الديوان أن الأيهقان عنــد بعــض الشرّاح هو جرجير البر.

2 ابن بسّام، الذخيرة،ج4، ص153.

3 المقّرى، نفح الطيب، ج7، ص368، اللعس لون الشفة إذا كانت تضرب إلى السواد.

4 ديوان التطيلي، ص 136.

وذِكْرُكَ أحلى أو ألذُّ منَ المنّى وإن قيلَ أحلى أو ألذُّ منَ الشّهْدِ[1]

وأما التعويض بحاسة اللمس فيبدو جليّا من وصفهم للخشونة، والليونة، والحرارة، والبرودة وما إليهامن الصفات التي تدرك بحاسة اللمس، ومن الشواهد على التعويض بحاسة اللمس في شعرهم قول أبي القاسم السهيلي في وصف مجبّنة :

شَغَفَ الفؤادَ نواعِمٌ أبكارُ بَرَدَتْ فؤاد الصبِّ وهي حرارُ[2]

ويقول الحصري:

فعاثوا به والأرضُ ريّا من البُكا وطافوا بريّا قبره الطيّبِ الشَّذا(3)

أدرك الحصري بلمس قبر ولده أنه صار نديّاً من كثرة البكاء عليه، كما وظّف الشم فشبه رائحة القبر برائحة الشّذا الطيب.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويقول ابن الحنّاط:

خَشُنَ الزّمانُ لديّ حتّى جِئْتَهُ فَرَفَلْتُ من نعماه فوقَ حريرِ[4]

كنّى الشاعر في البيت عن ضيق الحياة وحاجته فيها بالخشونة التي لا تدرك إلاّ باللمس، وكنّى عن تبدّل حاله بعطاء الممدوح بقوله "ورفلتُ فوق حرير" فكأن ملمس أيامه الخشنة تحوّل بعطاء الممدوح إلى نعومة الحرير.

ومما يؤكّد أهمية الدور الكبير الذي تؤديه بقيّة حواس المكفوفين في تصويرهم الفني اعتمادهم كثيراً عليها، وجمعهم في كثير من الأحيان بين أكثر من حاسة في صورة واحدة، فانظر مثلاً إلى قول أبي القاسم السهيلي:

---

1 .ديوان التطيلي ، ص28

2 أدباء مالقة، ص256، ورد في المطرب أن المجبّنة ضرب من الأطعمة المعروفة بالمغرب، انظر ص237

3 .ديوان الحصري، ص115

4 .ابن دحية، المطرب، ص238

وذي نَفَسٍ أنمَّ من الخزامى وثغرٍ مثل ما عَبَقتْ مدامُ[1]

لقد جمع الشاعر بين طيب الرائحة ولذّة المذاق في صورة واحدة، فنفس من يتغزّل به أطيب من الخزامى ومذاق ريقه كالخمر في طيبها ولذّتها.

ويقول الأعمى التطيلي:

أَتَتْك قوافي الشِّعْرِ أمّا مَذَاقُها فَشَهْدٌ، وأما نَشْرُها فَقَرَنْفَلُ[2]

جعل الشاعر لقوافيه رائحة تشمّ وطعماً يذاق.

لقد ساهمت بقيّة الحواس في شعر المكفوفين مساهمة كبيرة في تشكيل صورهم الفنيّة فأعانتهم على تعويض النقص الذي تركه العمى، وذلك من خلال الاهتمام بالمسموعات والمشمومات، والملموسات، وألوان الطعوم المتنوعة، وتوظيفها في تصويرهم للأشياء من حولهم.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومن غير الممكن إغفال أثر الطبيعة الأندلسيّة في تشكيل الصورة الفنيّة في شعرهم، فقد شكّلت مادّة خصبة استمد منها المكفوفون الكثير من صورهم وتشبيهاتهم، فكانت حاضرة بكل ما فيها من أشجار وأنهار وأغصان وحدائق ورياض و...إلخ في أغراضهم الشعرّية على اختلاف موضوعاتها.

لقد أحسّ المكفوفون بجمال الطبيعيّة الخلابة مع أنهم لا يبصرونها بأعينهم، ولا يُستغرب ذلك، فكما تبيّن سابقاً أن العين على أهميتها ليست الحاسة الوحيدة القادرة على إدراك الجمال والإحساس به، فحاسة السمع لها دورها في إدراك جمال أصوات الموجودات من حولهم ،إذ لم

---

1. ابن خميس المالقي، أدباء مالقة، ص255.
2. ديوان التطيلي، ص129.

تحجب عنهم أصوات الأشجار واهتزاز أغصانها، وخرير المياه وتغريد الطيور. ولحاسة الشم أهميتها ودورها في تنّسم عبير الأزهار والورود، وأمّا فيما يتصل بإدراك عناصر الطبيعة المرئية فإن من كان منهم مبصراً ثم أصيب بالعمى فقد اختزن في ذاكرته الصور التي رآها قبل عماه، ومن كان أعمى منذ الولادة أو أصيب به صغيراً فإن بقيّة حواسه ليست معطلة فحاسة السمع تنقل له إحساسات الآخرين وحديثهم عن جمال الطبيعة من حولهم بكل ما فيها من عناصر.

ومن الأمثلة على الصور التي وظّف المكفوفون الطبيعة في تشكيلها قول الحصري:

لَهْفَ نفسي عليك ياغُصْنَ بانٍ خَرَّ يَبْساً لمّا تَثَنّى رطيبا[1]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقوله:

حتّى ذوى رَوْضُكَ المندّى وارْبدَّ منْ وَجْهِكَ الصَّباحُ[2]

وقوله:

ذوى رَيـْحَانتَي الأَرَج وَضَاقَ محلّيَ الفَرَجُ[3]

شبّه الشاعر ولده في الأبيات السابقة بالروض، والأغصان، والريحان، فكان نضراً طرياً حتى أصابه المرض فذبل مثل الرياحين والرياض عندما تذبل وتيبس.

ويقول ابن خلصة:

وهاجرتِ الروضَ الأنيقَ نباتُهُ لروضِ علاءٍ يُنْبِتُ المجَد والعزّا[4]

---

1. الديوان ، ص86.
2. نفسه، ص247.
3. نفسه، ص100، وردت كلمة محلي في الذخيرة "بخلي".
4. ابن بسّام، الذخيرة، ج3، ص208.

شبّه الشاعر ممدوحه بالرّوض الأنيق الذي تهاجرُ إليه النباتات لتورق عزّا ومجداً.

ويقول أبو القاسم السهيلي:

هيهات ما حبُّ التَّليد كـــطارفٍ أين القديم من الجديدِ المُقْبلِ؟

نَوْرُ الأقَاحِ الغضِّ أحسنُ منظراً وأرقُّ عَرْفاً من أقاحٍ ذُبــّلِ

وليانعُ الثمراتِ أخطرُ في المُنى ليست كيابسهنّ عند المأكل[1]

إن حضور الطبيعة في الأبيات واضح لا يخفى، فقد استعان الشاعر بعناصر منها نحو: نور الأقاح الغض، ويانع الثمرات، ويابسها، ليعبر عن بعض المعاني التي أراد أن يطرحها في الأبيات.

جميع الحقوق محفوظة

وفي ديوان الأعمى التطيلي صور كثيرة اعتمد فيها على الطبيعة، فمن ذلك تشبيهه نفسه بالروض الشذيّ العرف لكثرة كرم الممدوح وجوده عليه إذ يقول:

وهل أنا إلاّ الرّوضُ حيّاكَ عَرْفُهُ وقد باكَرَتْهُ من نَدَاك سحابُ[2]

إنّ اعتماد الشعراء المكفوفين في تصويرهم الفني على تقليد غيرهم من الشعراء وتناولهم التشبيهات، والاستعارات، والكنايات التي درجوا على توظيفها، واعتمادهم على توظيف الحواس الأخرى كالسمع والشم والذوق والتعويض بها عن فقدان البصر لا يلغي مقدرتهم على الإتيان بصور بصرية، فيها من الدّقة التصويرية الشيء الكثير، ففي شعر عدد منهم صور اعتمدوا فيها على الخيال والتشخيص والتشبيه القائم على حاسة البصر بشكل أساسي، فهذا

---

1. ابن خميس، أدباء مالقة، ص258.

2. ديوان التطيلي ص11، وانظر شواهد أخرى ص13، 37، 45، 60، 88، 107، 119، 135، وغيرها كثير.

يحيى بن هذيل الكفيف قد أجاد في "إبراز قدرته على التصوير مستخدماً ما شاء من ضروب التجسيم والتشبيه عاملاً لأنسنة الأشياء" [1] ومن الشواهد على ذلك قوله:

كأن الذي يحتالُ في ردِّ روحِهَا مناجٍ لها أو صاحبٌ يستشيرُها[2]

أضفى التجسيد على الصورة الشعريّة التي تضمّنها البيت السابق جمالاً ودقّة، إذ جسّد الشاعر النار وصوّر الشخص الذي يحاول إشعالها صديقاً حميماً لها يقترب منها ليناجيها ويستشيرها.

ويوظّف الأعمى التطيلي الخيال في تشكيل الصورة الفنيّة التي تضمّنها قوله:

والصبحُ يطلبُ في جُنْحِ الدّجى خللاً يَلوحُ منه ولو ألفاه ما جسرا[3]

لقد صورّ الشاعر الظلام جسماً متماسكاً يحاول الصبح اقتحامه بالبحث عن ثغرة في بنيانه ليدخل من خلالها ولكنه لن يستطيع، وقد كوّن الشاعر هذه الصورة الخيالية "من عالمه الخاص واستمد مفرداتها من المدركات الحسيّة المألوفة من الواقع المعيش وركّبها في إطار جديد"[4].

وتظهر قدرة التطيلي التصويرية واضحة في قوله الذي وصف فيه أحد الحمامات :

ماءٌ وفيه لهيبُ نارٍ كالشمسِ في ديمةٍ تصوبُ

وابيضَّ من تحته رخامٌ كالثلج حين ابتدا يذوبُ[5]

لقد أجاد الشاعر في تصويره للحمّام فجاء بصورة مركبة توحي بدقة ملتقطها وقدرته على الوصف، وقرّب للأذهان صورة ذلك الحمام بشكل دقيق، فالماءُ فيه ساخن يعلوه البخار وكأنه شمس غطتها سحابة ماطرة، والرخام في الحمام أبيض اللون كأنه والماء من فوقه ثلج يذوب،

---

1. محمد علي الشوابكة، شعر يحيى بن هذيل، ص54.
2. الكتّاني، التشبيهات، 162.
3. الديوان، ص44.
4. عبد الحميد الهرّامة، الأعمى التطيلي حياته وأدبه، ص269.
5. الديوان، ص 246.

لقد جعلت قدرة الشاعر على الإتيان بمثل هذه الصورة الخيالية الدقيقة"بعض الدارسين المعاصرين يتعجبون من نوع الأخيلة التي استطاع تحصيلها وهو الشاعر الكفيف"[1].

ويمتلك عدد من المكفوفين القدرة عل الإتيان بصور مشهديّة دقيقة، قام المكفوفون بتشكيلها من واقع معاناتهم التي سببّها العمى لهم لا سيما في مجال المشي والتحرّك من مكان إلى آخر. وزاد من دقّة هذه الصور توظيف المكفوفين للألفاظ التي تتناسب مع طبيعة المشاهد التي عرضوها لأنفسهم أثناء المشي نحو "اللمس، والمشي،و السجود، والإيماء، والإشارة، ومن أبرز الصور المشهدية في شعرهم قول التطيلي الأصغر:

يثني إلى وطء ما يغتاله قدماً يهْوي إلى لمس ما يعدو عليه يدا
يَمْشي فتحسبه يقضي الصلاةَ خُطاً إذا استوى راكعاً من ركعةٍ سجدا[2]

تبدو صورة الشاعر الكفيف واضحة أثناء سيره، إذ لا يستطيع أن يمشي مرفوع القامة متزن الحركة، وإنما يمشي مضطرباً ، فتراه يحني ظهره ويتحسّس بيديه الأشياء من حوله خشية التعثر والاصطدام بها.

ويقول أبو المخشى:

ورأت أعمىً ضريراً إنّما مشيُهُ بالأرضِ لمسٌ بالعصا[1]

يصور الشاعر مشيه معتمداً على العصا أثناء السير، فهو لا يتكئ عليها وإنما هي دليله الذي يساعده على لمس الأرض لتفادي ما يحيط به من عوائق أثناء المشيء.

ويعرض الشاعر لنفسه مشهداً آخر فيقول:

---

1 .عبد الحميد الهرّامة، الأعمى التطيلي حياته وأدبه، ص268

2 .ابن الأبّار، تحفة القادم، ص39

أبْصَرَتْ مُسْتبدلاً من طَرْفه مائلاً يسعى به حيث سعى[2]

يعرض الشاعر لنفسه في هذا البيت مشهداً نفسيّاً وحركيّاً، فهو متألم لعدم قدرته على السير وحده دون مساعد، إذ يستسلم في مشيه للقائد الذي يرشده أثناء السير فيميل به ويقوده دون أن يكون لديه حول ولا قوة سوى اتباع مرشده.

لقد أبدع كلا الشاعرين في رسم الصورة المشهدية التي عرضاها لنفسيهما أثناء المشي، فالقارئ لها لا يشعر أنه يقرأ كلمات مسطورة بالأحرف وإنما يشاهد صورة حيّة أمامه تعرض بوضوح ودقّة.

وأما عن توظيف الألوان في صور المكفوفين الفنيّة فإن الكفيف "رغم عجزه عن الإبصار قادرٌ على وصف بعض الأشياء وصفاً دقيقاً يصل إلى درجة الكمال أحياناً، وتصبح كثير من الارتباطات الاقترانيّة اللفظيّة لدى الكفيف مادة لصياغة هذه الصور كالدم الأحمر، والثلج الأبيض والليل الداجي"[3].

ولا يعني استخدام الكفيف للألوان أنه يدركها وأنه على وعي بطبيعتها وإنما يعتمد في توظيفه لها على "الاقتران والمحاكاة فاللون الأخضر مثلاً يقترن بالرّبيع ونسائمه ولطف جوّه، والأصفر بالذهب ثمّ الشمس، والأسود بالغيم والحزن والموت، فتصبح دلالة اللون مرتبطة بما تثيره تلك المعاني في نفسه من مشاعر"[4]. ومن الأمثلة على ذلك اقتران اللون الأسود بالليل، فالشّعْر لدى ابن جابر الضرير أسود كالليل، وذلك في قوله:

---

1 المراكشي، الذيل والتكملة، سفر 5، ص102، 103.

2 المصدر نفسه.

3 سيد خير الله، سيكولوجية الطفل الكفيف، ص41.

4 عدنان عبيد العلي، شعر المكفوفين في العصر العبّاسي، ص324.

شَعَرٌ كالليلِ، يَبْدو تَحْتَهُ قمرٌ قد حار شِعْري في صفاتِهْ[1]

وقد ساهمت الألوان في بناء الكنايات التي عبّر المكفوفون من خلالها عن بعض المعاني والقيم نحو قول علي بن جامع المرسي:

من أينَ للأنداءِ بيض بَنانه أمْ أينَ من علياهُ عليا الفرقدِ[2]

فبيض البنان كما هو معروف كناية عن الكرم والجود.

ويقول ابن خلصة:

ما لي أرى الآمالَ بيضاً وضّحا ووجوهَ آمالي حوالكَ جون[3]

أمّا الآمال البيض أو كما يقال بيض الأماني فكناية عن التفاؤل وحسن الحظ في الحياة، وأما آمال الشاعر السود الحوالك فكناية عن تشاؤمه وسوء حظّه في الحياة كما يرى.

مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويستخدم المكفوفون الألوان في بعض أشعارهم دون أن يقصدوا صفاتها اللونية، وإنما وردت في شعرهم باعتبارها أسماء، فمن الأمثلة على بعض تلك الأسماء: الصهباء وتعني الخمر وسميت بذلك للونها إذ تعصر من العنب الأبيض، والأبيض ويعني السيف، والزرق وتعني الأسنة وقد سميت بذلك للونها، ومن الشواهد الشعريّة على ذلك قول أبي القاسم السهيلي في المجبّنات:

أذْكى من المسكِ الفتيق لناشق وألذُّ من صَهْباءَ حين تُدارُ[4]

وقول التطيلي الأصغر يصف السيف ويسميه الأبيض فيقول:

وأبيضَ يحكي الموت فعلاً ودقّةً فلولا شعاعُ الصّقْلِ لم يَبْدُ عن نَصْلِ[1]

---

1 المقّري، نفح الطيب، ج7، ص 357.

2 أدباء مالقة، ص333.

3 ابن بسام، الذخيرة، ج3، ص207.

4 ابن دحية، المطرب، ص237.

ويسمي الرمح بالأسمر فيقول:

وأسمرَ يَضْحَى في شُعاعِ سِنانه وإن كان من خَفْق اللواءِ لفي ظلِّ[2]

وبذلك يتبيّن أن توظيف المكفوفين للألوان لم يأتِ توظيفاً حقيقياً يعتمدون فيه على حاسة البصر فيصفون الألوان التي عاينتها أعينهم، وإنما جاء استخدامهم لها محاكاة لما سمعوه من كنايات الآخرين وتوظيفهم للألوان المشهورة كالأبيض والأسود والأخضر، ويخرج يحيى بن هذيل من إطار هذا الحكم، إذ وظّف الألوان في شعره كما تبدو بصورتها الحقيقة ووصفها كما هي، لا من باب الكنايات والاقترانات اللفظيّة أو محاكاة غيره من الشعراء في توظيفهم لها . وقد تعدّدت الألوان التي ذكرها في شعره، ومردّ ذلك كما رجحنا سابقاً إلى أنه أصيب بالعمى كبيراً بعد أن شاهد الألوان وأدرك حقيقتها بعينيه فوظفها في شعره بناء على معرفة سابقة حقيقة بها.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع رسائل الجامعية

المحسّنات البديعيَّة

اعتنى الشعراء المكفوفون بالمحسنات البديعيّة عناية كبيرة في شعرهم ، وكانت الأولوية في عنايتهم للمحسنات اللفظية ،وأبرزها في شعرهم الجناس وهو "الإتيان بمتماثلين في الحروف أو في بعضها ، أو في الصورة أو بمتخالفين في الترتيب ، أو الحركات "[3]

وفي شعرهم شواهد كثيرة على الجناس بنوعيه التام والناقص، فمن أمثلة الجناس التام قول الحصري:

وهمْتُ وهمْتُ للقياك يا سُرورَ المحبِّ ويا قُوتَهُ[4]

---

1 تحفة القادم، ص 41.

2 المصدر نفسه، ص40،

3 صلاح الدين الصفدي ،جنان الجناس ، ص 19 ، مطبعة الجوائب، ط1، 1881م

4 ديوان الحصري ،ص92

جانس الشاعر بين وهمت الأولى التي بمعنى تخيّلتُ أو تصوّرتٌ وبين وهمت الثانية المشتقة من الفعل هام يهيم جناساً تاماً.

ويقول ابن جابر :

لها حُسْنٌ لها عن كلِّ شيء به قلبي فما أنا أستفيقُ[1]

وقع الجناس التام في البيت بين لها الأولى وهي جار ومجرور وبين لها الثانية بمعنى شُغِلَ .

ويكثر في شعر عدد منهم "الجناس المركّب" أحد أقسام الجناس التام :وهو ما كان أحد ركنيه مركباً من أكثر من كلمة [2]، ومن شواهده في شعرهم قول أبي القاسم السهيلي :

مَنْ عَمه ُالقَلْبِ له شيمةٌ لم يَدْرِ ما بؤسي ولا مَنْعَمَهْ[3]

جانس الشاعر بين "من عمه " المؤلفة من الاسم "من" وكلمة "عمه" وأشار بهذا التركيب إلى عمى القلب ،وبين كلمة منعمة التي بمعنى النعمة.

مركز ايداع الرسائل الجامعية
مكتبة الجامعة الاردنية

ويظهر هذا النوع من الجناس في شعر الحصري وابن جابر، إلاّ أن كل واحدة من الكلمات التي يقع بينهما الجناس تقع في بيت مستقل نحو قول الحصري :

قلتُ لبدرِ التم لما بدا مُتعجباً من حسن أوصافهِ

إن شئت أن تسرق من حُسْنه فَلُذْ به يا بَدْرُ أو صافهِ[4]

وقع الجناس المركب بين كلمة "أوصافه " في البيت الأول وبين التركيب المكوّن من حرف العطف "أو " وفعل الأمر صافه في البيت الثاني .

وشواهد هذا النوع من الجناس في شعر الحصري كثيرة[5].

---

1 المقّري ،نفح الطيب ،ج7 ،ص356

2 عز الدين السيد ، التكرير بين المثير والتأثير ،ص217،218 ،دار الطباعة المحمدية القاهرة ، 1978

3 ابن دحية ، المطرب من أشعار أهل المغرب ، ص238

4 ديوان الحصري ، ص 199

5 انظر على سبيل المثال لا الحصر :ص 153،136،135،132،131، 183،177

ومن شواهد الجناس الناقص في شعرهم نورد قول الأعمى التطيلي:

فإن يكنْ حُسْنٌ فلا مثْلُهَا أوْ يك إحسانٌ فلا مثلي [1]

جانس الشاعر بين كلمتي "حسن" في الشطر الأول و"إحسان"في الشطر الثاني جناساً ناقصاً

ويقول ابن جابر :

كُنْ حذراً وإن رأيتَ تمرةً فمثلها توقدُ جَمْرَةَ الأسى[2]

وقع الجناس الناقص في البيت بين كلمة تمرة في الشطر الأول وكلمة جمرة في الشطر الثاني .

وتتعدّد شواهد الجناس في شعر المكفوفين لا في القصيدة الواحدة أو المقطوعة وإنما في البيت الواحد ، ومن ذلك قول يحيى بن هذيل :

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ورأى بقيّة مِفْرقي قَدْ فُرِّقت لُيرى بها ريشُ الغراب غريبا[3]

جانس الشاعر بين "مِفرقي " و"فُرِّقت " وبين "رأى""يُرى "،وبين "الغراب " و"غريبا" ، يبدو في هذا البيت أن كل كلمة تجانس كلمة أخرى في الشطر ذاته من البيت أو في الشطر الثاني من البيت نفسه ،وهذا ما يبدو واضحاً في قول الحصري:

عَرَضتْ له تفّاحةً نفّاحة بعض الإماء فردّ بالإيماءِ[4]

جانس الشاعر بين كلمتي "تفّاحة " و"نفّاحة" في الشطر الأول ،وبين كلمتي "الإماء" و"الإيماء" في الشطر الثاني .

ويوظّف ابن خلصة الجناس بنوعيه التام والناقص في مقطوعة عني فيها بالجناس عناية كبيـــرة فيقول :

---

1 ديوان التطيلي ،ص122

2 المقّري ،نفح الطيب ، ج7 ، ص 313

3 محمد الشوابكة ، شعر يحيى بن هذيل ،ص73

4 ديوان الحصري ، ص79

يا ضريحاً حوى عظاماً عظاما حــليلٍ أمــسيتُ منه خلــيــلا

أعــياءً داويــتُ داءً عــيــاءً ومحالاً سألتُ رسماً محيلا[1]

أما الجناس التام فوقع بين عظاماً الأولى التي تعني عَظْم الإنسان وبين عظاما الثانية التي تعني العظمة والمكانة الرفيعة، ووقع الجناس الناقص بين "حليلٍ" و"خليلا" وبين أعياءً وعياءً، وبــين محالاً ومحيلا، و بين داويت وداءً.

يبدو أن إكثار الشعراء المكفوفين من هذا اللون البديعي لم يأت عفو الخاطر ، وإنما جاء متكلفا لاسيما في ديوان الحصري " اقتراح القريح "، ولعل السبب في ذلك أن الحصري قد نظم هذا الديوان في غرض واحد (الرثاء) وقد قصر رثاءه على شخص واحد (ولده عبد الغني)، لذا أكثر من توظّيف الجناس والألفاظ ذات الاشتقاق الواحد ،وقد كرّر فيه المعاني أيضا .

جميع الحقوق محفوظة

وفي شعرهم مواطن كثيرة تتعدّد فيها الألفاظ المتجانسة في البيت الواحد جناساً تامــا وناقصا كما تبيّن في بعض الشواهد السابقة ، ولعل الدافع وراء هذا الإســراف الواضــح فــي توظّيف الجناس الواضح في شعرهم ، حرص المكفوفين على إبقاء الرسالة (خطابهم) حية في أذهانهم ، ليسهل عليهم تذكرها واستحضارها في الوقت المناسب، ولأنهم لا يدركون أثر خطابهم في المتلقي (بصرياً) يحاولون تعويض ذلك فيتكئون على التكثيــف الموســيقي الــذي يحدثــه الجناس، فتشابه "ألفاظ التجنيس تحدث بالسمع ميلاً إليه ،فإن النفس تتشوق إلى ســماع اللفظــة الواحدة إذا كانت بمعنيين ، وتتوق إلى استخراج المعنيين المشتمل عليهما ذلك اللفــظ"[1]ومــن ناحية أخرى فإن الجناس يسهم في تشكيل الموسيقا الداخلية للقصيدة ، ومرد ذلك إلى" التجاوب الموسيقي الصادر عن تماثل الكلمات تماثلاً كاملاً أو ناقصاً،تطرب له الأذن وتهتز لــه أوتــار

---

1 ابن بسام ،الذخيرة ، ج3، ص208، ورد البيت الأول في المصدر مكسوراً ولعل الصواب كما رجحنا ســابقاً "لحليل" بدلاً من حليل

القلوب فتتجاوب في تعاطف مع أصداء أبنيتها،وهذا ما يؤكد بجلاء أهميّة الجنـــاس فـــي خلـــق الموسيقا الداخليّة وبناء ما بين ألفاظه من وشائج التنغيم"[2].

ومن المحسّنات اللفظيّة التي ظهرت في شعر المكفوفين رد الأعجاز على الـــصدور أو كما يسمى التصدير وهو "أن تكون إحدى الكلمتين أو المتجانستين أو الملحقتين بالتجانس في آخر البيت والأخرى قبلها في إحدى المواضع الخمسة من البيت وهـــي : صـــدر المـــصراع الأوّل وحشوه وآخره،وصدر المصراع الثاني وحشوه"[3] ،وشواهد هذا اللون البديعي كثيرة نورد منها بعض الأبيات من مقطوعة كاملة أقامها ابن جابر على التصدير فقال:

جمالُ هذا الغزال سحرٌ ياحبـّذا ذلـــك الجمـــالُ

هلالُ خدّيه لم يُغـــيَّـــبْ عنّي وإن غـــُيِّب الـــهِلالُ

غزال أُنسٍ يصيدُ أُســـْداً فاعجبْ لما يصنعُ الغزالُ [4]

ومن شواهده في شعر الحصري قوله:

نَطيحُ فَتُؤْخَذُ الثّاراتُ منّا وناطحُ كُلِّ جَمّاء نـــطيحُ[5]

ويقول الأعمى التطيلي:

فهانَ دمٌ بين الدّكادك واللّوى وما كانَ في أمثالها بمهانِ[6]

1نجم الدين بن الأثير الحلبي ، جوهر الكنز ، ص91 ، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية.

2 بسيوني عبد الفتاح ،علم البديع،ط2، 1998،مؤسسة دار المختار،ودار المعالم الثقافية ،ص294.

3 السكّاكي،مفتاح العلوم،ص541،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط259،2.

4 المقّري،نفح الطيب ،ج7،ص369

5 ديوان الحصري ،ص105، وفي الصفحة ذاتها شواهد أخرى، ونطيح :طاح يطيح أي هلك.الجمّـــاء التـــي لا قرون لها.

6 ديوان التطيلي ،ص225.

غير خاف من الشواهد السابقة وغيرها في شعرهم أن ردّ الأعجاز على الصدور من الألــوان البديعيّة التي برزت في شعر عدد منهم بصورة كبيرة، وقد كان لها دور كبير في تأكيد المعنــى وتوضيحه"فالكلام الذي تتردّد ألفاظه ويرجع بعضها إلى بعض فيه تقرير وبيان وتدليلٌ على أن فيه نوعاً من زيادة المعنى حاصلاً من إيحاء اللفظ الأوّل بالثاني الذي هو تكرار يذكِّر به عنــد الإنشاد ،فهو رابط من روابط التذكّر[1]" ويضفي هذا المحسّن اللفظي على الشعر تناغماً موسيقياً "فتكرار لفظة في القافية وأوّل البيت،وتكرار جزء من البيت في صدر البيت الذي يليه يؤكد نغم القافية ويصله بنغم البيت الثاني"[2]

والتصريع من المحسنات اللفظيّة التي ظهرت في شعرهم وهو أن يكون عجز النــصف الأوّل من البيت الأوّل من القصيدة مؤذناً بقافيتها فمتى عرف تصريعها عرفت قافيتها.[3] ومــن شواهده في شعرهم قول ابن خلصة:

أفــق فالهوى هوانُ لعــهد الصّبا أوانُ[4]

وقول ابن الحنّاط:

أقصرَ عن لوميَ الــلائم لــمّــا درى أنّــني هــائمُ[5]

وقول التطيلي:

أهلّي بالبكاء وبالــنحيب فقد نزَح المحبُّ عن الحبيبِ[6]

---

1 إبراهيم سلامة ،بلاغة أرسطو،ص122،ط2،دار الأنجلو المصرية القاهرة،1952.

2 ماهر مهدي هلال،جرس الألفاظ،دار الرشيد،بغداد،1980،ص44

3 يحيى بن حمزة العلوي،الطراز،ج3،ص231؟

4 ابن بسام،الذخيرة،ج3،ص209.

5 المصدر نفسه،ج1،ص275.

6 ديوان التطيلي،ص19.

ومن المحسنات اللفظية الأخرى في شعرهم الترصيع وهو " أن يكون حشو البيت مسجوعاً"[1].

ورأى قدامة أن الترصيع ضرب من التقسيم يكون فيه تقطيع الأجزاء مسجوعاً أو شبيهاً بالمسجوع[2]. ومن الشواهد على هذا اللون قول الحصري:

كلامُكَ من درٍّ،وثغرك مثلهُ وريقُكَ من خمرٍ،وريحُكَ من مسكِ[3]

وقول التطيلي :

دنـــيا ولا ترف دينٌ ولا قشفٌ ملكٌ ولا سرفٌ،درٌك ولا طلبُ

برٌ ولا سقمٌ،عيشٌ ولا هَرمٌ جدٌ ولا نصبٌ،وِرْدٌ ولا قربُ[4]

يتبيّن من الأمثلة السابقة وغيرها في شعرهم أن المكفوفين عُنوا في شعرهم بتساوي الفقرات الداخليّة والمحافظة على قوافيها بصورة واضحة، وقد اعتمدوا في إضفاء هذه القيمة الموسيقية البارزة في شعرهم على استدعاء المناسب والمخالف من رصيد مخزونهم اللغوي.

ولم يأت الترصيع في شعرهم متكلفاً كغيره من المحسنات اللفظية الأخرى،وإنما جاء توظيفهم له في أكثر الأحيان عفو الخاطر وبما يتناسب مع معانيهم، وهذا ما استحسنه أبو هلال العسكري.[5]

ومن أبرز المحسنات البديعية المعنويّة التي شاع استخدامها في شعرهم الطباق ويعني" الجمع بين الشيء وضدّه في جزء من أجزاء الرّسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة "[1].

---

1 أبو هلال العسكري ، الصناعتين، ص377.

2 ابن رشيق،ج2،ص37.

3 ديوان الحصري،ص34.

4 ديوان التطيلي،ص17.القرب:سير الليل لورد الغد

5 أبو هلال العسكري ،الصناعتين،ص3777،دار إحياء المتب ،القاهرة،1952.

وقد ألحّ الشعراء المكفوفون على توظيف الطباق في شعرهم كثيراً ولا غرابة في ذلك،فإكثارهم منه يعكس واقع شخصية أكثرهم المضطربة التي تزخر بالمتناقضات والصراع مع أنفسهم ومحيطهم بسبب ما يحدثه العمى من معوّقات لهم ،فنورهم ظلام،وأملهم يأس،ونهارهم ليل،وحريتهم قيد،فكيف يشعرون بكل هذه المتناقضات وغيرها ولا ينعكس ذلك على شعرهم؟

ومن الأمثلة الشعرية على هذا اللون قول أبي القاسم السهيلي:

إذا قُلْتَ يوماً سلامٌ عليك ففيها شفاءٌ وفيها سقامٌ [2]

وقع الطباق بين كلمتي شفاء وسقام.

وقول الأعمى التطيلي:

لقىً،غيرَ نفسٍ حُرّةٍ نازعتْ به نجومَ الدُّجى ما بين سارٍ وساربِ

لياليَ لم تمشِ الأخابيثُ بيننا بما كاد يستهوي حُلُومَ الأطايبِ

غضاباً على من ناكر الدهرَ بينهم وقد عَرَفُوه بين راضٍ وغاضبِ[3]

يظهر الطباق في الأبيات السابقة بين سارٍ وساربٍ ، وبين الأخابيث والأطايب ،وبين راضٍ وغاضبٍ . وشواهد الطباق في شعرهم كثيرة.[4]

ومن المحسّنات المعنويّة الأخرى في شعرهم التورية،وأكثرهم توظيفاً لها ابن جابر الهوّاري الضرير،ولقد عرضنا شواهد من قصيدته التي ورّى بها بسور القرآن الكريم في موضوع الشعر الديني في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

---

1 المصدر نفسه،ص307

2 ابن خميس المالقي،أدباء مالقة ،ص256.

3 الشواهد الثلاثة من قصيدة واحدة انظر ص6،5،4.

4 انظر على سبيل المثال في شعر ابن خلصة ، الذخيره ج3،ص209،208،207 وفي شعر الحصري ، الديوان،ص89،86،84،83،80،79،78.

الإيـقـاع

يميل الكفيف بحكم إعاقته البصرية إلى الاعتماد الكبير على الأذن، فهي من أهم وسائل الاتصال بينه وبين محيطه الخارجي، ومن أبرز الوسائل التعويضية التي يوظّفها المكفوفون لسد الـنقص الذي يتركه العمى، ولاعتماد المكفوفين على الأذن ومحاولتهم تدريبها تصبح هذه الحاسة لديهم أكثر رهافة وحساسية، وينشأ لديهم اهتمام بالموسيقا، وهذا ما يفسّر لنا براعة الكثير منهم فيها"، ويبدو أنها كانت دائماً ومنذ فجر التاريخ آداة عزاء للمكفوفين وما زالت حتى اليوم "[1] وقـد أثبتت مختلف الحضارات القديمة نبوغ المكفوفين في الموسيقا [2]. وربما يعود اهتمام المكفوفين بالشعر وإبداعهم في نظمه إلى السبب ذاته،فبين الشعر والموسيقا تقارب كبير"والجزء الأكبر من قيمة الشعر يعزى إلى صورته الموسيقية [3].

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وانطلاقاً مما تقدم فإن الشعر يعد "من أكبر وسائل الشاعر الكفيف التعويضيّة في البث والتلقي، لأن هذا الفن يعتمد أكثر ما يعتمد على الأذن لأنها مصدر الاستسلام الإيقاعي الذي دُرّب وقوي بسبب الفقدان البصري فصارت الأذن لدى الشاعر الكفيف أكثر رهافة وأقدر إصغاء، لذا نجد أن معظم المكفوفين قد عوضوا بالشعر والموسيقا فقدانهم البصري، لأن الأذن وسيلة الاهتمام الثانية بعد العين من حيث أهميتها لديه"[1]

ويعزى اهتمام المكفوفين الكبير بالإيقاع إلى الخصائص السمعية لدى المكفوفين، إذ إن " الواحد منهم لا يكون دائماً على ثقة من أن الشخص الذي يتجه إليه بحديثه لا يزال في المكـان نفسه ومن هنا يميل الأعمى إلى أن يتخذ لنفسه ما يسمى بـ" الصوت الإذاعي " وهو الـصوت

---

1 إشبل روس،رحلة في عالم النور، ص23

2. المرجع نفسه ،ص24

3. محمد خلف الله، من الوجهة النفسية ، ص221

الذي لا يتجه إلى شخص بعينه وإنما يحاول كصوت المذيع أن يغطي المكان كله، ليقع على الشخص المقصود كائناً ما كان مكانه فهو يميل بصفة طبيعية إلى أن يهتم بالجوانب الصوتيةمن الحديث[2]

وفي شعر المكفوفين الأندلسيين تنوّعت مصادر الموسيقا داخل النصوص الشعريّة التي نظموها وتمثّل ذلك في موسيقا الأوزان، والقوافي، والصنعة البديعيّة اللفظيّة.

وقد نظم المكفوفون قصائدهم ومقطوعاتهم الشعريّة على مختلف أوزان الشعر العربي المعروفة : طويلها وقصيرها ،كاملها ومجزوئها . وكان لبعض هذه الأوزان دور في إغناء أشعارهم بالإيقاع الموسيقي كالبحر الكامل- مثلا- "أكثر بحور الشعر جلجلة وحركة، وفيه لون خاص من الموسيقا يجعله فخما جليلاً مع عنصر ترنمي ظاهر... وهو بحر كأنّما خلق للتغنّي المحض"[3].وقد نظم المكفوفون العديد من قصائدهم ومقطوعاتهم على وزن هذا البحر نورد منها قول أبي القاسم السهيلي:

خَلَفَ السّلامُ على الذين أحبّهم وسقى منازِلَهم بكلّ سَكُوبِ
أبتِ الفراق قلوُبنا وقلوبــُهــم يا ليتَ أبداناً لنا كــقلوبِ[4]

أضفى وزن هذا البحر على الأبيات جوّاً مفعماً بالموسيقا، وقد ساهمت حروف المدّ أيضاً بذلك إذ " تكرارُ حروف المدّ له تأثير موسيقي، لأن كل حرف يكون مقطعين خلافاً لغيرها من الحروف" [5] وساعدت الأوزان الأخرى التي نظم عليها المكفوفون كالرجز والرمل وما إليها

---

1 عدنان عبيد العلي ، شعر المكفوفين في العصر العباسي ، ص 394.

2 رعاية المكفوفين، ص70- 71.

3 عبدالله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب، ج1، ص246،دار الفكر، بيروت 1970.

4 ابن خميس، أدباء مالقة، ص254.

5 مسعد بن عيد العطيوي، الاتجاهات الفنيّة في الشعر، ص537، مكتبة التوبة الرياض، ط1، 1995.

من الأوزان التي عرفت بالرشاقة وخفة الإيقاع على تشكيل كثافة موسيقية ونبضات إيقاعيّة بارزة في شعرهم.

ولم يلتزم الشعراء المكفوفون كلهم بأوزان الشعر العربي المعروفة، فقد خرج ابن الحنّاط في بعض أشعاره على هذه الأوزان، إذ نظمها على غير أوزان الشعر العربية المحفوظة عند العرب، وقد أورد منها المراكشي قوله:

لو كان يدري بما فعلْ أحيا المحبَّ الذي قتلْ

ظبيٌ بعينيه أسهمٌ في كلّ قلب لها عملْ

يحمرُّ في خدّه دمي ويدّعي أنّه خجلْ[1]

وقال " وهذا وزنٌ لم تنظم عليه العرب، وهو قد غيّر فيه مجزوء البسيط الذي شاهده :

ماذا وقوفي على رسم خلا مخلولق دارسٍ مستعجمْ

فاستعمله أحذّ العروض والضرب مخبوناً، فكان تفعيله مستفعلن فاعلن مستفعلن، فأصاره الحذذ وهو إذهاب الوتد رأساً، وهو علن فبقي مستف ثم خبن فحذف ثانيه فصار متف فنقل إلى مثل وزنه وهو فعل، فصار كل واحد من الشطرين: مستفعلن فاعلن فعل، وهو وزن لم يرد عن العرب.[2]

ومن مظاهر عناية المكفوفين بالإيقاع الخارجي استخدامهم القوافي السهلة الشائعة المسماة بالقوافي الذلل وأكثرها وروداً في شعرهم: اللام، والراء، والدال، والميم، والنون. وتكمن أهمية هذا النوع من القوافي في كونها"جهورية الصوت كثيرة الدوران على ألسنة الشعراء، ثم هي من الحروف الكثيرة في معاجم اللغة لأسباب تتعلّق بسهولة مخرجها وخفتها،

---

1 المراكشي، الذيل والتكملة، سفر6، ص224.

2 المراكشي الذيل والتكملة، سفر6، ص224.

وكل ذلك يصنفها في المصادر الغنيّة بالموسيقا، ويشير إلى ما يمكن أن تمنحه القافية لنصّها من أنغام يسببها تكرار حروف بتلك الصفات"[1].

وأدى ولع الشعراء المكفوفين بالمحسّنات اللفظيّة: كالجناس والتصدير والترصيع وغيرها إلى توليد موسيقا داخلية في أشعارهم، فمجيء مثل هذه الألوان البديعية في الشعر " يزيد من موسيقاه وذلك لأن الأصوات التي تتكرّر في حشو البيت مضافة إلى ما يتكرّر في القافية تجعل البيت أشبه بفاصله موسيقيّة متعدّدة النغم مختلفة الألوان [2].

ومن الشواهد على بعض المحسّنات التي ساهمت بدور فعّال في تشكيل الموسيقا الداخلية الجناس ونورد منه قول الحصري:

إلى الحَدَث مالتْ هوىً وملّتْ حديثَ الجَدَثْ [3]

جميع الحقوق محفوظة

ومن روافد الموسيقا الداخلية في شعرهم الازدواج وهو: "توازن جملتين متتاليتين أو أكثر توازناً عروضياً، فيكون إيقاع الجملة الأولى هو إيقاع الجملة الثانية، وتكون الحركات والسكنات في الجملة الأولى هي نفسها من الجملة الثانية"[4] ويبدو دور الازدواج الإيقاعي جلياً في قول ابن جابر الهوّاريّ الضرير:

بحرٌ طما، بدرٌ سما، عضبٌ حمى روض نما، طبٌ أفادَ وشفى

لمجتدٍ أو مقتدٍ أو معتدٍ أو مجدبٍ أو مشتك خطباً جفا[1]

تبدو الفواصل الموسيقيّة في الأبيات متساوية مما ساعد على تشكيل إيقاع تردّد في الأبيات بصورة منتظمة.

---

1 عبدالحميد الهرّامة، القصيدة الأندلسية، ج2، ص211.

2 إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص39.

3 ديوان الحصري، ص96.

4 منير سلطان، البديع تأصيل وتجديد، ص53. يبدو من تعريف الازدواج أنه يقترب إلى حدّ كبير من الترصيع اللون البديعي الذي كنا قد عرضنا له في معرض دراستنا للمحسّنات البديعيّة.

ويتبيّن مما تقدم أن الشعراء المكفوفين وظّفوا في شعرهم ما وصل إليهم من الموروث الديني، والأدبي، والتاريخي بما فيه من أحداث ووقائع وشخصيات مشهورة. كما تبيّن أن العمى ترك أثراً كبيراً في ألفاظ المكفوفين وأساليبهم الفنيّة، ففيما يتصل بالألفاظ فقد شاع تكرار مجموعة من الألفاظ التي تعبّر عن تألم المكفوفين ومعاناتهم من كل ما يحدث حولهم وما يحيط بهم من متاعب نفسيّة وجسميّة تواجههم بسبب العمى.

وكان للعمى تأثير في الصور الفنيّة في شعرهم، إذ حاولوا تعويض فقدان البصر من خلال توظيف الحواس الأخرى: السمع، واللمس، والشم، والذوق، فأولوا اهتماماً ملحوظاً بكل ما يتأتّى عن طريق هذه الحواس ووظّفوه في تصويرهم الفنيّ.

واعتنى الشعراء المكفوفون بالإيقاع والموسيقى الداخلية والخارجية فأبدوا عناية بتوظيف المحسّنات البديعيّة اللفظيّة على وجه مخصوص مما ساعد على إغناء أشعارهم بالموسيقا التي كان من روافدها الأخرى الأوزان، والقوافي التي اعتمدوا عليها في نظمهم.

---

1 المقّري، نفح الطيب، ج7، ص 318.

الخاتمة

بلغ عدد الشعراء المكفوفين في الأندلس الذين استطاعت هذه الدّراسة إحصاءهم سبعة وعشرين شاعراً ، اشتهر منهم: الحصري، والأعمى التطيلي، ويحيى بن هذيل، و ابن جابر، وأبو القاسم السهيلي، وهناك إشارات قليلة إلى عدد منهم كأبي المخشيّ، وابن الحنّاط، وأمّا البقيّة فلم نجد لهم ذكراً سوى في المصادر التي ترجمت لهم وكانت قليلة في بعض الأحيان.

أما فيما يتصل بالأغراض والمضامين الشعريّة التي نظم فيها المكفوفون، فتبيّن أنهم نظموا في الأغراض الشعريّة كافة دون استثناء، إلاّ أن عدداً منهم غلب على شعره غرض معين، فالحصري مثلاً غلب عليه الرثاء، فقصر ديواناً شعرياً كاملاً وذيّله بديوان آخر على رثاء ولده عبدالغني، واشتهر الأعمى المخزومي بالهجاء حتى كان من أشهر هجّائي الأندلس، وأكثر التطيلي من المديح والتكسّب حتى كان من أشهر شعراء الطبقة المتكسّبة في الأندلس.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وكشفت المضامين الشعريّة للمكفوفين أن للعمى تأثيراً كبيراً في شخصيتهم ونفسيتهم على وجه مخصوص، إذ كان عائقاً أمامهم قلّل من فرص العمل التي تساعدهم على طلب الرزق، فاتجه عدد منهم إلى اتخاذ الشّعر وسيلة يعتاشون منها فيطرقون أبواب السّادة وعلية القوم مادحين لهم ومتكسّبين بشعرهم.

ومن دراستنا لغرض الهجاء تبيّن أن العمى أثّر في بعضهم بصورة سلبيّة، جعلته يقف من النّاس موقفاً عدوانياً يهاجمهم ويقذع في هجائهم، بشعره وقد تمثّل هذا الأثر بشكل واضح في شعر أبي بكر المخزومي.

ولعلّ من أبرز ما توصّلت إليه هذه الدّراسة بعد الاطّلاع على موضوعات المكفوفين الشعريّة أن العمى إعاقة مؤلمة، جعلتهم في شكوى دائمة من كل ما يحيط بهم وما يحدث لهم بسببه، ومن أبرز ما اشتكى منه المكفوفون الظّلام وانحجاب الرّؤية عن أعينهم، فكان ليلهم طويلاً لا نهاية له، وكان شديد الظلام كأعينهم التي انطفأ نورها، وأصبحت الحياة لديهم مكافئة

للموت ومساوية له، وهذا ما يفسّر سبب شيوع بعض الألفاظ في شعرهم كالموت، والمنيّة، والقبر، والمصائب وغيرها من الألفاظ الدّالة على التشاؤم والحزن.

وكانت العوائق والقيود التي فرضها العمى عليهم من الأمور التي اشتكى منها بعضهم، لا سيما الذين أصيبوا بالعمى في سنّ متأخرة من حياتهم.

ولم تكن الشكوى- على كثرتها في شعرهم- غرضاً مستقّلاً وإنما دخلت في كل أغراضهم الشعريّة دون استثناء.

وكشفت مضامين المكفوفين الشّعريّة عن التنوّع الثقافي والمعرفي الذي امتازت به شخصيتهم، إذ وظّفوا في شعرهم ما وصل إليهم من الموروث الديني، والأدبي، والتاريخي، ووظّفوا فيه العلوم والمعارف التي درسوها وبرعوا فيها.

وكان الشعراء المكفوفون على تواصل مع ما أنتجته قرائح الشّعراء في المشرق والأندلس، فتأثروا بها واستحضروها في شعرهم، وقد خرج المكفوفون في شعرهم من دائرة التقليد إلى الإبداع، وتأثّر بشعرهم الأدباء والشعراء في الأندلس والمشرق، واتبعوا نهجهم فيها واقتفوا آثارهم.

وإذا ما أردنا اختصار القول في شعر المكفوفين الأندلسيين فإن لموضوعات الشعراء المكفوفين، وأساليبهم وخصائصهم الفنيّة طبيعة خاصة، فكل ما فيها ينطق بأن قائل هذه الأشعار شاعر كفيف للعمى أثر واضح في شعره.

وأخيراً فإن هذه الدّراسة لا تدّعي أنها أغلقت الباب وراءها، وإنما تكتمل بما يتبعها من دراسات حول شعر المكفوفين الأندلسيين وشعر المقلّين على وجه مخصوص، فلعلّ البحث في التراث الأندلسي يكشف للدّراسيين مادّة جديدة تفيدهم في دراساتهم القادمة.

"وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين"

المصادر والمراجع

-**ابن الأبّار،أبو عبد الله محمد بن أبي بكر البلنسي (ت 658 هـ):** تحفة القادم،تحقيق إحّسان عباس، دار الغرب الإسلامي،1986م.

الحلّة السيراء ،تحقيق حسين مؤنس،الشركة العربية للطباعة والنشر ،القاهرة ، ط1،1963م.

- أنيس، إبراهيم. **موسيقى الشعر** ، **(د.م).**

- سلامة، إبراهيم . (1956)، **بلاغة آرسطو** ،دار الأنجلو المصريّة ،القاهرة ط2 ،.

- المازني، إبراهيم. (1944م) **بشار بن برد**،لجنة دائرة المعارف الإسلامية.

-ابن الأثير الحلبي. **جوهر الكنز**، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الاسكندرية.

- عباس ،إحسان.(1974 م)، **الأدب الأندلسي** عصر الطوائف ،دار الثقافة ،بيروت ،ط3.

- أمين ،أحمد.(1959م)، **ظهر الإسلام** ،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،.

- درويش ،أحمد.(1998م)،**الأسلوبية بين التراث والمعاصرة**،دار غريب ، القاهرة.

- شوقي ،أحمد.(1995م)، **الديوان**،مداخلة وتحقيق إميل أ. كبا،دار الجيل ،بيروت، ط1،.

- مطلوب ،أحمد، والحديثي ، خديجة.(1961م)، **شعر أبي حيان**،دار العاني ،بغداد.

- روس ،إشبل.(1961م)،**رحلة في عالم النور**،ترجمة عبد الحميد يونس،دار المعرفة.

-**أشرف أبو النجا:**قصيدة المديح في الأندلس ،دار الوفاء لدنيا الطباعة، الإسكندرية ،ط1، 2003م.

-الأعلم الشنتمري،أبو الحجّاج ،يوسف بن سليمان (ت 476هـ). **تجلي المعاني عن مثل صور الغواني** ،إعداد محمد عبد الأوي ،إشراف عزة حسن،جامعة محمد الخامس ،1985 م .

-الباخرزي،علي بن الحسين بن علي بن أبي الطيب (ت467هـ). **دمية القصر** وعصرة أهل العصر،تحقيق محمد التونجي،دار الجيل، بيروت.

-البخاري.(1997م)، **صحيح الإمام البخاري**،تحقيق قاسم الشمّاعي، دار ابن الأرقم ،بيروت،ط3،.

-**أبو بحر بن صفوان بن إدريس التجيبي (ت598 هـ)**: زاد المسافر وغرّة محيا الأدب السافر،أعدّه وعلّق عليه عبد القادر ،محداد ،دار الرّائد العربي،بيروت،1970م.

-ابن بسّام الشنتريني (ت 542هـ). **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ،تحقيق مصطفى سالم البدري ،دار الكتب العلميّة ،بيروت ،1998 م

-عبد الفتاح ، بسيوني.(1998م)،**علم البديع** ،مؤسسة دار المختار ودار المعالم الثقافية ،ط2،م.

- بشار بن برد .(1996م)،**ديوان بشار**، بشرح حسين حموي،دار الجيل،بيروت،ط(1)،.

ديوان بشّار بشرح محمد الطاهر بن عاشور،لجنة التأليف القاهرة ،1950م.

- موسى صالح ،بشرى.(1994)، **الصورة الشعرية**، المركز الثقافي العربي بيروت.

- ابن بشكوال ،أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت 578هـ). **الصلة**، شرحه صلاح الدين الهواري ،المكتبة العصرية ، صيدا ،2003م .

- البيهقي.(1960م)، **المحاسن والمساوئ** ،دار صادر ،بيروت.

- التطيلي،أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن هريرة (ت525هـ). **ديوان التُطيلي**،تحقيق إحسان عباس ،دار الثقافة ،بيروت ،1963م.

- **أبو تمّام.**(1964م)، **ديوان أبي تمّام** بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزّام دار المعارف.

_____حماسة أبي تمّام بشرح الأعلم الشنتمري.

- كارول ،توماس.(1969م)، **رعاية المكفـوفين نفـسيّاً واجتماعيّـاً**،ترجمـة صـلاح مخيمر،عالم الكتب،القاهرة.

- الثعالبي،أبو منصور عبد الملك بن محمد إسماعيل (ت429هـ). **يتيمة الدهر**:تحقيـق مفيـد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،1983م.

-الجاحظ ،أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ). **الحيوان**،تحقيق عبد السلام هـارون ،ط1، 1938م.

- جويو ،جان ماري.(1965م)،**مسائل فلسفة الفن المعاصرة**،ترجمة سـامي الـدروبي ،دار اليقظة العربية،القاهرة ،ط2.

- الخياط ،جلال.(1975م)، **الشعر والزمن** ،دار الحريّة ،بغداد.

- الجواليقي،أبو العباس.(1966م)، **المعرّب من الكلام الأعجمـي**،تحقيـق أحمـد محمـد شاكر،طهران.

- كرستيفا ،جوليا.(1991م)،**علم النص**،ترجمة فؤاد زاهي،ط 1،دار طوبقال،المغرب.

-ابن حجر العسقلاني ،شهاب الدين أبو الفضل أحمد علي الكناني (ت 852هـ).**الدرر الكامنـة في أعيان المائة الثامنة** ،تحقيق عبد الوارث محمد علي ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،1997.

_____فتح الباري في شرح صحيح البخاري ،تحقيق أبي الفضل أحمد علي الكناني

-ابن حزم ،علي بن سعيد الأندلسي.(1980م)،**رسائل ابن حزم الأندلسي** ، تحقيق إحـسان عبّاس ،المؤسسة العربية بيروت .

_____**طوق الحمامة** ،(1977م)،ضبطه وحـرّر هوامـشه الطـاهرمكي ،دار المعارف ،القاهرة ط2.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- عيسى ،حسن أحمد.(1994م)، **سيكولوجية الإبداع** ،المركز الثقافي في الشرق الأوسط ، طنطا،.

-الحُصري،أبو الحسن علي بن عبد الغني (ت488هـ). **المعشّرات واقتراح القريح** ، تحقيق محمد المرزوقي والجيلاني الحاج،الشركة التونسية للنشر والتوزيع،ط2، 1974م.

-الحطيئة . (1987م).**ديوان الحطيئة** بشرح ابن السكيت ،تحقيق نعمان أمين طه،ط1

-حمدي منصور.(2003م)، **الطبيعة في الشعر الأندلسي** ،دار الجوهرة للنشر والتوزيع ، عمان ط1.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الإلكترونية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

_____بحث بعنوان. **يحيى بن هذيل دراسة في حياته وشعره**،مجلة الأبحاث الجامعة الأمريكية ، بيروت، السنة 47،عدد 1999م.

-الحميدي ،أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتّوح بن عبد الله الأزدي (ت488هـ).**جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**،تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي،دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط1 ،1997م.

_____**جذوة المقتبس في ذكر علماء الأندلس** ،(1989م)،تحقيق إبراهيم الأبياري،دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ودار الكتاب اللبناني ،بيروت ،ط3.

-الحميري،أبو الوليد إسماعيل بن محمد .(1987م)، **البديع في وصف الربيع** ،تحقيق عبد الله عبد الرحمن عسيلان،دار المدني،جدّة ،.

-أبو حيّان الغرناطي .(1969م)، **ديوان أبي حيّان** ،تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي،مطبعة العاني،بغداد.

-الخريمي .(1971م)، **ديوان الخريمي**،جمعة وحققه علي جواد الطاهر ومحمد جبار ،دار الكتاب الجديد ، بيروت.

- ابن خفاجة .(1960م)،**ديوان ابن خفاجة** ،تحقيق السيد مصطفى غازي ،منشأة المعارف، الإسكندرية، ط2.

- ابن خلكان ،شمس الدين أبو العباس أحمد محمد بن أبي بكر (ت 681هـ). **وفيات الأعيان**، تحقيق إحسان عباس ،دار صادر ،بيروت ،1972م

- ابن خميس المالقي (ت639هـ). **أدباء مالقة** ،تحقيق صلاح جرّار ،دار البشير ومؤسسة الرسالة ،عمّان ،ط1، 1999م.

- ابن خير الإشبيلي (ت575هـ). **فهرست ابن خير** ، تحقيق محمد فؤاد منصور ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،1998 م.

-ابن دحية ،ذوالنسبين أبو الخطاب عمر بن حسن (ت 633هـ). **المطرب من أشعار أهل المغرب** ،تحقيق ابراهيم الأبياري وآخرين ،دار العلم للجميع ،بيروت ،.1955 .

-ابن رشيق القيرواني.(2001م)،**العمدة في محاسن الشعر**،تحقيق عبد الحميد الهنداوي المكتبة العصرية ،بيروت ،ط1 .

-الرعيني،أبو الحسن علي بن محمد بن علي الإشبيلي (ت666هـ). **برنامج شيوخ الرعيني**،تحقيق إبراهيم شبّوح ،مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم ،دمشق ،1962م .

مركز ايداع الرسائل الجامعية
المكتبة الجامعة الاردنية

- ابن الرومي .(2000م)، **ديوان ابن الرومي**، ضبط نصوصه وعلّق علية عمر فـــاروق الطباع ،دار الأرقم بن أبي الأرقم ،بيروت.

- ابن الزبير ،أبو جعفر أحمد إبراهيم العاصي الغرناطي .(1993م)،**صلة الـــصلة** ،تحقيق عبد السلام الهرّاس والشيخ سعيد أعراب وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،المملكة المغربية .

- الدروبي ، سامي.(1971م)،**علم النفس والأدب**،دار المعارف، القاهرة.

- العطيوي ، سعد بن عيد.(1995م)، **الاتجاهات الفنيّة في الشعر**،مكتبة التوبة،الرياض،ط1.

-ابن سعيد المغربي (ت 685 هـــ). **اختصار القدح المعلى** ،تحقيق إبراهيم الأبياري ،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميريّة القاهرة ، 1959 م.

_____**رايات المبرّزين وغايات المميزين** ،(1983 م)، تحقيق نعمان عبـــد المتعـــال القاضي ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ،القاهرة .

_____**المُغْرب في حلى المَغْرب** ،(1964م)،تحقيق شوقي ضيف ،دار المعارف القاهرة.

- السكّاكي،أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر.(2000م)، **مفتاح العلـــوم**،تحقيـــق عبـــد الحميـــد هنداوي،دار الكتب العلمية، بيروت ط1.

-السكّري ،أبو سعيد بن الحسين بن عبد الله .(1951م)، **شرح ديوان زهير بن أبي سلمى**،الدار القوميّة،القاهرة ،.

- ابن سلام الجمحي (ت 231هـ). **طبقات فحول الشعراء** ،تحقيق محمود محمد شـــاكر ، دار المدني ،جدة .

-السلفي،صدر الدين أبو طاهر أحمد بن محمد.(1963م)، **أخبار وتراجم أندلسيّة**،تحقيــق إحسان عبّاس،دار الثقافة ،بيروت.

- السقطي ، رسميّة موسى.(1968م)،**أثر كف البصر على الصورة عند المعري**، مطبعة أسعد ، بغداد.

-ابن سناء الملك ،أبو القاسم هبة الله بن جعفر.(1977م)، **دار الطراز في عمل الموشحات**، تحقيق جودت الركابي ،دار الفكر ،دمشق ،ط2.

- خير الله ، سيد ، وبركات ،لطفي أحمد.(1967م)،**سيكولوجية الطفل الكفيــف**، مكتبــة الأنجلو المصرية،القاهرة ،ط4.

- السيوطي،جلال الدين عبد الرحمن. **بغية الوعاة** ،تحقيق محمد أبي الفــضل إبــراهيم ، المكتبة العصرية ،لبنان.

- الباز ، الشوادفي.(2000م)، **عظماء قهروا الظلام** ،دار الندى ، القاهرة.

صلاح الدين الصفدي خليل بن أبيك (ت764هـــ). **جنـــان الجنـــاس**، مطبعــة الجوائــب قسطنطينية ، 1881.

_____**نكت الهميان في نكت العميان** ،(2000م)،تحقيق أحمد بك زكي ،مكتبة الثقافة الدينيّة،القاهرة.

مركز ايداع الرسائل الجامعية
مكتبة الجامعة الاردنية

_____**الوافي بالوفيات** ،(2000م)، تحقيق أحمد الأرنـــاؤوط وآخـــرين ، دار إحيـــاء التراث العربي، بيروت ، ط1.

- صلاح جرّار.(2001م)،بحث بعنوان: **طريقة القراءة عند المكفوفين بصريّاً في قصائد من الشعر الأندلسي**، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ،العدد61 .

_____**بحث بعنوان الوشّاح الأوّل مقدّم بن معافى** ،(1995م)، مجلة جامعـــة بيـــت لحم، العدد.

- الضبي،أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت599هـــ). **بغية الملـــتمس**، دار الكاتـــب العربي، القاهرة ، 1967م.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- طه حسين.(1963م)،**تجديد ذكرى أبي العلاء** ،دار المعارف ، القاهرة ، ط3.

_____**مع المتنبي** ،(1936م)، لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة.

- عبد الحميد الهرّامة.(1983م)،**الأعمى التطيلي حياته وأدبه**، المنشأة العامة ، ليبيا.

_____**القصيدة الأندلسيّة** ،(1999م)،دار الكاتب ، طرابلس، ط2.

- ابن عبد ربه.(1969م)، **العقد الفريد**،شرحه وضبطه أحمد أمين وآخـــرون، مطبعـــة لجنـــة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة.

- عتيق ،عبد العزيز.(1969م)،**علم العروض والقافية**،دار النهضة العربيّة،بيروت،ط2.

- نافع ،عبد الفتاح صالح.(1983م)، **الصورة الفنيّة في شعر بشار** ،دار الفكر عمّان.

- أمين ،عبد القادر.(1972م)، **شعر الطرد عند العرب** ،مطبعة النعمان، بغداد.

- الرباعي ،عبد القادر.(1995م)، **الصورة الفنيّة في النقد الشعري** ، مكتبة الكتّاني،ط2.

- النعيمي ،عبد الكريم.(1984م)،**ابن سيدة اللغوي**، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد.

- الطيّب ،عبد الله.(1970م)،**المرشد إلى فهم أشعار العرب**، دار الفكر ، بيروت.

- المراكشي ،عبد الواحد ،(ت647هـ). **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ،وضع حواشيه خليل عمران منصور، دار الكتب العلمية ، بيروت.

-عدنان عبيد العلي.(1999م)،**شعر المكفوفين في العصر العبّاسي** ، دار أسامة للنشر والتوزيع ،عمّان.

_____**المعري في فكره وسخريته**.(1999م)، دار أسامة ، عمان.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- ابن عذاري المراكشي.(1983م)،**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ، تحقيق ج.س.كولان وليفي بروفنسال ،دار الثقافة ، بيروت.

_____**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** .(1985)،قسم الموحدين تحقيق محمد إبراهيم الكتاني واخرين ، دار الغرب الإسلامي بيروت ،ودار الثقافة، الدار البيضاء ،ط1 .

- عز الدين إسماعيل.(1963م)،**التفسير النفسي للأدب** ، دار المعارف ، القاهرة.

- السيد ،عز الدين.(1978م)، **التكرير بين المثير والتأثير**، ط1،بيروت.

- الفحل ،علقمة.(1996م)،**ديوان علقمة الفحل** ، بشرح الأعلم الشنتمري، تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب،دار الكاتب العربي،حلب.

- العلوي، يحيى بن حمزة العلوي.(1914م)، **الطراز** ، مطبعة المقتطف،.

- الأصفهاني ، العماد.(1971م)،**خريدة القصر وجريدة أهل العصر** ، قسم شعراء الأندلس ، تحقيق أذرتاش آذرتوش، الدار التونسية ، تونس.

- الكبيسي ،عمران.(1982م)، **لغة الشعر العراقي المعاصر**، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط1.

-الفتح بن خاقان،أبو نصر الفتح محمد بن عبد الله القيسي الإشبيلي (ت529هـ). **قلائد العقيان** تحقيق حسين يوسف خريوش ،مكتبة المنار، الأردن ط1، 1989م.

- الأصفهاني ،أبو الفرج. **الأغاني**،دار إحياء التراث العربي بيروت.

- ابن فرحون. **الديباج المذهب**، تحقيق محمد الأحمدي أبو النّور، ،دار التراث ،القاهرة .

- ابن الفرضي ،أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي (ت 403هـ). **تاريخ علماء الأندلس** ،مكتبة الخانجي ، القاهرة ،1967.

- عيسى ،فوزي سعد. **الهجاء في الأدب الأندلسي**،دار المعارف،القاهرة.

-القفطي ،أبو الحسن علي بن يوسف (ت646هـ). **المحمدون من الشعراء**، اعتنى بتصحيحه محمد عبد الستار وحيدر أباد،دار المعارف ،العثمانية 1966م.

-ابن الكتّاني،أبو عبد الله محمد الكتّاني(ت.420هـ). **التشبيهات من أشعار أهل الأندلس**،تحقيق إحسان عبّاس ،دار الشروق،بيروت.

- لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ).**الإحاطة في أخبار غرناطة**،تحقيق محمد عبد الله عنان،مكتبة الخانجي، القاهرة ،ط2، 1973م.

_____**جيش التوشيح** .(1967م)،تحقيق هلال ناجي ، مطبعة المنار، تونس،.

- أحمد ،لطفي بركات.(1978م)، **الفكر التربوي في رعاية المكفـوفين** ، مكتبـة الخـانجي القاهرة.

- هلال ،ماهر مهدي.(1980م) **جرس الألفاظ**، دار الرشيد ،بغداد .

- المبرّد ،أبو العباس.(1937م)، **الكامل في اللغة والأدب** ،تحقيق أحمد محمد شاكر،ط1.

- المتنبي.**ديوان المتنبي بشرح العكبري**،ضبطه وصحّحه مصطفى السقّا وآخرون دار الفكر.

- السعيد ،محمد مجيد.(1980م)، **الشعر في عهد المرابطين** ،وزارة الثقافة والإعلام ،بغداد.

- المرزوقي ،محمد.(1974م)،**علي الحـصري دراسـة ومختـارات** ،الـشركة التونـسيّة، تونس،ط2.

- الشوابكة ،محمد.(1996م)،**شعر يحيى بن هذيل الأندلسي**، منشورات جامعة مؤتة،ط1.

- الكاشف ،محمد صادق.(1987م)،**طه حسين بصيراً**،مكتبة الخانجي ،القاهرة .

- عبد المطلب ،محمد.(1984م)، **البلاغة والأسلوبية**،الهيئة المصريّة العّامّة للكتاب،القاهرة.

- أمين ،محمد مصطفى.(1997م)، **الخدمة الاجتماعية في مجـال رعايـة المعـوقين** ،دار المعرفة الجامعية .

- حسين ،محمود.(1986م)،**سيكولوجية غير العاديين وتربيتهم**، دار الفكر ، القاهرة .

- عبد الرحيم ،محمود.(2000م)، **العيون في أشعار العـرب وقصـصهم وأمثـالهم** ،ضـمن موسوعة المتشائمون والمتفائلون،دار الراتب الجامعية ، بيروت .

- حمزة ،مختار.(1956)، **سيكولوجية المرضى وذوي العاهات**،دار المعارف ، القاهرة .

- المراكشي ابن عبد الملك أبو عبد الله الأنصاري (ت307هـ).**الـذيل والتكملـه** ، الـسفر الأول،تحقيق محمد بن شريفة ،دار الثقافة ،بيروت .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

_____**الذيل والتكملة** .(1964م)، السفر الرابع ،تحقيق إحسان عباس،دار الثقافة ،بيروت.

_____**الذل والتكملة** .(1965)، السفر الخامس، تحقيق إحسان عباس،دار الثقافة ،بيروت.

_____**الذيل والتكملة**.(1973م)، السفر السادس،تحقيق إحسان عباس،دار الثقافة، بيروت.

- المراكشي ، عبد الواحد (ت6477هـ). **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، وضع حواشيه خليل عمران ،دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1998،1م.

- المرزباني،أبو عبيد الله محمد بن عمران.(1999م)،**معجم الشعراء**،صحّحه وعلّق عليه الدكتور ف.كرنكو،دار الجيل،ط1.

- عبد الكريم ،مصطفى عوض.(1959م)، **فن التوشيح** ، دار الثقافة ، بيروت .

- **مصطفى فهمي**:الصحة النفسية،القاهرة ، دار الثقافة ، 1967م.

- المعري.(1977م)،**رسالة الغفران**، تحقيق عائشة عبد الرحمن، دار المعارف ، ط6.

_____**شروح سقط الزند**.(1941م)، القاهرة،دار الكتب المصرية .

-المقّري،شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن محمد التلمساني (ت1041هـ).**نفح الطيب** ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ،بيروت،1997م.

_____**أزهار الرياض في أخبار عياض**.(1939م)،تحقيق مصطفى السقّا وآخرين، بيت المغرب، القاهرة .

- ابن منظور.(1968م)، **لسان العرب** ،دار صادر ،بيروت .

- سلطان ،منير.(1986م)، **البديع تأصيل وتجديد**، منشأة المعارف ، الإسكندرية.

- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد (ت518هـ).**مجمع الأمثال**، منشورات مكتبة دار الحياة بيروت،1961م.

-النُّباهي، أبو الحسن بن عبد الله النباهي.(1982م)، **تاريخ قضاة الأنـــدلس**، تحقيق مـــريم الطويل،دار المكتب العلمية ، بيروت ، ط1.

- العسكري ،أبو هلال.(1952م)، **الصناعتين**، تحقيق علي محمد البجاوي وأبـــو الفـــضل إبراهيم ،دار إحياء الكتب العربية ،ط1.

- الوادي آشي، محمد بن جابر القيسي.(1982م)، **برنامج الـــوادي آشـــي**، دار الغـــرب الإسلامي ، بيروت .

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله.(1999م)،**معجم الأدباء**، تحقيق عمر فاروق الطبّاع، مؤسسة المعارف، بيروت ، ط1.

_____**معجم البلدان**.(1979م)، دار إحياء التراث العربي ،بيروت .

- المؤذن ،يوسف.(1969م)، **عالم النور**، المطبعة العصريّة، تونس.

The Poetry of the Blind in Andalusia

By

Raghda Al-Zboon

Supervisor

Prof . Salah Jarar

Abstract

This study deals with the poetry of the blind in Andalusia in its different epochs. It endeavors to describe the most common and salient features of this poetry. The impact of blindness on the blind poet's personality as projected in the poetry of the blind is highlighted in the present study.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

The study concludes that there were twenty seven blind poets in Andalusia, some of whom were acknowledged and very well-known, and others were not. The present research also undertakes to reveal how the Andalusian society was particularly supportive of its blind members. It would provide them with all sorts of help to enable them to move from one place into another. They would also enable them in pursue their intellectual and scientific careers by reading to them and writing on their behalf. Abo Qasim el-Menshi, nicknamed the blind's stick, Rafiq el-Tatili, Abo Jaafar el-Elberi, Rafik ibin Jaber el-Hewari, who was also blind, and others were among those to have been very supportive of blind poets.

One of the aspects which attest to the fact that the Andalusian society took care of its blind people was that special efforts were exerted by those in charge to educate them and provide them with the assistance they needed to write and read. This was actually mentioned by Ibein Hazm who impinged on those methods which were resorted to by way of educating the

blind poets. Professor Salah Jarar also wrote a research dealing with those aids that blind poets were provided with to promote their education.

The study points out that blind poets were deeply affected by the reality of their blindness and the way they dealt with other people. This has left its strong marks on their poetic achievements.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية